كرستينا أولسون

الأطفال الزُّجاجيُّون

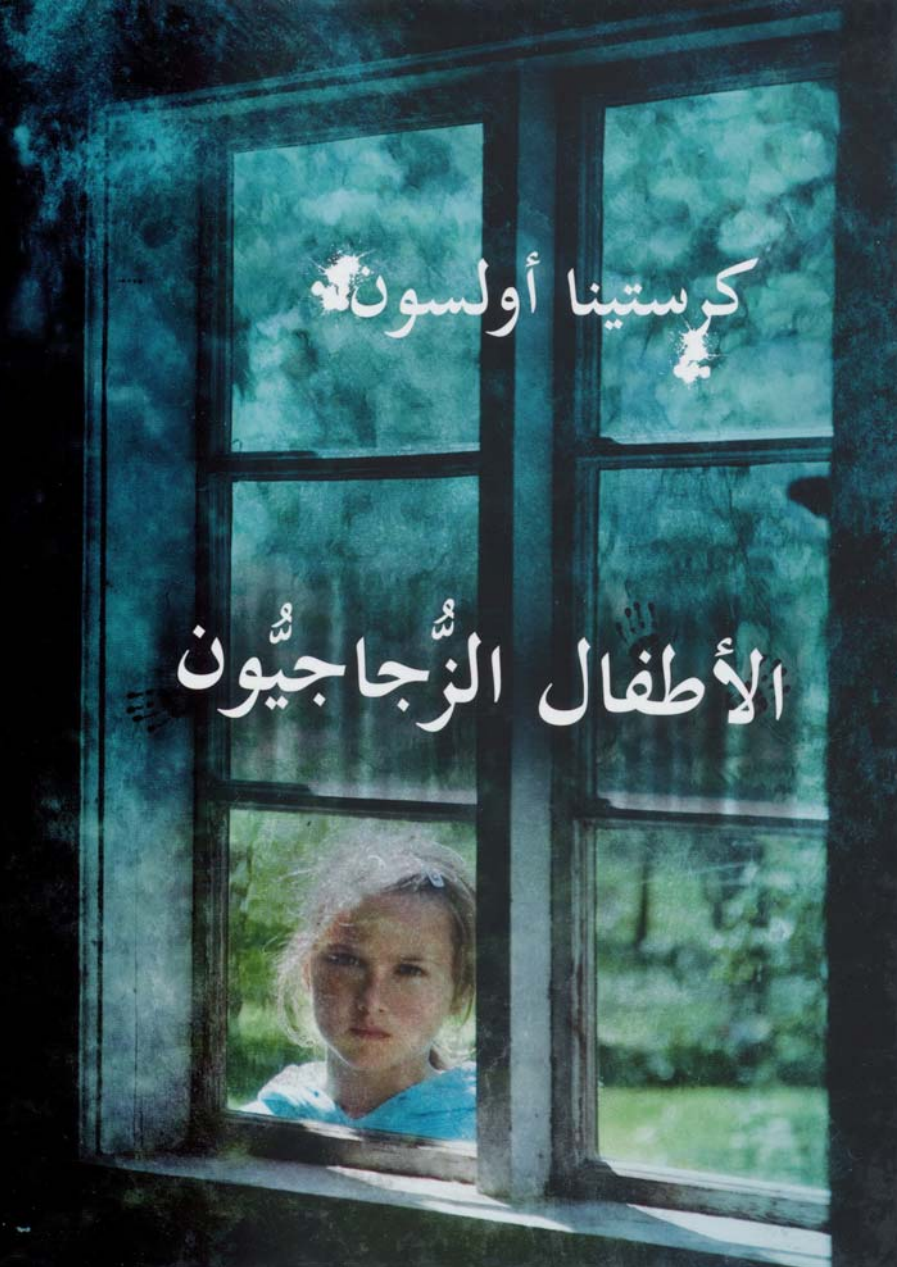

كرستينا أولسون

الأطفال الزُّجاجيُّون

النص العربي: ابراهيم عبد الملك

دار المنى

الأطفال الزُّجاجيُّون

Arabic edition © Bokförlaget Dar al Muna AB, 2015
© Text: Kristina Ohlsson
First published in Swedish by Lilla Piratförlaget 2013
under the title: Glasbarnen
Cover: Eric Thunfors
All rights for Arabic language are reserved
Published by agreement with Salamonsson Agency
Printed at ScandBook AB, Sweden 2015

ISBN: 978 91 87333 316

www.daralmuna.com

١

لَمْ يَعرِفْ أحدٌ أين ذَهَبَتْ العائلةُ التي سَكَنَتْ البَيتَ سابقاً. ففي أحَدِ أيام الصَّيفِ الماضي لَمْلَموا أشياءَهُم وانتَقَلوا وَحَسْبُ. وَمُنذُ ذلكَ الحِيْنِ ظَلَّ البيتُ خالياً.

ـ اتَّصَلوا بي في يونيو، قالَ الرَّجُلُ الذي جال ببيلّي وأمّها في البَيتِ. قالوا إنَّ الأبَ قَدْ حَصَلَ على عَمَلٍ جَديدٍ ولا بُدَّ من أن ينتَقِلوا فَوْراً. ثُمَّ سألوني إن كنتُ أستطيعُ مُساعَدَتَهُم في بيعِ البَيتِ.

هَزَّ رأسَهُ وسَبَقَهُما في صُعودِ السُّلَّمِ باتِّجاهِ البابِ الخارِجيِّ. أَحَسَّتْ بيلّي بالتَّرَدُّدِ يَنمو. أهذا هوَ مَسكَنُهُما الجَديدُ؟ التَفَتَتْ أمُّها وابتَسَمَتْ لَها.بسمةٌ جديدةٌ بَدأتْ تَرتَسِمُ على وَجْهِها مُنذُ مَرِضَ أبو بيلّي العامَ الماضي. بَسْمةٌ حزينةٌ جَعَلَتْ بيلّي تفكر في مهرجي السيرك.

فَتَحَ الرَّجُلُ البابَ الخارِجيَّ وَدَخلَ البيتَ، فَتبِعَتْهُ بيلّي وأُمُّها.

ـ لَمْ أستَطِعْ بالطَّبْعِ أن أرفُضَ عِندَما طَلبوا مِنّي المُساعَدَةَ، قالَ الرَّجُلُ. لستُ سِمسارَ عقاراتٍ في الواقعِ، ولكنَّ بيعَ البيوتِ أمرٌ يُمكنُ لأيِّ شَخصٍ أن يَقومَ بِهِ. على أنه لَمْ يكُنْ لَدَيَّ وقتٌ لِكَي أُشرِفَ على البَيْعِ عندَما انتَقَلوا. بَعدَها حَلَّ الخَريفُ والشتاءُ فاتَّصَلْتُ بِهِمْ وأخبَرْتُهُم أنه من الأفضلِ الانتظارُ حتى الصيفِ التالي.

ـ والّذينَ جاؤوا لرؤيةِ البيتِ، هل هُمْ كَثيرونَ؟ سَأَلَتْ الأمُّ.

تَرَدَّدَ الرَّجُلُ قبلَ أن يُجيبَ.

ـ حسناً، قالَ. ليسوا كثيرينَ، ولكنَّ عدَدَهُمْ لا بأسَ بِه والعديدُ مِنهُمْ كان راغباً فيه.

رأَتْ بيلّي أن الرجلَ يكذب. كانت بارِعَةً في اكتشافِ ذلكَ، إذ يبدو واضِحاً على صوتِ المرءِ أنَّهُ لا يقولُ الحقيقةَ. كَتلكَ المَرَّةِ التي سألَتْ فيها أُمَّها إن كانَ أبوها سيموتُ فأجابَتْها أمُّها أنَّه لَنْ يَموتَ بالتأكيدِ. أدركَتْ بيلّي فوراً أنَّ أُمَّها قَدْ كَذَبَت.

أَطْلَعَهُما الرَّجُلُ على كُلِّ ما يُمكنُ أنْ يُرى. ضَمَّ الطابقُ العُلويُّ غُرفَتَيْ نومٍ صغيرتَينِ بِسقْفٍ مائلٍ. أما الطابقُ الأرضِيُّ فكانَ فيهِ مَطبَخٌ، وصالَةُ جُلوسٍ، وغُرفَةُ ضُيوفٍ صغيرةٌ وَحَمّامٌ.

ـ مَطبَخٌ صغيرٌ، قالَتْ بيلّي.

ـ يَكفينا، قالَت الأمُّ.

أخَذَتْ بيلّي تَتَجَوَّلُ. كانَ بَيتاً قديماً. طِبقاً لِبيانِ المعلوماتِ الذي أعطاهُم إيّاهُ الرَّجُلُ، فقَدْ تَمَّ بناؤهُ قبلَ مِائةِ عامٍ. بَيتٌ مِنْ خَشَبٍ مَطْلِيٌّ باللونِ الأزرَقِ. كانَتْ هناكَ صُدوعٌ في الطِّلاءِ، سَبَقَ وَرأتْ ذلكَ وهي واقِفَةٌ في الحديقَةِ.

ـ لَقَدْ أعادوا طِلاءَ البَيتِ قَبْلَ أعوامٍ قليلة فقَط، قالَ الرَّجُلُ. كانَ أصفرَ سابِقاً.

وَقَفوا في الأعلى في إحدى غُرْفَتَيْ النَّومِ، وشعرت بيلّي بصعوبةِ تنفّسِ هواءِ الغُرفَةِ. رائحةُ البَيتِ كانتْ غريبةً، وكأنَّ أحَداً لَمْ يَسكنْهُ في العشرينَ عاماً الأخيرةِ. لَمْ يُهمَّها ما إذا كانَ البَيتُ أخضرَ أو أصفرَ أو أسودَ في ما مضى، فَكُلُّ ما أرادَتْهُ هُوَ تَرْكُ المكانِ والذَّهابُ إلى بَيتِهِمْ ثانيَةً.

بيتُهم؛ ذلكَ البَيتُ في كِيشانْستا حيثُ عاشَتْ طوالَ اثنَيْ عشَرَ عاماً تألَّفَتْ منها حياتُها، ولَمْ تَرغَبْ أبداً في مُغادَرَتِهِ. لَقَدْ خَطَرَ لأُمِّها أنَّ عليهما الانتقالَ الآنَ بعدَ أن لَمْ يَبْقَ سواهُما، هي وَبيلّي إلى أُوهوس، الضاحِيَةِ الصَّغيرَةِ التي لا تكادُ تبعُدُ أكثرَ مِنْ مِيلَيْنِ عنْ مَرْتَعِ طُفولَةِ

الأُمّ. رأَتْ بيلّي أنَّهما كانَتا على خَيْرِ حالٍ وأنّهما ما كانَتا لِتَستَعيدانِ والدَها لِمُجَرَّدِ تغييرِ سَكَنِهما.

ـ الأزرَقُ جميلٌ، قالَتْ الأمُّ. والأصفرُ لَطيفٌ كذلِكَ، لكنَّني أفْهَمُ أن المالِكين السّابقين أرادوا الأزرَقَ بَدلاً مِنهُ. كَمْ مَكَثوا هُنا؟

خَرَجوا من غرفَةِ النَّومِ.

أجابَ الرَّجُلُ مُتَهَرّباً:

ـ لا أذكُرُ تَحْديداً. ثلاثة، أو أربَعَةَ أعوامٍ رُبَّما؟

لَقَدْ انتَقَلُوا على عَجَلٍ كما أسلَفْتُ لأن الأمَّ حصَلَتْ على عَمَلٍ جديدٍ.

ـ ألَمْ يَكُنْ الأبُ مَن حَصَلَ عليهِ؟ قالَتْ بيلّي.

نظَرَ إليها الرَّجُلُ بِحَزْمٍ.

ـ كلا، بل هيَ الأمُّ.

سادَ الصَّمتُ الغرفةَ وسَمِعَتْ بيلّي صوتاً أتى من السَّقفِ. وكأَنَّ أحَدَهُمْ رَكَضَ بِخِفَّةٍ على صفائحِ القرميد هناك.

ـ طيور، قالَ الرَّجُلُ. يعتادُ المرءُ الصوتَ.

ارتَعَدَتْ بيلّي. كانَ البَيتُ غيرَ مُرِيْحٍ؛ بارداً وقَذِراً.

وكُلُّ ذلكَ الأثاثِ الذي خَلَّفَهُ المالكونَ السّابقونَ! رأتِ الأمُّ كيفَ كانتْ بيلّي تنظُرُ إلى الأثاثِ فَسَألَت الرَّجُلَ متى يأتي المالكونَ لأَخْذِهِ.

فتَلَعثَمَ الرَّجُلُ.

ـ في الواقعِ، إنْ كنتُ فَهِمتُ الأمرَ كما يَنْبَغي فالبَيتُ يُباعُ بأثاثِهِ، قالَ. أو لا يُباعُ بَتاتاً.

فَتَعَجَّبَت الأمُّ.

ـ أتَعني أنني إذا لَمْ أشترِ الأثاث كذلكَ فليسَ من حَقّي شراءُ البَيتِ؟

ـ لستِ بحاجَةٍ لِدَفْعِ ثَمَنِ الأثاثِ، قالَ الرَّجُلُ، ولكنَّ أحداً لَنْ يأتي كَيْ يتولّى أمرَهُ.

ـ نَعَمْ، فَهِمْتُ، قالَتْ الأمُّ. ولكنَّ بيلّي رأَتْ أنَّها لَمْ تَفهَمْ إطلاقاً؛ مَن الذي ينتقِلُ دونَ أخذِ أغراضِهِ مَعَهُ؟

ـ سأخرُجُ إلى الحَديقَةِ وأنتَظِرُ ليتَسَنّى لَكما التَفَرُّجُ بِمُفرَدِكُما، قالَ الرَّجلُ ونَزلَ السُّلَّمَ.

سَمِعَتاهُ وهوَ يُغلِقُ البابَ الخارِجيَّ وما لَبِثَتا أن شاهَدتاهُ عِبرَ النّافِذةِ.

ـ ما رأيُكِ؟ قالَت الأمُّ. عليكِ طَبْعاً ألا تُفَكّري في الأثاثِ، لأنَّهُ

لَنْ يبْقى. كما إن عليكِ أن تُفَكّري في أننا سنُعيدُ طلاءَ البَيتِ وسنُرَمِّمُهُ على هَوانا.

أحَسَّتْ بيلّي بغُصَّةٍ. لَمْ يَمْضِ عامٌ على إعادَةِ طلاءِ جُدرانِ غُرفَتِها في بَيتِهِمُ الذي في المَدينةِ. وَقَدْ ساعَدَها أبُوها في ذلكَ وتساءلوا إذ ذاك لِماذا تَعِبَ سريعاً ولماذا أصابَهُ كُلُّ ذلكَ الألَمِ في ظَهْرِهِ.

ـ لا أريدُ السَّكنَ في أوهوس، قالَتْ. ليسَ لَدَيَّ أصدِقاءُ هنا، كُلُّ مَنْ أعرِفُهُمْ يعيشونَ في المَدينةِ. كما إنَّ البَيتَ لا يُعْجِبُني.

ـ وما عيبُ البَيتِ؟ قالتْ الأمُّ.

لَمْ تَعرِفْ بيلّي من أينَ تَبْدَأ. فالغبارُ مُكَدَّسٌ في أرجاءِ البَيتِ والنوافِذُ غايةٌ في القذارَةِ، والطُّيورُ تحومُ جِيْئةً وذَهاباً فوقَ السَّطْحِ بينما يصدرُ صريرٌ مُزعِجٌ من الأرضيَّةِ والجُدرانِ مَعاً.

ـ إنَّهُ..... قَديمٌ، قالَتْ بيلّي آخرَ الأمرِ.

ـ ولكنْ يا حبيبتي، كذلكَ هو بيتنا في المدينةِ.

شَعَرَتْ بيلّي بِحَكَّةٍ في عَيْنَيها، فَدَعَكَتْهما بِكُمِّ كَنزَتِها.

لَمْ يُعْجِبْها البَيتُ، الأمرُ بهذهِ البَساطَةِ.

ـ سأنزِلُ ثانِيَةً، قالَت الأمُّ. تعالي عندَما تَكتَفينَ.

قَرْقَرَ السُّلَّمُ تحتَ خُطى الأُمِ وما لَبِثَتْ بيلّي أن سَمِعَتْها تفتَحُ خِزاناتِ المَطْبَخِ وتغلقها.

دَخَلَتْ بيلّي إلى غُرفَةِ النَّومِ الأُخرى التي ستكونُ من نصيبِها فيما لو انتقلتا إلى هنا . كانتْ مليئةً بالأغراضِ، والمكتباتِ وأثاثٍ آخر. وقدْ انتَصَبَ فيها سريرٌ ذو مِلاءَةٍ خضراءَ بمحاذاةِ أحدِ الجُدرانِ وفي أحَدِ الأركانِ مَكتَبٌ مِنْ خَشَبٍ مَطْلِيٍّ باللونِ الوَرْدِيِّ. وعلى المكتبِ دَفتَرُ رَسْمٍ وأصباغٌ مُلَوَّنَةٌ وإلى جانبِهِ تماماً كومةٌ منَ الرُّسوماتِ. بدا الأمرُ في الحقيقةِ وكأنَّ أحداً ما كانَ يجلسُ ويرسُمُ وبَعدَئذٍ نَهَضَ فَجأةً وغادَرَ. ولَمْ يَعُدْ أبَداً.

٢

انتَقَلَتا إلى البَيْتِ بعدَ ذلكَ بأربَعَةِ أسابيعَ. لَمْ تَعِ بيلّي كيفَ جرى ذلكَ.

ـ هنا أريدُ أن نسكُنَ، قالَت الأمُّ.

وهذا ما كانَ.

لأنَّ الأُمَّ نَشَأَتْ في أوهوس ولطالما ادَّعَتْ أنَّها تتوقُ إلى العودَةِ إلى هُناكَ. ولأنَّها أرادَتْ أن تَبدَآ بدايةً جديدةً في مكانٍ يقعُ على مَقرُبَةٍ من كِيشانْستا.

لَمْ ترغب بيلّي في أن تتشاجَرا؛ فقد وافَقَتْ الأُمُّ ،على الأقلِّ، على أن تستَمِرَّ بيلّي في الذهابِ إلى مَدْرَسَتِها في المَدينةِ، بِصُحبَةِ زُملاءِ دراسَتِها.

ـ يَجبُ أن نُنَظِّفَ، قالَت الأمُّ بَعدَ أن انتَهَتا من حَمْلِ صناديقِ النَّقلِ إلى الداخِلِ.

وافَقَتْها بيلّي؛ فُهُما بالفِعلِ مُجبَرتانِ على ذلكَ.

كانَ ذلكَ في يوليو، والعُطلَةُ الصَّيفيَّةُ في أوْجِها ولَمْ تستَطِعْ بيلّي أنْ تتَذْكُرَ ماذا فَعلَتْ بِذلكَ الوَقْتِ كُلِّه مُنْذُ انتهاءِ السَّنَةُ الدراسيَّةُ. وكما بدا فَإنَّ انتِقالَها إلى أوهوس أمرٌ أعجَبَ أصدِقاءها. إذْ سَيكونُ بإمكانِهِم أن يَذْهَبوا لِزيارَتِها هناكَ أثناءَ العُطْلَةِ؛ فيركبون الدَّرّاجاتِ إلى الشّاطئ ويسبحون، ويتناولون المُثلَّجاتِ في الميناء. ولَقَدْ حاوَلَتْ بيلّي أن تَبدو سعيدَةً مثلَ أصدِقائها ولكِنْ عَبَثاً. فَكَّرَتْ فقَطْ في ذلك الغُبارِ كُلِّه والقذارةِ، وفي كلِّ تلكَ الأغراضِ التي تركَتْها العائلَةُ السابِقَةُ وراءَها. وكأنَّهُم ما زالوا يسكنونَ هنا.

في الأسبوعِ الذي سَبَقَ انتقالَهُما، ذهَبَتْ بيلّي وأمُّها إلى مدينة لُوند لِزيارَةِ جَدّها وجَدَّتِها لأبيها. وكانَ جَدُّها قد أشعَلَ الشَّوّايَةَ بينَما سَلَقَتْ جَدَّتُها البَطاطا. وقد بدا أنَّ فكرَةَ انتقالِ بيلّي وأمّها قَدْ راقَتْ لهُما أيضاً.

ـ ستَعودُ البدايةُ الجَديدَةُ بالفائدَةِ علَيْكُما، قالَت الجَّدةُ ومَسَّدَتْ خَدَّ بيلّي.

بعدَها بَكَتْ بَيْنَما سَعَلَ الجَدُّ وصارَ يرمشُ وقالَ إنَّ دُخانَ الشِّواءِ قد أَزعَجَ عينيهِ. لكنَّ بيلّي رأتْ أنَّهُ كانَ حزيناً هو الآخَرُ.

لقَدْ بَكَتْ بيلّي كثيراً عندَما ماتَ أبوها حتى ظَنَّتْ أنَّ دُموعَها قدْ

نَفِدَتْ، ولكنَّها لَمْ تَنفَدْ. فغالباً ما تنهَمِرُ ليلاً وأحياناً في وَضَحِ النَّهارِ. لم يمرَّ عليها شتاءٌ ولا ربيعٌ بمثلِ تِلْكَ الفَظاعَةِ.

لَمْ يَزَلْ بَيتُ المَدينَةِ مِلْكاً لَهما، ولكِنَّهُ كانَ سَيُعرَضُ قريباً للبَيْعِ. أَمِلَتْ بيلّي ألا يأتي أحدٌ للتَفرُّجِ عليْهِ، وبذلك يصبحُ لزامًا عليهما أن تعودا إلَيْهِ. وقد اعتَقَدَ السِّمسارُ أنَّ بَيعَ البَيْتِ سيكونُ أسهلَ إذا ما بَقِيَ مُؤَثَّثاً. لهذا قرَّرتِ الأمُّ أنَّ بِوسعِهما التَّرَيُّثَ في نَقْلِ أَغراضِهما إلى البَيْتِ الجَديدِ.

ـ يُوجَدُ الكثيرُ من الأثاثِ هناكَ والتخلّص من كُلِّ شيءٍ يأخُذُ وَقتاً طَويلاً، قالَت.

ولكِنَّ بيلّي رَفَضَتْ عندَئذٍ.

ـ مستحيلٌ أن أضطَجِعَ وأنامَ في أسرَّتِهم المُقرِفَةِ القَديمَةِ! صَرَخَتْ.

وافَقَتْها أُمُّها. نعم سَتَستَبدلانِ الأسِرَّةَ، ولكِنَّهما سَتَسْتَخْدِمانِ بَقيَّةَ الأثاثِ.

كانَ الجَوُّ حارّاً حينَ أدخَلَتا حاجياتِهما. أزاحَتْ بيلّي أشياءً مُلقاةً في غُرفَتِها وَرَمَتْها في صناديقَ كبيرةٍ جلَبَتْها أُمُّها مَعها. ثُمَّ رَتَّبَتْ المَكتَبَ الوَرديَّ الكبيرَ الذي كانَ يبدو وكأنَّ أحدَهُمْ جلسَ وَرَسَمَ عَلَيْهِ. بِحَذَرٍ

أزاحَتْ الرُّسوماتِ المُلقاةَ على المَكتَبِ. لَمْ تَكُنْ مُتَأكِّدَةً، لكنَّها ظَنَّتْ أنَّ فتاةً رَسَمَتها. أغلَبُها كانَ بالأبيضِ والأسوَدِ. قِلَّةٌ منها كانتْ مُلَوَّنَةً.

مَثَّلَتْ الرُّسوماتُ أشياءَ مُختَلِفَةً:

قِطَّةً كبيرةً جالسَةً على صَخْرَةٍ.

أَجَمَةً اعتَقَدَتْ بيلّي أنَّها تُمَثِّلُ غابَةً. وصَبيّاً يَتَطَلَّعُ ناظِراً مِنْ خَلْفِ أحَدِ الجُذوعِ.

رَسمٌ آخرَ مَثَّلَ صَبيَّةً بَدَتْ غاضِبَةً جِدّاً.

وَضَعَتْ بيلّي الرُّسوماتِ في قَعْرِ الصُّندوقِ وَغَطَّتْها بأشياءَ أُخرى. لَمْ يُعْجِبْها أنَّ آثارَ العائلةِ السابِقَةِ كانتْ بِهذا الوضوحِ. تَحَدَّثَتْ أُمُّها عن حاجَتِهما إلى بِدايَةٍ جَديدَةٍ، ولكنْ كيفَ يُمكِنُ الشُّعورُ بالأشياءِ جديدةً في بيتٍ بِهذا القِدَمِ؟

ظَهَرَتْ أمُّها عِندَ فَتْحِ البابِ.

ـ سأذهَبُ للتَسَوُّقِ. هل تودّينَ مُرافَقَتي؟

فَكَّرَتْ بيلّي. كَلّا، لا تريدُ التَّسَوُّقَ.

ـ حسَناً، قالَت الأُمُّ. سأعودُ بعدَ قليلٍ.

هكذا كانتْ بيلّي، للمرةِ الأولى، وحيدةً في البَيتِ الجَديدِ.

٣

حين غادَرَت الأمُّ سادَ الصَّمتُ البيتَ. وَضَعَتْ بيلّي آخرَ الأشياءِ التي أرادَتْ إخلاءَ الغُرفَةِ منها في صُندوقٍ ونَزلَتْ إلى الطابقِ الأرْضِيّ لِجَلبِ المِكْنَسَةِ الكَهْرُبائيةِ. كانت الأمُّ قَدْ تَرَكَتْ البابَ الخارِجِيَّ مفتوحاً عندَما ذهَبَتْ فسارَعَتْ بيلّي إلى إغلاقِهِ وإقفالِهِ.

عندَما أُغلِقَ البابُ سَمِعَتْ نافِذَةً تضطَرِبُ في إحدى الغُرَفِ. بِهُدوءٍ سارَتْ على أطرافِ قَدَمَيها لِتَدخُلَ صالَةَ الجُلوسِ ولكنَّ نوافِذَها جميعاً كانتْ مُغلَقَةً. وَقَفَتْ بيلّي ساكِنَةً تماماً وأَصْغَتْ. استَمَرَّ الصوتُ ولكِنَّهُ أتى مِنْ مكانٍ آخر.

ثُمَّ رأَتْ ما أنساها الصوتَ لِلَحظَةٍ.

الثريّا في صالَةِ الجُلوس.

لَقَدْ تَحَرَّكَتْ. تمايلَتْ بِبُطءٍ إلى الأمامِ والخَلفِ، كالبَنْدولِ في ساعَةٍ قديمةٍ.

لا بُدَّ من أنَّها الرِّيحُ القادمَةُ مِنَ النّافِذَة، فَكَّرَتْ بيلّي. ولكِنْ لَمْ تَكُنْ أيٌّ من نوافِذِ صالَةِ الجُلوسِ مفتوحَةً. كيفَ تَيَسَّرَ للثُرَيّا إذَنْ أن تتمايلَ إلى الأمامِ والخَلْفِ؟

دَخَلَتْ غرفةَ الضيوفِ. غطّتِ الصَّناديقُ والنّفاياتُ الأرضيَّةَ بأكمَلِها تقريباً. تَنَفَّسَتْ بيلّي الصُّعَداءَ عندما رأت النافِذَةَ مفتوحةً على مِصراعَيْها. وبسرعَةٍ أغلَقَتْها. كانَ الأمرُ أشبَهَ بالبابِ، فهيَ لم تَجرؤْ على تركِها مفتوحةً، ولم تَجرؤ على الذهابِ إلى صالَةِ الجُلوسِ والنَّظَرِ إلى الثُّرَيّا كذلكَ؛ ماذا لو أنَّها لَمْ تَزَلْ تَتَحَرَّك.

وَجَدَتْ بيلّي المِكنَسَةَ الكهربائيَّةَ في زاويَةٍ عِندَ البابِ. ساءلتْ نفسَها إن كانت قد مَرَّتْ سابقاً بِعُطْلَةٍ صَيفِيَّةٍ أغرَبَ، عطلةٍ صيفيَّةٍ مِلْؤها الانتقالُ في السَّكَنِ والتَّنظيف، عطلَةٍ صيفيَّةٍ دونَ أبيها. أَجْهَدتْ نَفسَها سَعياً إلى سحبِ نَفسِها.

حينَ رَفَعَتْ بيلّي المكنَسَةَ لَمَحَتْ طاولَةً صغيرةً. كانت الطاولَةُ واطئةً كطاولاتِ المَجالِسِ، ولكنَّها أصغَرُ بكثيرٍ. تساءلَتْ عَنْ فائدَتِها، هل هيَ يا تُرى كتلكَ التي تضَعُ جَدَّتُها الوردَ عليها؟

كانَت الطّاوِلَةُ مَكسُوَّةً بالغُبارِ ولكِنَّ بيلّي تَمَكَّنَتْ مع ذلكَ مِنْ أنْ

ترى أنَّها مُلَوَّنَة. كانت سيقانُها مِنْ مَعدَنٍ بينما تألَّفَتْ صحيفَتُها من أحجارٍ صغيرةٍ لامِعَةٍ زرقاءَ وحمراءَ وذَهَبِيَّةٍ. بِحَذَرٍ خَطَّتْ بإصبَعِها خَطّاً على الغُبارِ ورأتْ الأحجارَ تَلمَعُ. قَرَّرَتْ أن تسألَ أُمَّها عَمّا إذا كانَ بإمكانِها أخذُ الطاولَةِ إلى غُرْفَتِها.

حينَ حَمَلَتْ المكنَسَةَ مَعَها إلى الأعلى، فَكَّرَت ثانيةً بالثُّرَيّا التي تمايَلَتْ في كُلّابِها المُثبَّتِ في السَّقفِ. كانَ جَليّاً أنَّ تَيّارَ الهواءِ في غرفَةِ الضُّيوفِ هو ما دَفَعَها إلى الحَرَكَةِ. وإلا ما الذي سَبَّبَ ذلكَ؟

اختَفَت الشَّمْسُ خلفَ قِمَمِ شَجَرِ الصنوبرِ المُرتَفِعِ الذي نما على الجانِبِ الآخَرِ من الطريقِ قُبالَةَ بَيتِهما. جَلَسَتْ بيلّي وأمُّها على السَّطْحِ تأكلانِ السباغيتّي بِصَلْصَةِ اللحمِ المفروم.

ـ أَلَنْ نَركَبَ دَرّاجَتَينا إلى البَحرِ ونستَمتِعَ بِغَطْسَةٍ لَيْلِيَّةٍ؟ قالَت الأمُّ وتألَّقَتْ عيناها. أرى أننا نستَحِقُّ ذلكَ بعدَ هذا العناءِ كُلِّه.

ركوبُ الدرّاجةِ والسِّباحةُ لَيلاً. كم راقت لها الفكرةُ. شَرِبَتْ بيلّي كأسَ حليبِها دفعَةً واحِدَةً ومَضَتْ مَعَ أُمِّها.

ـ ماذا حَدَثَ باعتِقادِكِ للعائلَةِ السّابِقَةِ؟ قالَتْ بيلّي بعدَ أنْ قادَتا

دَرّاجَتَيْهما صامِتَتَين لِوَهْلَة.

ـ ماذا تَعنينَ بأنَّ شيئاً حَدَثَ؟

ـ لا أعرفُ بالضَّبْطِ، أليسَ غريباً أنَّهم سافَروا هكذا فَقَطْ وتَركوا وراءَهم تلكَ الأغراضَ جَميعَها؟

ـ بَلى، قالَت الأُمُّ. ذلكَ كُلُّهُ غريبٌ بعضَ الشيءِ، أنْ يرَحلوا كما فعلوا. ولكنَّ ذلكَ مما يحدثُ أحياناً. قَدْ تتغَيَّرُ الأشياءُ والأمورُ بِسُرْعَةٍ.

بَعدَئذٍ لَمْ تقولا شيئاً حتّى بَلَغَتا الشّاطئ.

كانَ الماءُ أزرقَ بارِداً. وما مِنْ نَسْمَةٍ واحدة تحركُ سطحَ الماءِ الأملَسَ. تَوَقَّفَتْ بيلّي عندَ وصولِ الماء إلى رُكبَتَيها بينَما واصلَتْ أُمُّها حتى بَلَغَ الماءُ خَصرَها. عندَئذٍ رَمَتْ بنَفسِها إلى الأمامِ واختَفَت وَسَطَ تلكَ الزُّرْقَةِ. بعدَ بضعِ ثوانٍ طَفَتْ ثانيَةً.

ـ آه، يا لِروعَةِ الماءِ! صاحَتْ. تعالَيْ يا بيلّي!

رَكَضَتْ بيلّي نحوَ أمّها. لقد نسيَتْ أنَّ الماءَ في أوهوس كانَ على الدوامِ بارِداً. وأنَّهُ كانَ ضَحْلاً جدّاً. وقَد اعتادَ جَدُّها لأبيها القولَ إنَّ الماءَ هنا كانَ من الضحالَةِ حتى أنَّ بإمكانِ المرءِ السيرَ فيهِ حتى الوصولِ إلى بولَندا.

كانَ الشاطئُ ضيّقاً وطويلا. وبعيداً هناكَ إلى اليمينِ يلمَحُ المَرءُ الممشى الخشبيَّ عندَ مَدخَلِ الميناء. عَزَمَتْ بيلّي على قيادَةِ دَرّاجَتِها إلى الميناءِ حالَما تَوَفَّرَ لَها الوَقْتُ. فالمَكانُ هناكَ مُلائمٌ للقراءة.

في تلكَ اللحظةِ بعدَ أن فَرَغَتْ من السباحَةِ وبدأتْ تُلُفُّ منشَفَتَها كانَ أنْ رأَتْهُ؛ فَتى داكِنُ الشَّعرِ بُنّيُّ العَيْنَين. جَلَسَ على الرَّمْلِ على مسافَةٍ مِنهُما مُرتَدياً سروالاً قصيراً أحمرَ لا غَيرَ. لماذا جَلَسَ يُحَدِّقُ فيهما؟

خَرَجَتْ الأمُّ من الماءِ وَأَطلَقَتْ شَعْرَها. ولا بُدَّ من أنَّها تَتَبَّعَتْ نَظرَةَ بيلّي لأنَّها قالت:

ـ كَمْ يبدو وَسيماً.

شَعَرَتْ بيلّي بِاحمِرارِ وَجْهِها. لماذا يظُنُّ الأهلُ دائماً أنَّ قولَ أشياء كهذهِ أمرٌ لا بأسَ بِهِ؟ وَسيمٌ. أهكذا يُوصَفُ الأطفالُ؟

ـ إنَّهُ ليسَ كذلكَ على الإطلاقِ، قالَت بيلّي. فما هو إلا أخرقُ وهوَ يَجلِسُ ويُحَدِّقُ هكذا.

وجّهتْ نظرةً حانقةً إلى الفَتى الذي أدارَ وَجْهَهُ بِبُطءٍ لِيَنظُرَ إلى شيءٍ آخر. ولكنَّهُ، حينَ مَرَّتْ بيلّي وأُمُّها بِجانِبِهِ بعدَها بِقَليلٍ، نَظَرَ إلَيهِما

ثانيَةً. مَشَقَتْ بيلّي قامَتَها ونَظَرَتْ مُعتَرِضَةً إلى الجِهَةِ الأخرى. خالَجَها الشُّعورُ بأنَّ نَظَراتِهِ ظَلَّتْ تَتْبَعُهما حتى بَلَغَتا دَرّاجَتَيهما وغادَرَتا.

كانتْ قدْ بَدأتْ تُعتِمُ عندَما عادَتا إلى البَيتِ ثانيَةً. أخذَت الأمُّ المناشِفَ وذَهَبَت لِتَنشُرَها في حُجرَةِ التنشيفِ التي تنتصبُ بجانِبِ المَخزَنِ خلفَ البَيتِ.

ـ ادخُلي أنتِ وسألحَقُ بِك، قالَت.

سارَتْ بيلّي بِخُطى عَجلى حولَ البَيتِ وصعدَتْ إلى السَّطْحِ. أَجَمَةُ أشجارِ الصُّنوبرِ في الجهةِ الأخرى من الطريقِ كانتْ مُعتِمَةً وَمُرتَفِعَةً. العديدُ من البُيوتِ المحيطَةِ كانَ مُضاءً، ولكِن حدائقها كانتْ كبيرةً وواسعة وبدتْ بعيدةً عنها. ركض سنجابٌ كانَ يختَبئ حتماً على السَّطْحِ نازلاً السُّلَّمَ مما دَفَعَ بيلّي إلى القَفْزِ عالياً.

فَكَّرَتْ بِصَبيّ الشّاطئ وارتَعَشَتْ يدُها قليلاً عندما أَخرَجَت المفاتيحَ من جَيبِها وفَتَحَت البابَ. بِخِفَّةٍ دَخَلَتْ وأوصَدَت البابَ خَلفَها. لَمْ يَزلْ على قَدَمَيها رملٌ أزالَتْهُ عنهُما بيدَيها، فأمطَرَتْ ذرّاتِ رَملٍ صغيرةً صفراءَ على سجّادَةِ المَدخَلِ.

أومَضَ مصباحُ المَدْخَلِ عندما أشعَلَتْهُ. وتذكّرتْ تلكَ الطاولَة الصغيرةَ في غرفَةِ الضُّيوفِ. رُبَّما كانَ بإمكانِها مَسحُها وحَملُها إلى غُرفَتِها في الحالِ؟

لَمْ تحتَوِ غُرفَةُ الضُّيوفِ على ثُرَيّا بلْ كانَ فيها مصباحٌ حائطِيٌّ صغيرٌ لَوَّنَ ضَوءُهُ الشَّحيحُ الغرفَةَ باللونِ الأصفَر. توَجَّهَتْ بيلّي نحوَ الطاولَةِ الصغيرَةِ وانحَنَتْ كيْ تَرفَعَها، فَتَيَبَّسَتْ. لا يمكنُ أن يكونَ ما رأتْ صحيحًا. جَلَسَتْ بيلّي القُرفُصاءَ حتى تَقْتَرِبَ أكثَرَ. كلّا، لَمْ تُخطِئ عيناها. وكُلَّما أمْعَنَت النَّظَرَ في صحيفَةِ الطّاولَةِ المُغبَرَّةِ ازدادَ خَوفُها.

فوقَ الخَطِّ الذي جَرَّتْهُ بِنَفسِها طَبَعَ أَحَدُهُمْ طَبْعَاً لِيَدٍ صغيرةٍ جِدّاً. وَكَأنَّما دخلَ طِفلٌ إلى البَيتِ بينما ذهَبتا كَي تَسبحا، ووَضَعَ يَدَهُ على الغُبارِ ليغادِرَ المكانَ بَعدَئذٍ.

٤

مَهما حاولَتْ، لَم تستَطِعْ بيلّي التَّوَقُّفَ عن التَّفكيرِ بطبْعِ اليَدِ في الغُبارِ. لقد كانَ أحدُهُمْ في البَيتِ أثناءَ غيابِهما. ولكنَّ أمَّها لَمْ تُصَدِّقْ. قالت إنَّ بيلّي نفسَها هي منْ طبعَ ذلك الأثرِ.

ـ ولكنْ، انظري! قالت بيلّي ومَدّت يَدَها فوقَ الطَّبْعِ لتُبَيِّنَ فَرْقَ الحجْمِ. يَدي أكبَرُ بكثيرٍ!

لَمْ تَفْهَمْ كيفَ أنَّ أمَّها ظَنَّتْها تَكذِبُ.

ـ ما الَّذي تَعْتَقِدينَهُ إذَنْ؟ قالت الأُمُّ. أنَّ طفلاً صغيراً تسَلَّلَ إلى البَيتِ؟

لَم تَعرِفْ بيلّي ما الذي تَعتَقِدُهُ ولذلكَ لَمْ تَرُدَّ. ولكنَّها خافَتْ. صَعُبَ عَلَيْها النَّومُ ليلاً، وصارتْ تستيقِظُ في منتصَفِ الليلِ بسببِ الطُّيورِ التي تتحرّك على السَّطحِ وبسببِ صَريرِ الأرضيَّةِ والجُدرانِ.

ـ هذه هيَ حالُ البيوتِ القديمةِ، قالت الأمُّ. فَهيَ تُصدرُ أصواتاً.

لكنَّ بيلّي شَعَرَتْ بِعَدَمِ الأمانِ في البَيتِ وَنَما وَكَبَرَ لديها شعورٌ بأنَّ الأمورَ فيهِ لَيْسَتْ على ما يُرامُ. وأحياناً أحسَّتْ بِوجودِ مَنْ يُشارِكُهُما السَّكَنَ هناكَ.

أَمِلَتْ أنْ يتحسَّنَ الأمرُ بعدَ فَترَةٍ من سَكَنِهما فيهِ. لقَدْ كانتْ أكبَرَ سِنّاً من أن تَعتَقِدَ بوجودِ الأشباحِ، والحقُّ مَعَ أُمِّها في استحالَةِ دخولِ طِفلٍ إلى البَيتِ أثناءَ غيابِهما عنهُ. ولكنَّ من حقِّ المَرْءِ إذَنْ أن يتساءلَ كيفَ وَصَلَ طَبْعُ اليَدِ إلى الغُبار.

بَدأتْ تُمطِرُ. أمضَتْ بيلي وَقْتَها كُلَّهُ تقريباً في غُرفَتِها حيثُ استَلقَتْ في السَّريرِ تَقرأُ بينما نقَرَتْ قَطراتُ المَطَرِ على صفائحِ السَّقْفِ.

بعدَ خمسةِ أيامٍ استمرَّ الطقسُ فيها رديئا رأَت الأمُّ أنَّهُما قَدْ أتَمَّتا تَرتيبَ البَيتِ وفي الوَقْتِ نفسِهِ عادَت الشَّمسُ ثانيةً.

ـ أليسَ المفروضُ أن نرمي الأغراضَ التي وضعناها في الصناديق؟ قالت بيلّي بعدَ وضعِ آخرِ حاجياتِ غُرفَةِ الضيوفِ.

ـ بلى، ولكنَّ الطَّقسَ كما رأيتِ كانَ رديئاً جدّاً، قالت الأمُّ. وَمارتِن، تعرفينَهُ، الرَّجُلُ الذي أرانا البيتَ، وَعَدَني بِتَوَلّي أمرِ كُلِّ شيءٍ

إن تركتُ كلَّ شيءٍ على حالِه.

تَذَكَّرَتْ بيلّي الرَّجُلَ، كما تَذَكَّرَتْ أنَّهُ لَمْ يُعْجِبْها بالدرجَةِ نفسِها التي لم يُعجِبْها بها البيتُ. كانَ اسمُهُ مارتن.

ـ لقد كذبَ كثيراً، قالت.

ـ رجاءً بيلّي، قالت الأُمُّ.

بدا عليها التَّعَبُ.

ـ ولكنَّهُ فَعَلَ ذلكَ حقّاً قالت بيلّي بعنادٍ. لقد قالَ إنَّ العائلةَ السابِقَةَ انتَقَلتْ لأن الأبَ حصلَ على عمَلٍ جديدٍ وبعدَها تَبَيَّنَ فجأةً أنَّ الأمَّ هي من حصلتْ على ذلكَ العَملِ.

ـ لَعَلَّهُ لَمْ يَتَذَكَّرْ، قالَتْ الأُمُّ. كُفِّي عنْ التَشَبُّثِ بتلكَ الأفكارِ.

ولكِنَّ بيلّي فَكَّرَتْ في اليَدِ المطبوعةِ على الغُبارِ ولَمْ تَفْهَمْ كيفَ استطاعَتْ أُمُّها ألا يصيبها الرعبُ مِمّا حَدَثَ.

أفضَلُ ما في أوهوس أنَّها كانتْ صغيرةً. فلا شيءَ يقَعُ بعيداً، ويمكنُ بُلوغُ أيِّ مكانٍ بالدّرّاجَةِ. اتَّخَذَتْ بيلّي عادَةً جَديدَةً هي محاوَلَةُ التَّنَزُّهِ يوميّاً.

المكانُ الذي فَضَّلَتْ أن تُعَرِّجَ عليه كانَ المَكتَبَةَ العامّةَ التي تَقَعُ خَلْفَ مَتجَرِ الطَّعامِ عندَ الميناء. أحَبَّتْ بيلّي الكُتُبَ. حتّى أنَّها قَرَّرَتْ ألّا تَحْزُمَ الكُتُبَ التي تَرَكَتْها العائلَةُ السابقَةُ في مَكتَبَةِ غُرفَتِها وتَرميَها.

صارَتْ مُوَظَّفَةُ المَكتَبَةِ تعرِفُ بيلّي مع مرور الوقتِ فَحَيَّتْها بِلُطْفٍ عندَما أتَتْ إلى مَكتَبِ الاستعارَةِ للسؤالِ عنْ كتابٍ حَجَزَتْهُ:

ـ أنتِ مَحظُوظَةٌ، قالت الموظَّفَةُ وابتسَمَت. لَقَدْ وَصَلَ للتَّوِّ!

استَدارَت وتناولت كتاباً عن الرَّفِّ الذي خلفَ المَكتَبِ. كانَ الكتابُ سَميكاً ذا غلافٍ بُنّيٍّ وقد أُحيطَ بشريطٍ مَطّاطيٍّ أمسَكَ بِوَرَقَةٍ كُتِبَ عليها اسم بيلّي وعُنوانُها.

ـ حَسَناً، فَلْنَرَ الآنَ، قالَتْ المُوَظَّفَةُ وأزالَتْ الشَّريطَ المَطّاطيَّ.

أخرَجَتْ بيلّي بِطاقَةَ الاستعارَةِ خاصَّتَها. وعندَما مَدَّتْ يدَها بالبِطاقَةِ إلى المُوَظَّفَةِ، إذا بِها تَدْفَعُ دونَ قَصدٍ الورَقَةَ المُرفَقَةَ بالكتابِ مما أدّى إلى وقوعِها على الأرض. وتماماً عندَما أرادَتْ الانحناءَ كي تَلتَقِطَها، سَمِعَتْ صوتاً يقولُ:

ـ لا بأسَ، سألتَقِطُها نيابةً عَنكِ.

أجفلتْ بيلّي، لأنَّها لَم تُلاحِظْ وُقُوفَ شَخْصٍ خَلفَها. سَيِّدَةٌ مُسِنَّةٌ

التَقَطَتْ الوَرَقَةَ وَقَرأتْ ما فيها قبلَ أن تُناوِلَها إلى بيلّي.

كانت السيِّدَةُ قصيرةً جدّاً، حتّى أنَّها أقصرُ من بيلّي، وترتدي ملابسَ غايةً في الغرابَة. فستاناً طويلاً بدا وكأنَّهُ أعتَقُ منها، ورائحتُها غريبةٌ كذلكَ. كَرائحةِ الدُّهنين . لاحَظَتْ بيلّي أنَّ المُوَظَّفَةَ تَعَرَّفَتْ على السَّيِّدَةِ. ولَمْ تَبْدُ سعيدَةً لِذلكَ.

ـ إيلّا، لَمْ يَصِلْ كتابُكِ حتّى اليوم، قالتْ بِنَبرَةِ المُنزَعِج.

كأنَّ المُوَظَّفَةَ رأتْ أنَّ زياراتِ السيِّدَةِ للمكتَبَةِ قد تَكَرَّرَتْ أكثرَ مما يجبُ، وكأنَّ ذلكَ لَمْ يُعْجِبْها.

ـ حقّاً؟ قالت السيِّدَةُ. إذَن فعَلَيَّ أن أعودَ في يومٍ آخرَ.

ـ لقد أخبرتُكِ أننا سَنَتَّصِلُ بِكِ عندَ وصولِ الكتابِ.

وقفَتْ السيِّدَةُ صامِتَةً وقالَتْ بعدَ حين:

ـ لَسْتُمْ في حاجَةٍ للاتِّصالِ. فليسَ لَدَيَّ الكثيرُ لأفْعَلَهُ، ويَسُرُّني أن أَمُرَّ بِكُمْ بِنَفسي.

ثُمَّ التَفتَتْ إلى بيلّي:

ـ رأيتُ في الورَقَةِ أنَّكِ تسكنينَ في سبارِيسفَيغَن، قالَتْ. لا تقولي إنَّكمْ انتَقَلتُمْ إلى البَيْتِ الأزرَقِ الذي يُقابِلُ أجَمَةَ الصَّنوبَرِ؟

كانَ صَوتُها وَدُوداً ولكنَّ عَيْنَيها كانتا قَلِقَتَيْنِ. تَلَوَّتْ بيلّي. لماذا تهتَمُّ تلكَ السيّدَةُ بمَحَلِّ سُكناها؟

ـ بَلى، قالَتْ في نهايةِ الأمرِ. ولكنَّنا لَمْ نسكُنْ هناكَ منذُ مُدَّةٍ طويلَةٍ.

هَزَّت السَّيِّدَةُ رأسَها ورأتْ بيلّي أنَّها بَدَتْ حَزينَةً.

ـ وأنا التي كنتُ متأكِّدَةً من أنَّ أَحَداً لَنْ يَسكُنَ البَيتَ بَعْدَ العائلَةِ السّابقَةِ، قالَتْ.

أعطَتْ مُوَظَّفَةُ المكتَبَةِ بيلّي كِتابَها وبِطاقَتَها.

ـ شُكراً، قالَتْ بيلّي أوتوماتيكياً.

ـ العَفوَ. أسرِعي الآنَ إلى البَيتِ قبلَ أن تَمْلأكِ إيلّا بالشائعات.

فغَضِبَت السيّدَةُ.

ـ لَمْ أَقُلْ شيئاً بَعْدُ، قالَتْ بِصَوتٍ مُرتَفِعٍ.

ـ كلّا، ولنْ تَفْعَلي ذلكَ ، قالَت المُوَظَّفَةُ. الفتاةُ مُرتاحَةٌ في سَكَنِها حَتْماً، ولا حاجَةَ بِها على الإطلاقِ إلى سماعِ قِصَصِكِ.

فَتَذَمَّرَت السَّيِّدَةُ.

ـ قِصَص، قالتْ مُنزَعِجَةً. ما هذا الهُراءُ، إنَّها حقيقيَّةٌ مثْلَ وقوفي ها هُنا الآنَ.

ما الذي تتكلَّمان عَنْهُ؟ فكَّرَتْ بيلّي.

ضَمَّت الكتابَ إلى صَدْرِها.

ـ هل يشكو بيتُنا من علّة ما؟ قالَتْ مُحاوِلَةً أن يَدُلَّ صوتُها على الصَّلَفِ.

باءتْ تلكَ المُحاوَلَةُ بالفَشَلِ، فَلَمْ يَكُن صوتُها راسِخاً لِيَتَحَوَّلَ شيئاً فَشَيئاً إلى هَمْسٍ.

ـ لا أبَداً، قالَتْ مُوَظَّفَةُ المكتَبَةِ. كُلُّ ما في الأمرِ أنَّ إيلّا تَتَوَهَّمُ أشياء.

أيَّةُ أشياءٍ، أرادَتْ بيلّي أن تسألَ. ولكنَّها لَمْ تَفعَلْ. شيءٌ ما كَبَتَ فُضُولَها، وكأنما كانت تَخشى ما يُمكنُ أن تَسمَعَهُ.

ـ أنا لا أتَوَهَّمُ شيئاً، زَمْجَرَتْ السَّيِّدَةُ التي تُدْعى إيلّا. ولكنْ لا تَقلَقا، فَلَنْ أُزعِجَكُما أكثرَ من هذا.

ثُمَّ غادرتِ المَكتَبَةَ. واضطَرَبَتْ تَنّورَةُ فُستانِها لِمشيَتِها.

ـ انتَظِري قليلاً، حتى لا تجديها واقِفَةً هناكَ تنتَظِرُ خُروجَكِ، قالت موظَّفةُ المكتبةِ.

لم تستَطِعْ بيلّي التَّخَلُّصَ من شعورِها بأنَّ السَّيِّدَةَ حاوَلَتْ أن تُخبِرَها

بأمرٍ ما، أمرٍ مُهِمّ.

ـ أيَّةُ إشاعاتٍ؟ قالَتْ بحَذَرٍ.

ـ لا شيءَ يستَحِقُّ أن تشغَلي بالَكِ به، قالَت موظَّفَةُ المكتَبَة. إنَّها إيلّا وكلامُها الفارِغُ فقَط. لقد سَكَنَتْ بَيتَكِ عوائلُ مختلفةٌ عَديدَةٌ في السنواتِ القليلةِ الفائتةِ ويبدو أن ذلكَ قَدْ أوقَدَ خيالَ إيلّا.

ظَلَّتْ بيلّي واقِفَةً عندَ مَكتَبِ الاستِعارَةِ مُحتَضِنَةً كتابَها، يغمُرُها التساؤلُ حول ما أرادَتْ إيلّا أن تُخبِرها بِهِ. كما تساءلَتْ عن ما يجعلُ عنوانَها مشهوراً إلى هذا الحدّ حتى أنَّ السَّيِّدَةَ وموَظَّفَةَ المكتَبَةِ تعرفانِه؟

ـ يَجِبُ أن أذهَبَ إلى البَيتِ الآنَ، غَمْغَمَتْ.

دونَ أن تَعرِفَ السببَ يَقيناً، هَرْوَلَتْ خارِجَةً من المَكتَبَةِ واتَّجَهَتْ إلى دَرّاجَتِها. لَمْ تَنتَظِرْها السَّيِّدَةُ. وليسَ أقلَّ من مَرَّتَيْنِ، أفلَتَ مِنها المفتاحُ عندَما أرادَتْ فَتْحَ قُفلِ الدَّرّاجَةِ.

هنالِكَ خطبٌ ما يخصّ البيت. تماماً كما شَعَرَتْ بيلّي طوال الوَقْتِ.

٥

ـ أَلَنْ تأتي بأحدِ أصدِقائكِ إلى هُنا قريباً؟ قالت الأمُّ وهُما مُستَلْقيَتانِ على الشّاطئ في أحدِ الأيامِ التّاليَةِ. أنتِ تلتقينَ بأصدقائكِ عندَما نكونُ في كيشانستا فقط.

كانت بيلّي قد فَكَّرَت في الأمرِ. ولَقَدْ آنَ أوانُ ذلك. فأصدِقاؤها في المَدينَةِ طَلَبوا مِراراً وتكراراً السَّماحَ لَهُمْ بزيارَتِها.

ـ رُبَّما تستطيعُ سيمونا المجيءَ، قالَت.

ـ تبدو هذه فكرَةً حَسَنَةً، قالت الأمُّ.

نَظَرَتْ إلى بيلّي عِبرَ نَظّارَتِها الشَّمْسِيَّةِ ووَكَزَتْها.

ـ أَليسَ ذلكَ الصبيَّ الذي رأيناهُ عندَما كُنّا هُنا ؟ قالَت.

أومَأَتْ باتِّجاهِ صبيّ داكِنِ الشَّعرِ يجلسُ على الرَّملِ على مسافةٍ منهُما. تَعَرَّفَتْ بيلّي عَلَيهِ حالاً. كان يرتدي السروالَ الأحمَرَ القصيرَ نفسَهُ وَبَدا وكأَنَّهُ لَمْ يُحْضِرْ مَعَهُ بِساطاً شاطِئياً هذه المرَّةَ كذلك.

ـ لِماذا يجلسُ هناكَ فقَطْ وَيُحَدقُ؟ قالَت بيلّي وسمِعَتْ بِنَفسِها كم دَلَّت نَبرَتُها على انزعاجِها.

ـ لَعَلَّهُ يشعُرُ بالضَّجَر، قالت الأمُّ. اذهَبي وتكلَّمي مَعَهُ قليلاً.

تَماماً كعادَتِها في اقتراحِ أمورٍ بهذا الغَباءِ. ''اذهبي وتكلَّمي مَعَهُ.'' لا يفعَلُ المرءُ أمراً كهذا! الناسُ كُلُّها تُدرِكُ ذلكَ.

ـ لا شُكراً، قالَت.

نَهَضَت أمُّها وأَزالَت الرَّملَ عَنْ ساقَيْها.

ـ هل سَتَسْبَحينَ مَعي؟

رَكَّزَتْ بيلّي بَصَرَها في الكتابِ الذي كانتْ تَقرأُهُ.

ـ إنَّ المياهَ باردَة.

ـ كما تُريدينَ، قالَت الأمُّ وَخَلَعَتْ نَظّارَتَها الشَّمسِيَّةَ. أيُمكِنُ أن تعتني بأشيائي رجاءً.

ثُمَّ استَدارَتْ وركَضَتْ نَحوَ الماءِ.

مَكَثَتْ بيلّي على منشَفَتِها وكتابُها في حِجرِها. كانَ الكتابُ هو نفسُهُ الذي استعارَتْهُ من المَكتَبَةِ عندَما كانت السَّيِّدَةُ التي تُدعى إيلّا هُناكَ. ما زالَ الفُضولُ على حالِهِ. لقَد حاوَلَت بيلّي أن تَتَكَلَّمَ معَ أُمِّها

عمّا سَمِعَتْهُ، ولكنَّ الأُمَّ قالَتْ مُصِرَّةً إنَّها لَن تستَمِعَ إلى شائعات.

ولكنْ كيفَ يُمكنُ لأُمّها أن تَكونَ واثِقَةً كُلَّ هذه الثِّقَةِ مِن أنَّها مَحضُ شائعاتٍ؟ لقدْ وَدَّتْ بيلّي حَقّاً أن تَعرفَ ما أرادَتْ السَّيِّدَةُ أن تَحكيهِ. وكانَ السؤالُ هو كيفَ يتسَنّى لَها أن تَجِدَها ثانيَةً. بدا وكأنَّها تتردَّدُ على المَكتَبَةِ كثيراً، وبقليلٍ من الحَظ سَتكونُ مَوْجُودةً في المَرةِ التالِيَةِ عندما تذهَبُ بيلّي إلى هُناك.

حَجَبَتْ غَمامةٌ الشَّمسَ فشعرت بيلّي بالبردِ. كانت أُمُّها على حَقٍّ في أنَّ عليها دَعوَةَ أحَدِ أصدقائها للمجيءِ، فهي بحاجَةٍ إلى شخصٍ ما كي تَتَكَلَّمَ مَعَهُ، شخصٍ يستَمِعُ إليها.

بِحَذَرٍ اختَلَسَتْ بيلّي نَظرَةً بِطَرَفِ عَينِها إلى الصَّبِيِّ ذي السِّروالِ الأحمر. بادَلَها النَّظَرَ وابتَسَمَ. وبسرعَةِ البَرْقِ أشاحَتْ بيلّي بِوَجهِها بعيداً مَرَّةً أخرى. ما الذي يَفْعَلُهُ؟

بعدَ بُرهَةٍ لَمْ تَتَمالَك بيلّي نفسَها من النَّظَرِ إليه ثانِيَةً. ولكِنَّهُ كان قد اختفى عندَئذٍ.

يتوَقَّفُ الباصُ القادِمُ من كيشانستا عندَ "مِنطَقَةِ خَزّان الماءِ"

ولذلكَ وَقَفَتْ بيلّي تنتَظِرُ هناكَ. لَقَدْ فَرِحَتْ سيمونا عندَما اتَّصَلَتْ بِها بيلّي وَدَعَتْها للمَجيءِ إلى أوهوس وأرادَتْ أن تأتي في اليومِ نَفسِهِ فكانَ لها ما تُريدُ.

ولِفَرْطِ سعادَتِها أحَسَّتْ بيلّي بارتفاع درجة حرارتها. كيف لَمْ تَدْعُ أحدَ أصدقائها سابقاً؟

ساعَدَ سائقُ الباصِ سيمونا على إخراجِ دَرّاجَتِها من صُندوقِ حمولَةِ الباصِ.

ـ قيادَةً آمنةً، قالَ لَها.

ارتَدَتْ بيلّي وسيمونا خوذَتَيهِما وهما تتضاحكانِ. كانتْ بيلّي تُشيرُ إلى ما حَولَها وتَشرَحُ بينَما كانتْ تَقودُ دَرّاجَتَها في الطَّريقِ القصيرَةِ بينَ محطَّةِ الباصِ وسبارّيسفَيغَن. بَيَّنَتْ أينَ يقَعُ معمَلُ القَباقيبِ القَديمُ الذي تَدَّعي أُمُّها أنَّها وأخاها سَرَقا القباقيبَ مِنْهُ في صِغَرِهما، كما أشارَتْ إلى حيثُ يَقَعُ البَحرُ.

ـ كَمْ بِودّي أن أنتَقِلَ أنا أيضاً، قالَتْ سيمونا. لأبدأ من جَديدٍ.

ثُمَّ ضحِكَتْ.

شَمَّتا رائحَةَ نارٍ عِندَ دُخولِهما إلى الفِناءِ. كانتْ أُمُّ بيلّي قد نَصَبَتْ

الشَّوّايَةَ تَحتَ الشُّرْفَةِ وَلَوَّحَتْ بِفَرَحٍ لَهُما عندَما ركضتا مسرعتين. كانت ترتَدي ثيابَ عَمَلٍ زرقاءَ اعتادَ أبو بيلّي ارتدَاءَها عندَما كانَ يشوي وَثَبَتَتْ نَظّارَتَها الشَّمسيَّةَ في شَعْثِ شَعرِها. لَطالَما تَمَنَّتْ بيلّي أن يكونَ شعرُها جميلاً وَمُجَعَّداً مثلَ أُمِّها، ولكِنَّها بدلاً من ذلكَ وَرِثَتْ عَنْ أبيها شعرَهُ الأملسَ الفاتِحَ.

ـ كَمْ المكانُ راقٍ هنا! وهذهِ الأشياءُ القديمَةُ! قالَتْ سيمونا عندَما أرتها بيلّي البيتَ.

ـ ليستْ أشياءَنا، قالَتْ بيلّي. الذين كانوا يسكنون هنا سابقاً خَلَّفوا الكثيرَ وراءَهُم.

ـ ولِماذا؟

طَوَّقَ شَعرُ سيمونا الأحمَرُ رأسَها كالهالَة ، لَمْ تُجِبْ بيلّي بَلْ أَمسَكَتْ بِيَدِ سيمونا.

ـ تعالي، قالَت. سَأُريكِ غُرفَتي.

سَحَبَتْ صَديقَتَها معها صاعِدَةً السُّلَّمَ.

ـ جميل! قالَتْ سيمونا وتَجَوَّلَتْ. وسَقفٌ مائلٌ! لَطالَما تَمَنَّيتُ مِثلَهُ!

جَلَسَت على سريرِ بيلّي. رأَتْ بيلّي أَنَّها نَظَرَتْ إلى المَكتَبَةِ.

ـ هل هذه كُتُبُك؟ قالَت.

ـ لا، لا تَزالُ كُتُبي في المدينَة. هذه كُتُبُ الفتاةِ التي سَكَنَتْ في هذه الغُرفَة فيما مَضى.

كَبَحَتْ بيلّي جِماحَ نفسها. لقد قالت "الفتاة"، ثانيَةً. وكأنَّها كانت مُتَأكِّدَةً مِنْ أنَّ مَنْ سكَنَ الغُرفَةَ سابِقاً كانَ فتاةً، مَعَ أنَّها ليسَتْ مُتأكِّدَةً من ذلكَ.

مَضَتْ سيمونا إلى المَكتَبَة.

ـ كُتُبٌ جميلَةٌ ولكِنَّها قَديمَةٌ، قالَتْ ومَسَّدَتْ ظُهورَ الكُتُب بيَدِها. لقد فَكَّرَتْ بيلّي أيضاً بذلك. فَقَدْ تَصَفَّحَتْ بَعضَها وفَكَّرَتْ أنَّها كتبُ أطفال، ولكنَّها لَمْ تَسمَعْ بأيِّ كتابٍ منها سابِقاً.

ـ أما تزالُ العائلةُ، التي كانت تسكنُ هنا سابقاً، تعيشُ في أوهوس أم أنَّها انتَقَلَت إلى مَدينةٍ أبعَدَ؟ سألَتْ سيمونا وتناولت كتاباً عن الرَّفِّ.

ـ لا أحد يعلَمُ أين ذهبوا، قالت بيلّي وخَفَضَتْ صوتَها كي لا تَسمَعَها أُمُّها.

أعادَتْ سيمونا الكتابَ إلى مكانِه على الرَّفِّ ثانيةً.

ـ ولكِنَّهمْ لا يُمكِنُ أن يختَفوا هكذا فَقَط، قالت.

بَلَعَتْ بيلّي ريقَها.

ـ هذا ما يَبْدو. تَرَدَّدَتْ، وبعدئذٍ قالَت: أظُنُّ أنَّ هنالِكَ خطبا ما في هذا البَيتِ. لذلكَ لَمْ يرغَبوا بالسَّكَنِ هنا.

استَحَمَّتْ أوهوس في أضواءِ الليلِ عندَما أخذَتْ بيلّي وسيمونا درّاجَتَيهما وانطَلَقتا نحوَ الميناء. قالت أُمُّها إنَّها سَتُشاهِدُ برنامَجاً تلفزيونيّاً ولكنَّها زَوَّدَتْهُما بالنقودِ لشراء المُثَلَّجاتِ.

طَقْطَقَتْ عجلاتُ الدَّرّاجَتينِ على الحَصى عندَما اختارَتْ بيلّي طريقاً مُختَصَرَةً بينَ البُيُوتِ. مَرَّتا بِمُتَنَزَّهِ أوهوس القديمِ المُغلَقِ الذي أخبَرَتْها أُمُّها أنَّها اعتادَتْ أن تَذْهَبَ إلى ديسكو كانَ يقعُ فيهِ أيّامَ صِباها ثُمَّ مَرَّتا بِمَتجَرٍ يوكّه للدَّرّاجاتِ حيثُ اشترى أبو بيلّي أوَّلَ دَرّاجَةٍ لَها.

ركَنَتا الدَّرّاجَتَيْنِ أسفَلَ الحِصْنِ الموجودِ في الميناءِ وصَعِدَتا إلى قاربِ المثلَّجاتِ. كانت النُّقودُ كافيَةً لِقُمْعَينِ كبيرينِ من البسكويتِ على كُلٍّ منهما كُرتانِ من المُثَلَّجاتِ والقِشطَةِ. وَجَدَتْ سيمونا طاوِلَةً قربَ شَفيرِ القاربِ.

بَدَتْ في غايَةِ التَّركيزِ وهي تتناوَلُ مُثَلَّجاتِها.

ـ إذَن فأنتِ تَظُنّينَ أنَّ في البَيتِ أشباحاً؟

كادَتْ بيلّي أنْ تَغُصَّ بالمُثَلَّجاتِ.

ـ لا، لا، قالَتْ. ليسَتْ أشباحاً. فالأشباحُ غير مَوْجُودةٍ. أمْ أنَّها مَوجُودةٌ؟

ـ ولكنْ ماذا بشأنِ طَبْعِ اليَدِ الذي تَكَلَّمتِ عَنْهُ إذَنْ؟ قالَت سيمونا. كيفَ أمكَنَ أن يَصِلَ إلى هناكَ عندَما لَمْ تَكونا في البَيْتِ؟

ـ لا أعرف، قالَت بيلّي.

ثُمَّ لَمَحَتْ الفَتى ذا السِّروالِ القصيرِ الأحمَرِ الذي اعتادَ الجلوسَ على الشّاطئ. وَقَفَ على حافَّةِ رَصيفِ الميناءِ يرقُبُهُما وهما في القاربِ. وهذهِ المَرَّةَ لَمْ يبدُ وكأنَّهُ ينوي تَرْكَهُما لحالِهما.

٦

كانتْ سيمونا هيَ مَن اقتَرَحَ أن تُكلّماه.

ـ يَجبُ أن نَسْتَمِعَ إلى ما يُريدُ إذا كانَ يُلاحِقُك بهذا القَدْرِ، قالَتْ.

بدا كُلُّ شيءٍ سهلاً لِسيمونا، رغمَ أنَّ بيلّي تعرفُ أنَّها عانَتْ أحياناً. فقَدْ تَعَرَّضَتْ والِدَتُها لحادثِ سَيرٍ أُصيبَتْ على إثرِهِ بإعاقَةٍ وكان عليها أن تَتَعَلَّمَ المَشيَ ثانيَةً.

عندَما نَزَلَتا من القارِبِ كانَ الفتى جالِساً على مصطبَةٍ في انتظارِهما. نَهَضَ عندَما وَصَلَتا إلَيه.

ـ مَرحباً، قالَ مُبتَسِماً.

رغماً عَنْها اعتَرَفَتْ بيلّي لِنَفسِها أنَّها رأَتْهُ جَذّاباً.

قالَتْ هي وسيمونا مرحباً أيضاً.

ـ أَتريدُ مِنّي شيئاً؟ قالَتْ بيلّي. أقصِدُ لأنَّكَ تُلاحِقُني طوالَ الوقتِ.

بدا الفتى مُندَهِشاً.

ـ أنا في الواقعِ لا أفعلُ ذلكَ، قالَ. بل أنتِ التي تكونينَ طوالَ الوَقتِ حيثُ أكونُ. أنا من يحبُ أن يتساءلُ عمّا تريدينَ.

أصابَتْ بيلّي حَيْرَةٌ شَديدَةٌ حتى أنَّها لَمْ تَجِدْ ما تَقولُه. فَلَيسَتْ هي التي تَجري وراءَهُ إطلاقاً، على العَكْسِ.

ـ إذَنْ فَقَدْ تَكونُ مصادَفَةً أنَّكُما التَقَيتُما مَرّاتٍ عديدةً؟ اقتَرَحَتْ سيمونا.

تَماماً كعادَتِها دائماً تُحسِنُ القَولَ عِندَ الحاجَةِ.

ـ رُبَّما، قالَ الفَتى. مُصادَفَةٌ جَميلَةٌ، كما أراها.

ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ حتّى يحيّيهما مثلَما يفعلُ البالِغونَ عادَةً.

ـ علاء الدّين، قالَ. سُرِرْتُ بِلقائكما!

لَمْ تَستَطِعْ بيلّي مَنعَ نَفسِها من الضَّحِكِ. مَنْ مِنْ أقرانِهم يقولُ "سُرِرْتُ بِلقائكما"؟ وحتى لا تَظْهَرَ بِمَظْهَرِ اللئيمِ عَجَّلَتْ بيلّي بِمُصافَحَةِ يَدِ الفتى المَمدُودةِ وقالَتْ:

ـ بيلّي. وهذهِ صديقَتي سيمونا.

ـ بيلّي؟ أليسَ هذا اسمَ وَلَدٍ؟

ـ بيلّي بياءٍ ممدودةٍ في النهايةِ، وهوَ اسمُ بِنت.

ـ أها، قالَ الفَتى وانْحَنى. يا بيلّي بياءٍ ممدودةٍ في النّهايَةِ، هل لي أنْ أدعوكِ وصديقَتَكِ إلى جَولَةٍ هنا حولَ الميناءِ؟

كان اسمُهُ علاءَ الدّينِ فعلاً وأصلُهُ مِن تُركيا. على أنَّهُ يكادُ لا يذكُرُ عنها شيئاً. فقَدْ انتَقَلَ معَ أبَوَيْهِ إلى السُّوَيدِ عندما كان في الثّانيَةِ من عُمْرِهِ.

ـ لَدَينا أقاربٌ هنا في السُّوَيدِ، قالَ وهُم يسيرونَ بِمُحاذاةِ صَفِّ القوارِبِ الأنيقِ. ظَنَّ أبي أنَّهُ سيصبِحُ غَنِيّاً إذا جاءَ إلى هُنا وأعدَّ الطّعامَ لِلسُّوَيديّينَ.

ـ أيَّ طعامٍ؟ قالَت سيمونا.

ـ كَباب ولَحمٌ مشويٌّ وما إلى ذلك، قالَ علاء الدّين. الآنَ لَدَيْهِ مَطعَمٌ حقيقِيٌّ.

ـ هل هوَ مالِكُ مطعمِ "تُركِيّ البُرجِ"؟ سألَتْهُ بيلّي والدَّهشَةُ تَملأُها.

ـ نَعَمْ، قالَ علاء الدّين وَبدا الفَخرُ علَيهِ.

كانَ "تُركِيّ البُرجِ" أفخَمَ مطاعِمِ أوهوس، ويقَعُ في قِمَّةِ خَزّانِ ماءٍ قَديمٍ مهجورٍ.

ـ هل سبقَ لكما تناولُ الطعام عندنا، سألهما علاءُ الدّين.

ـ مَرَّةً واحدةً فقط، قالَت بيلّي.

ـ مَرَّتَين، قالَتْ سيمونا. مَّرةً عندَما بَلَغَ أبي الأربعين ومَّرةً عندَما حصلَ أخي على إجازَة القيادة.

أبٌ وأخٌ. لم يَكن لدى بيلّي أيٌّ من ذلكَ فَصَمَتَت.

ـ هنا أسْكُنُ معَ أَبَوَيَّ، قالَ علاء الدّين.

أشارَ إلى عَوّامَةٍ كَبيرَةٍ تَقَعُ عِندَ رصيفِ الميناءِ. رأَتْ بيلّي أنَّها تُشبِهُ عُلبَةَ أحذِيَة.

ـ هُنا؟ قالَتْ مُتَعَجِّبَةً.

ـ أجَلْ، صيفاً على الأقَلّ. في الشّتاءِ نسكنُ بيتاً مُجاوِراً لِمَطعَمِنا.

ـ يا إلهي ما أروَعَ ذلِكَ! هَتَفَتْ سيمونا. أعني العَوّامَةَ.

يا لَها من حياةٍ مُثيرَةٍ تلكَ التي يعيشُها علاء الدّين على ما يبدو. أَبَوانِ يمتلِكانِ مَطْعَماً وَعوّامةً في الميناءِ. أحَسَّتْ بِيلّي بالغيرَةِ تَدُبُّ فيها. لماذا يكونُ قَدَرُها هي بالذاتِ أن تعيشَ في بَيتِ أشباحٍ قَديم؟

ـ يجبُ أن نعودَ معَ درّاجَتينا إلى البَيتِ قريباً، قالَت.

ـ حَبَّذا لو مَرَرْتِ بِنا يوماً، قال علاء الدّين. فأنا في البيتِ على الدّوامِ تقريباً.

ابتَسَمَ وهوَ يَتَحَدَّثُ. في الحقيقةِ كانَ يبتَسِمُ طوالَ الوَقتِ. يَجِبُ أن تَرُدَّ بيلّي بالابتسامِ. رُبَّما يُصبِحُ العَيشُ في أُوهوس أَهْوَنَ إذا ما صارَ لَها صَديقٌ؟

هَيَّئوا مَنامَةً لسيمونا على فِراشٍ في غُرفَةِ بيلّي. وجَهَّزَتْ أمُّ بيلّي ملاءة ومِنشَفَةً وسألَتْ مرّاتٍ عديدةً إنْ كانَ هناكَ ما تُساعدُ به. لكنَّ كلتا الفتاتَينِ هَزَّتا رأسَيهما نَفياً، فبإمكانِهما تَدبُّرُ أمرِهما. عندَما قالَت الأمُّ تُصبِحانِ على خيرٍ وأغلَقَتْ البابَ استَلقَتْ الفتاتانِ يَقظَتَيْنِ لِفترَةٍ طويلَةٍ وهما تَتَحَدَّثانِ؛ عن الأصدقاءِ في المدينَةِ وعن ما سيكونُ حينَ تَبدآنِ الدِّراسَةَ في المَرحَلَةِ السّادِسَةِ في الخريفِ. ذَكَرَتْ سيمونا أنَّها ستَذْهَبُ مَعَ أبَوَيها إلى غوتلاند وقالَتْ بيلّي أنَّ أُمَّها قَرَّرَتْ بَقاءَهُما في أوهوس طوالَ الصَّيفِ.

عندَما أطفأتا المصباحَ وخَلَدَتا إلى النَّومِ، فَكَّرَتْ بيلّي بالكُتُبِ الموضوعَةِ في المكتَبَةِ بِغُرفَتِها. من بَينِ كُلِّ ما تَركَت العائلَةُ السّابقَةُ وراءَها في البَيتِ، لَمْ يَشغَلْ فِكرَها شَيءٌ أكْثَرَ مِنَ الكُتُبِ. مَن الذي يَرحَلُ دونَ كتُبِهِ؟

٧

في البَدْءِ لَمْ تُدْرِكْ بيلّي طبيعةَ الصوتِ الذي أَيْقَظَها. فالصَّمتُ مُطْبِقٌ في البَيتِ. حتّى الطيورُ التي اعتادَتْ أن تَكونَ على السَّطْحِ ما أمكَنَ سَماعُها. تَكَوَّرَتْ بيلّي على نَفسِها تَحتَ اللِحافِ وأَصْغَتْ .

ثُمَّ سَمِعَتْ سيمونا تتَحَرَّكُ في سريرِها.

ـ هل أنتِ نائمةٌ؟ هَمَسَتْ سيمونا.

ـ لا، هَمَسَتْ بيلّي. ما كانَ ذلكَ الصَّوتُ؟

رأتْ خَيالَ سيمونا وهي تنهَضُ من فراشِها.

ـ بدا الصَّوتُ وكأنَّ أحدَهُمْ طَرَقَ على النّافِذَةِ.

كانَ صوتُها مِنَ الضَّعفِ بحيثُ كادَتْ بيلّي لا تسمعُها.

ـ ولكنَّ ذلكَ غيرُ ممكنٍ، أجابَتْ بيلّي مُهَمْهِسَةً. ما مِنْ أَحَدٍ طويلٍ إلى حَدِّ أنَّهُ يستَطيعَ الطَّرْقَ على نافِذَةٍ في الطّابِقِ الثاني.

عندَئذٍ سَمِعتا الصَّوتَ ثانيَةً.

سيمونا على حَقٍّ. فَقَدْ بدا أنَّ أحَدَهُمْ طَرَقَ على النّافِذَةِ التي تعلو سريرَ بيلّي؛ طَرَقَ على مَهَلٍ، طَرَقاتٍ خفيفَةً.

خافَتْ بيلّي حتّى أنَّها كادَتْ تَبكي.

ـ يجِبُ أن نُحْضِرَ ماما، هَمَسَتْ.

ـ شششش! قالَتْ سيمونا.

لَعَلَّهُ كانَ طائراً لا غيرَ؟ لَمْ تَجرؤ بيلّي حتى على اختلاسِ النَّظَرِ نحوَ النّافِذَةِ، رغمَ أنَّ الستارَةَ البيضاءَ التي ثَبَّتَتها أُمُّها كانتْ مُسْدَلَةً. ماذا لو أن أحدَهُمْ يَقِفُ في الخارِجِ هناكَ؟ على سُلّم.

سارَتْ سيمونا على أطرافِ قَدَمَيها نَحوَ النّافِذَةِ.

ـ حَذارِ، هَمَسَتْ بيلّي.

عندَئذٍ تَوَقَّفَتْ الطَّرقاتُ. تَوَقَّفَتْ بيلّي وسيمونا عَن الحراكِ. انتَظَرَتا لِدقائقَ عديدةٍ أنْ تَستَمِرَّ الطَّرقاتُ، لكنّ ذلك لم يحدُث. تَقَدَّمَتْ سيمونا بِبُطءٍ نَحوَ النَّافِذَةِ وأدْخَلَتْ أصابعَها خلْفَ السّتارَةِ وأزاحَتْها بضعةَ سنتمتراتٍ عن النافِذَةِ. بِحَذَرٍ تَطَلَّعَتْ إلى الخارِجِ عِبرَ الفَجْوةِ.

ـ لا أرى شيئاً، قالَتْ.

كان الظلامُ دامساً هناكَ في الخارجِ. جاوَزَت السّاعةُ مُنتَصَفَ اللّيْلِ بِكَثيرٍ ولذا فَلَمْ يَكُن هناكَ مِنْ أحدٍ مستيقظٍ من الجيرانِ. الأنوارُ مُطفأةٌ والصمتُ يسود المكان.

قَبَضَتْ سيمونا على حافَّةِ السّتارةِ وَجَرَّتْها إليها. التَفَّتْ السّتارَةُ على نَفسِها فوراً مُرتَفِعَةً لِتَصفِقَ السَّقف صَفقَةً قَفَزَتْ بِسَبَبِها بيلّي وسيمونا معاً. لِفَرْطِ تَوَتُّرِهما ضحكتا.

ـ سنوقِظُ ماما إذا واصَلنا، قالَتْ بيلّي ودَسَّتْ رأسَها في الوسادةِ كي تَكبَحَ ضِحكَةً نَدَّتْ عَنها.

تَطَلَّعَتْ سيمونا إلى الخارجِ عبرَ النّافِذَةِ ثانيةً ووَقَفَتْ بيلّي إلى جانبِها. في البَدءِ لَمْ تَرَ شيئاً، ولكنَّ عينَيها اعتادَتا الظَّلامَ فيما بعدُ واستَطاعَتْ تَمييزَ الأشجارِ في الفناءِ والبَيتَ المُطْفأَ الأضواءِ على مسافَةٍ من هناك.

ـ لا بُدَّ من أنَّهُ كانَ طائراً ما، قالَتْ سيمونا بِحَزْمٍ. لا أحَدَ يَصِلُ إلى هذا الارتِفاعِ.

أسْدَلَتْ بيلّي السّتارَةَ ثانيَةً.

ـ كانَ طائراً، رَدَّتْ كالصَّدى. هيا بنا كي ننامَ.

هَدأَتْ دَقّاتُ قَلبِها كُلَّما قالَتْ "طائر". بالتأكيدِ كانَ طائراً. وإلّا

فَما الذي يُمكنُ أن يكونَهُ؟

ـ يجبُ أن أذهبَ إلى الحمام، قالَتْ سيمونا حالَما استَلْقَتْ بيلّي في سَريرِها.

ـ سأنزلُ مَعَكِ، قالَتْ بيلّي ونحّت اللِحافَ.

ليس لأحد أن يسيرَ وحده في هذا البيتِ بعدَ ما حدَثَ.

بِبُطءٍ فَتَحَت البابَ حتّى لا يَصِرَّ فَيوقِظَ أُمَّها. نَزلَتْ سيمونا السُّلَّمَ على أطرافِ أصابِعِ قَدَمَيها وبيلّي في إثْرِها تَماماً.

أرادَت انتِهازَ الفُرصَةِ للذهابِ إلى الحمّامِ هي الأخرى.

بينَما أوصَدَتْ سيمونا الباب مُختَلِيَةً بِنَفسِها في الحمّامِ مَكَثَتْ بيلّي في المَمَرِ دونَ أن تَجرؤَ على الذَّهابِ إلى أيِّ مكانٍ. كانَ البيتُ مَليئاً بالأصواتِ. الطَّقطَقَةُ في كلِّ مكانٍ، وكأنَّما البَيتُ ينمو ويتألَّم. الحالُ مُختَلِفَةٌ دونَ شَكٍّ في عَوّامَةِ علاءِ الدّين. تَخَيَّلَتْهُ بيلّي يَسمَعُ رَقرَقَةَ الماءِ وتَخَيَّلَت روعَةَ الصَّوتِ وهو يُهَدْهِدُ حتّى النَّوم. لو أنَّهُم أصبحوا أصدقاء فَقَدْ يصيرُ بإمكانِ بيلّي وسيمونا الذهابُ والمبيتُ عندَهُ.

عندئذٍ سمِعَتْ بيلّي طَرقاً جديداً. الأصواتُ الخفيضَةُ ذاتُها، كأنَّها

هَمْس. ولكنَّها رغمَ ذلكَ واضحة. عادَ قلبُ بيلّي يخفِقُ بِشِدَّةٍ. لو أنَّ سيمونا تَخرُجُ من الحمّامِ فَقَط.

بدا وكأنَّ الطَّرْقَ يأتي من الغرفَةِ التي تلي المطبَخَ، من غُرفَةِ الضُّيوفِ. أصغَتْ بيلّي إلى الطَّرْقِ الخَفيفِ وفَكَّرَتْ بِطَبْعِ اليدِ الصَّغيرِ على غبارِ الطّاولَةِ. إنها اليَدُ ذاتُها التي تَطرُقُ على النّافِذَةِ الآنَ، لقَدْ كانتْ مُتَيَقِّنَةً من ذلكَ.

سَحَبَتْ سيمونا (السيفون) وفتحت الباب.

ـ أَتسمَعينَ؟ هَمَسَتْ لَها بيلّي قبل أنْ تقولَ أيَّ شيءٍ.

أصغَتْ سيمونا بِتركيزٍ جَعَّدَ جَبْهَتَها بأكمَلِها.

ـ لا، ما الذي يُفتَرَضُ أن أسمَعَهُ؟

كانت سيمونا على حقٍّ، فَلَمْ يعُد بالإمكانِ سماعُ شيءٍ.

ـ سمعتُ صوتاً يشبِهُ تماماً ما سمعناهُ في غُرفَتي، قالت بيلّي.

أصغَتا ثانِيَةً.

ولكنَّ الصَّوتَ اختَفى.

ـ غريبٌ، قالَتْ سيمونا. مِنْ أينَ أتى هذه المَرَّة؟

ـ مِنْ غُرفَةِ الضُّيوفِ.

نَظَرتا إلى بَعضِهما. بحَذَرٍ تَسَلَّلتا قاصدتينِ غُرفَةَ الضُّيوفِ وألقَتا نَظْرَةً داخلَها. وَقَفتا مَعاً على عَتَبَةِ الغُرفةِ. بَدَتْ على حالِها. صناديقُ مُكَوَّمَةٌ على بَعضِها وبعضُ الأثاثِ الذي لَمْ تستخدمه هي وأمُّها. الطاولَةُ التي أحَبَّتها بيلّي كثيراً لَمْ تَزلْ مُنتَصِبَةً في زاويَتِها. لَمْ تَعُدْ بيلّي تَرغَبُ فيها.

ـ أينَ وَجَدْتِ طَبْعَ اليَدِ إيّاه؟ هَمَسَتْ سيمونا.

ـ هُناكَ، قالَتْ بيلّي وأشارَتْ.

كانت الغُرفَةُ مُظلِمَةً ولكنَّ إحدى الستائرِ لَم تَكنْ قَد عُلِّقَتْ بَعْدُ. تَقَدَّمَتْ سيمونا من النّافذَةِ وألقَتْ نَظرَةً إلى الخارجِ وتَبِعَتْها بيلّي. كانَ السُّكونُ سائداً، ولَمْ تَرَيا أَحَداً. استَدارَتْ سيمونا واتَّجَهَتْ إلى الطّاولَةِ عِوَضاً عن ذلك.

ـ ما هذه المجلَّةُ؟ قالَت.

انْحَنَتْ بيلّي ونَظَرَتْ. كان من الصُّعوبَةِ أن تَرى في الظّلام، ولكنَّ ذلكَ لم يَكُنْ مُهِمّاً لأنَّها تعرَّفَت عليها مباشَرَةً. على الطّاولَةِ التي حَمَلَتْ طَبْعَ اليَدِ وَضَعَ أحدُهُم المَجَلَّةَ المُصَوَّرَةَ التي سَبَقَ ودَسَّتْها في صُندوقٍ منذ اليَومِ الأول.

بدا الأمرُ وكأنَّ أحدَهُم قد كَتَبَ شيئاً عليها. خَفَقَ قَلبُ بيلّي

بِشِدَّةٍ حتّى ظَنَّتْ أنَّهُ سَيَنفَجِرُ عندَما انحَنَتْ مُقتَرِبَةً أكثَرَ وقَرأَتْ خَطَّ اليَدِ الطُّفُولِيَّ:

"غادِروا!"

٨

في الحالاتِ الاعتياديَّةِ، نادراً ما تَغضَبُ أمُّ بيلّي. ولكِنَّها غَضِبَتْ هذهِ المَرَّةَ.

ـ أَلا تَعتَقِدينَ أنَّني أُدْرِكُ أنَّكِ أنتِ مَنْ كَتَبَ "غادِروا!" على تلكَ المَجَلَّةِ؟ زَمْجَرتْ عندَما حاولَتْ بيلّي في الصّباحِ التّالي أنْ تُحَدِّثَها مِن جَديدٍ عَنْ كُلِّ ما حَدَثَ أثناءَ الليلِ.

ـ اسألي سيمونا إذا لَمْ تُصَدِّقيني! صَرَخَتْ بيلّي تَرُدُّ عليها. أو اسألي نَفسَكِ! أنتِ أيضاً رأيتِ المَجَلَّةَ!

ـ لا يعني ذَلكِ شيئاً. فقَدْ كانَ بإمكانِكِ كتابَةُ أَيِّ شيءٍ عليها عندَما كانت سيمونا في الحمّامِ.

كيفَ تستطيعُ الظَّنَّ أنَّ بإمكانِ بيلّي الكذبَ في أَمرٍ كهذا؟ غَضِبَتْ بيلّي حتّى ظَنَّتْ أنَّها ستَنفَجِر. جَلَسَتْ سيمونا صامِتَةً على مائدةِ الفَطورِ تُراقِبُهما وَهُما تَتَشاجَرانِ.

لَقَدْ غَضِبَتْ أُمُّها مُسبَقاً عندَما أيقَظَتاها في الليلَةِ الماضيةِ كي تُخبراها عَن الطَّرقاتِ والمَجَلَّةِ. إذا لَمْ تستَطِعْ بيلّي وسيمونا تَدَبُّرَ المَبيتِ مَعاً كما ينبَغي، فَلَيس مسموحاً مَبيتُ سيمونا عندَهُم مُجَدّداً، قالت لَهُما عندَئذٍ.

ـ كُلُّ ما تَفعَلينَهُ هو الإفسادُ! صاحت بيلّي على أُمِّها التي عادَت إلى الطّابقِ العُلويّ بعدَ أن أمَرَتْهُما بالخلودِ إلى النوم حالاً.

لَقَدْ نَزلَتْ الأمُّ السُّلَّمَ بسُرعَةٍ ظَنَّتْ مَعَها بيلّي أنَّها سَتَقَعُ.

ـ هل أنا مَنْ يُفسِدُ الأمورَ يا بيلّي؟ قالَت عندَئذٍ ونَبرَتُها غايَةٌ في الهُدوءِ. أنتِ مَنْ يُفسِدُ الأمورَ، يا صديقَتي. طَوالَ الوَقتِ. قولي الحقيقَةَ، لا يروق لَكِ أننا انتَقَلنا إلى أوهوس، وتفعَلينَ الآنَ كُلَّ ما بِوسعِكِ كَيْ نَنتَقِلَ إلى المَدينَةِ ثانيَةً.

لَمْ تَعرِفْ بيلّي بِماذا تَرُدُّ.

فعلاً، أُمُّها على حَقٍّ. فَقَدْ كَرِهَت انتِقالَهُما. ولكنَّها لَمْ تَكُنْ لِتَخترِعَ شيئاً من هذا القَبيلِ. لا يُمكِن.

ـ أنا مَنْ يُقَرِّرُ في هذا البَيتِ، واصَلَت الأمُّ بالنَّبرَةِ الهادِئَةِ ذاتِها. لأنني بالِغَةٌ وأنتِ لَستِ كذلك. لستِ وحدَكِ مَنْ يَفتَقِدُ بابا ويريدُ أن تعودَ الأمورُ إلى سابقِ عهدِها. أنا أيضاً أريدُ ذلك.

صَمَتَتْ وبدا وكأنَّها على وَشَكِ البُكاء.

ـ لكنَّ ذلكَ غيرُ مُمْكِنٍ، قالَتْ بَدَلاً مِن ذلكَ. الأمورُ لا تسيرُ هكذا. هذه هي الحالُ وعلَينا أن نفعَلَ أفضلَ ما بِوسعِنا . والأفضلُ بالنسبَةِ لنا هو أنْ نَنتَقِلَ مِنَ المَدينَةِ ونَبدأَ بدايةً جديدَةً في مكانٍ آخر.

بهذه الكلماتِ تَركَتْ الأمُّ سيمونا وبيلّي في المَمَرِّ وصَعَدَتْ لِتَنامَ. لَمْ تَنَل بيلّي شيئاً يُذكَرُ مِنَ النَّومِ بَقِيَّةَ الليلةِ وعلى مائدة الفَطورِ احتَدَمَ الشِّجارُ ثانيَةً.

ـ لا أُطيقُ مُناقَشَةَ ذلكَ معكُما أكثَرَ، قالَتْ الأمُّ ونَهَضَتْ.

بَدَأتْ تَرفَعُ الصُّحونَ عن الطاوِلَةِ.

ـ ماذا ستَفعَلانِ اليومَ؟ قالَت.

نَظَرَتْ بيلّي إلى سيمونا ثُمَّ إلى الخارِجِ عبرَ الشُّرفَةِ نَحوَ السَّماءِ. كان الجو غائماً، لكنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُمطِراً.

ـ ماذا بِودِّكِ أن تَفعَلي؟ قالَت. قِيادَةُ الدّراجَةِ إلى المَكتَبَةِ؟

تَنَهَّدَتْ الأمُّ عندَما ذَكَرَت بيلّي المكتَبَةَ لكِنَّ سيمونا هَزَّتْ رأسَها مُوافِقَةً. فَرِحَتْ بيلّي، لأنَّها تَرغَبُ الآنَ بالفِعلِ في رؤيَةِ تلكَ السَّيِّدَةِ العجوزِ ثانِيَةً.

ـ بِكُلِّ سُرورٍ، قالت سيمونا. ورُبَّما نَذهَبُ على الدَّراجَةِ إلى الميناءِ أيضاً؟ بإمكاننا أن نَزورَ علاءَ الدّين.

ـ علاء الدّين؟ قالَت الأمُّ ونَظَرَت إلى بيلّي. مَنْ يكون؟

ـ فَتى يسكُنُ قارباً في الميناء. أبَواهُ يملكانِ "تُركِيّ البُرجِ".

ـ ماذا، أتعرفينَ ابنَهُم؟

هَزَّتْ بيلّي كَتِفَيْها وحاوَلَتْ أن تَبدوَ وَكأنَّها لَيستْ مُعْجَبَةً على الإطلاقِ لا بالعَوّامَةِ ولا بالمَطْعَم.

ـ أعرفُهُ بَعضَ الشَّيء، قالَتْ.

عندَئذٍ ابتَسَمَتْ أُمُّها لأوَّلِ مَرَّةٍ منذُ الصَّباحِ.

ـ أهوَ صاحبُ السّروالِ القصيرِ الأحمر؟

ـ رُبَّما.

وقَبْلَ أن تَتَهَيّأ بيلي للدِّفاعِ عن نفسها، طَوَّقَتْها أُمُّها بِذِراعَيْها.

ـ آه، صارَ لَكِ أصدقاء جدد! ما أسعَدَني!

لَوَتْ بيلي نَفسَها كي تَتَخَلَّصَ من الاحتِضانِ.

ـ إيه، ليسَ تماماً!

يجبُ أن تُهَدّئَ أُمَّها. فَلَيسَ مِنَ المُناسِبِ أن تَعتَقِدَ الأمُّ أنَّ بيلّي

وعلاءَ الدّين صديقانِ، إذْ إنَّها لَن توافِقَ على الانتقالِ إلى المدينةِ ثانيَةً.

ـ أسرِعا بالخُروجِ يا فَتَايَّ، قالَتْ الأمُّ. أنا من سيرتّب هُنا.

صَعَدَتْ بيلّي وسيمونا إلى غُرفَةِ بيلّي.

ـ أَكانَ يُفتَرَضُ بي ألا أذكُرَ علاء الدّين؟ قالت سيمونا.

ـ لا ونَعَم، كُلُّ ما في الأمرِ أنني لا أريدُ أن تعتقِدَ أُمّي أنني مُرتاحَةٌ إلى العيشِ هنا في أوهوس.

مَسَحَتْ سيمونا على ذِراعِها.

ـ هل تَتُوقينَ للعودَةِ إلى كيشانستا؟

ـ جِدّاً، هَمَسَتْ بيلّي.

طَنَّتْ ذُبابَةٌ عندَ السَّقْفِ حائمَةً جيئَةً وذهاباً، أسرَعَ فَأسرَعَ. كَأنَّها كانتْ أسيرَةً وخائفَة.

مثلي، فَكَّرَتْ بيلّي التي بَدَأتْ ترى البَيتَ أشبَهَ بِسِجْنٍ. ليسَ بِمَقدورِ أيٍّ مِنّا أن يُبعِدَنا عن هذا المكان.

أحَسَّتْ بالرّاحَةِ لِخُروجِها. اقتَرَحَتْ سيمونا أن تقودا دَرَّاجَتَيهِما على المَمشى الذي يخترِقُ غابَةَ الصنوبَرِ حتّى القَريَةِ. لَطالَما أحَبَّت بيلّي قضاءَ

الوَقتِ في الغابَةِ فَرافَقَتْها مُرَحِّبَةً بالفكرةِ. هَسهَسَتْ الرِّيحُ بينَ جذوعِ الأشجارِ العاليَةِ وعلى الأرضِ امتَدَّ بِساطٌ مِن الأوراقِ الإبَريَّةِ التي بَدَتْ كإبَرِ خياطَةٍ بُنِّيَّةٍ. في الجِّهَةِ الأخرى من غابَةِ الصَّنوبَرِ تَجَلّى مَرْجٌ صغيرٌ.

فَكَّرَتْ بيلّي بِما جَرى لَيلاً. لا يُمكِنُ على أيِّ حالٍ أن تَكونا تَوَهَّمتا سَماعَ طَرَقاتٍ على النّوافِذِ. والمَجَلَّةُ. من الذي أخرَجَها؟ مَن بِمَقْدُورِهِ الدخولُ إلى البَيتِ؟

ـ أنتِ تُصَدِّقينَني على الأقَلِ؟ قالَت بيلّي لسيمونا عندَما بدأتا تَتَحدَّثانِ عَمّا جَرى مَعَهُما.

ـ طبعاً أُصَدِّقُكِ! قالَت سيمونا. ولكنّني أرى ذلكَ مُخيفاً.

وهذا ما رأتْهُ بيلّي أيضاً.

ـ أتُؤمِنينَ بالأشباحِ؟ قالَت.

ـ لا أعرفُ، قالت سيمونا. أحياناً عندما أزورُ جَدّي، أتَوَهَّمُ أنني أسمَعُ خُطى جَدَّتي في المَمَرِّ ليلاً.

فَتَحَتْ بيلّي عَينَيها على اتّساعِهما.

ـ حَقّاً؟ قالَت وفَكَّرَتْ بِكُلِّ تِلكَ المَرّاتِ التي اعتَقَدَتْ فيها أنَّها سَمِعَتْ أباها في بيتِ كيشانستا.

ـ مشْيَتُها كانت خاصَّةً، قالَتْ سيمونا. والآنَ أسمَعُ الصوتَ نفسَهُ عندَما أَبِيْتُ هناكَ. ولكن لا بأسَ في ذلك.

ـ لا بأسَ في ذلك؟ قالت بيلّي مُندَهِشَةً.

ـ لا، قالت سيمونا. لا بأسَ فيه. لأنني أرى أنّه مِنَ الخَيرِ لِجَدّي أن تكونَ موجودةً هُناكَ. أعني كما لو أنّها، ما اسمُ ذلكَ، تَسْهَرُ عَلَيهِ، هُوَ ذاكَ، إنَّها تَسْهَرُ على راحَتِه.

ـ كَصديقٍ خيالِيٍّ؟ قالَت بيلّي.

ـ تَقريباً، قالت سيمونا. إلا إنَّهُ حقيقيّ.

٩

حينَ وَجَدَتا علاءَ الدّينِ كانَ جالِساً على القَنطَرَةِ أمامَ العَوّامَةِ يلهو بِقِطَعٍ بلاستيكيةٍ. أشرقَ وَجهُهُ حينَ أبصَرَهُما.

ـ مرحباً، مَرحباً!

رَفَعَ ذراعَهُ بالتَّحيَّةِ.

ـ مَرحباً، مَرحباً، ماذا تَفعَل؟ قالَت بيلّي.

ـ أَبْني نَموذَجاً.

ـ ما أصغَرَهُ، قالَتْ سيمونا.

ـ تقولُ أمّي إنَّ عَلَيَّ أن أبْنِيَ نَماذِجَ صغيرةً لأنني أبْني نماذِجَ كثيرَةً، قال علاءُ الدّين.

نَظَرَ إلى الكُتُبِ التي تَأَبَّطَتْها بيلّي.

ـ هل كُنتُما في المَكتَبَةِ؟

هَزَّتْ بيلّي رأسَها بالإيجابِ وَدَسَّتْ الكُتُبَ في الكيسِ القِماشِيِّ

الذي زَوَّدَتْهُما بهِ أمُّها. لَمْ تَكُن السَّيِّدَةُ في المكتَبَةِ، ولَعَلَّها تَكون هناكَ في يوم آخَر.

ـ أتُحِبُّ أنتَ أيضاً أن تَقرأَ؟ قالَت سيمونا لعلاءِ الدّين.

ـ لاااا، أنا من النَّوعِ الذي يَميلُ أكثَرَ إلى بناءِ الأشياءِ.

ثُمَّ نَهَضَ.

ـ أتُريدانِ أن تَرَيا كَيفَ نعيشُ؟

لَمْ تدْخُلْ بيلّي في حياتِها بيتاً أكثرَ حَميمِيَّةً. الجُدرانُ كُلُّها كانتْ مَطْلِيَّةً باللونِ الأبيَضِ وعِندَ النّافِذَةِ وُضِعَتْ نَبْتاتٌ خَضْراء. ستائرُ زرقاءُ في المَمَرِّ وَوَرديَّةٌ في المَطبَخِ. مائدَةٌ زرقاءُ وكَراسٍ بِألوانٍ مُختَلِفَةٍ.

ـ لوحاتٌ خَلّابَةٌ، قالَتْ سيمونا مشيرةً إلى اللوحاتِ المُعَلَّقَةِ في المَطْبَخِ والتي مَثَّلَتْ أُناساً يرقُصونَ.

ـ أمي هي مَنْ يَرسُمُ، قالَ علاءُ الدّين.

اصطَحَبَهُما نزولاً إلى طابقٍ سُفليٍّ فَدَخَلوا غرفةَ نومٍ فيها سَريرٌ مُزْدَوَجٌ. لا بُدَّ من أَنَّ الغُرفَةَ تَقَعُ تَحتَ الماءِ لأنَّ النَّوافِذَ كانتْ عبارةً عن فَتحاتٍ مُدَوَّرَةٍ صغيرةٍ تحتَ السَّقفِ تَماماً.

ـ غُرفَةُ أمّي وأبي، قالَ علاءُ الدّين.

ـ أين تنامُ؟ قالَتْ سيمونا.

بَدا علاءُ الدّينِ ماكِراً.

ـ في الأعلى، قالَ.

عادوا إلى المَطبَخِ حيثُ أنزَلَ دَرَجاً مُثَبَّتاً في السَّقفِ. تَسَلَّقَهُ صعوداً وَفَتَحَ الفَتْحَة التي في السَّقفِ. رأتْ بيلّي وسيمونا كيفَ اختفى صاعِداً في الثُّقبِ. لَوَّحَ لَهُما بأنْ تَتبعاهُ.

ـ أوه! قالت بيلّي عندَما دَسَّتْ رأسَها في غُرفَةِ علاءِ الدّينِ.

عندَ النَّظَرِ إلى العوّامَةِ مِنَ الخارِجِ فإنَّها تبدو مثلَ عُلبَةٍ كارتونيَّةٍ كبيرةٍ تعلو سَطْحَها علبَةٌ كارتونِيَّةٌ أصغَرُ. هُناكَ في تلكَ العُلبَةِ الأصغَرِ كانَ مأوى علاءِ الدّين. كانت لديه نوافِذُ في الاتّجاهاتِ الأربعةِ والغُرفَةُ كانت من الصِّغَرِ بحيثُ لَمْ تستَوعِبْ أكثرَ من سريرٍ وطاوِلَة سريرٍ جانِبِيَّةٍ ومصباحٍ للسريرِ.

ـ الغيرَةُ تكادُ تَقتُلُني، قالَتْ سيمونا حينَ صعَدَتْ. لَقَدْ تَمَنَّيتُ دائماً أن أسكنَ فَناراً حينَ أكبَرُ، لكِنَّ هذا رائعٌ أيضاً.

رَمى علاء الدّينِ بِنَفسِهِ على السّريرِ.

ـ أَليسَت الغرفَةُ رائعةً؟ قالَ.

هذا أقلُّ ما يُمكنُ قَولُهُ. أشبَهُ بِحِصْنٍ شَخصِيٍّ مَدْخَلُهُ الوحيدُ حُفرَةٌ في الأرضِيَّةِ.

جالتْ بيلّي في الغُرفَةِ. بالإمكانِ رؤيَةُ الميناء بأكمَلِهِ مِن نافِذَةِ علاءِ الدّينِ.

ـ أليسَتْ لَدَيكَ ستائر؟

ـ لا، أحِبُّ أن أُحيطَ بكُلِّ شيءٍ، قال علاءُ الدّين.

فَكَّرَتْ بيلّي بعلاء الدّينِ وهو ينامُ وحيداً في عُلبَتِهِ الكرتونيَّةِ على بُعدِ طابِقَيْنِ من أَبَويْهِ اللذين ينامانِ تحتَ سطحِ الماءِ.

ـ ألا تخافُ الظّلامَ؟ قالَتْ.

بدا علاء الدّينِ كمَنْ لَمْ يَفهَمْ.

ـ هذا مِمّا لا أَفهَمُهُ أبداً، قالَ. ما الذي قد نخافُهُ في الظلامِ غيرَ ما هو موجودٌ عندَما يحلُّ الضياءُ في الخارِجِ؟

نَظَرَتْ بيلّي وسيمونا إلى بَعضِهما. فَكَّرَتا بالشَّيءِ نفسِهِ بالضَّبطِ.

جَلَسَتْ سيمونا على الأرضِ.

ـ هنالكَ أشباحٌ في بَيتِ بيلّي، قالَتْ.

جَلَسَتْ بيلّي أيضاً.

ـ أو رُبَّما هُوَ شَخصٌ يَدخُلُ إلى البَيتِ عندَما يخلو لَهُ ويفعلُ أشياءً غريبةً.

حكَتْ ما جَرى مُنذُ انتَقَلَتْ معَ والِدَتِها إلى البَيتِ. فَصَفَّرَ علاء الدّين.

ـ الآنَ فَهِمتُ، قالَ. أَهيَ أنتِ وأُمُّكِ من تسكنانِ بَيتَ الرَّجْفَة؟

ـ ماذا؟ قالَت بيلّي وهي تشعُرُ بالغَباءِ.

ـ بَيت الرَّجفَة! تقريباً فإنَّ كلَّ من سكنَ هناكَ وقَعَت لَهُ حادثَةٌ ما، قالَ علاء الدّين. ولكنَّ ذلكَ بالتأكيد مُجَرَّدُ صُدَف. فالأشباحُ يقيناً لا وجودَ لها.

ـ لماذا يُسَمّى بيتَ الرَّجفة؟ قالَت سيمونا.

ـ لأنَّ المرءَ يرتجِفُ رُعباً إذا ما دَخَل إلى هناكَ، قالَ علاءُ الدّينِ وصارَ يضحكُ ثانيَةً. ألا تتفقانِ معي على أنَّ الأمرَ مُضحكٌ؟

رأَتْ بيلّي أنَّ الأمرَ كانَ مُخجلاً أكثرَ منهُ مُضحكاً. بيتُها كانَ على ما يبدو معروفاً في القَريَةِ بأكمَلِها. حَتّى أنَّ لَهُ كُنْيَةً سخيفَةً.

أدْرَكَ علاءُ الدّينِ ما كانتْ تُفَكِّرُ فيه.

ـ إنَّهُ يُدْعى بهذا الاسم في مَدرَسَتي فَقَط، قالَ.

جَيِّد، فَكَّرَتْ بيلّي. إذَنْ فَلَنْ أذهَبَ إلَيها أبَداً.

سادَ الصَّمتُ لِبُرْهَةٍ ثُمَّ قالَ علاءُ الدِّين:

ـ بالمُناسَبَة، فإنَّ أُمّي تُؤمِنُ بالأرواحِ والأشباحِ وما إلى ذلكَ.

أمطَرَتْ وبَدَأتْ قَطَراتُ مَطَرٍ ثَقيلَةٌ تَضرِبُ سَطْحَ غُرفَةِ علاءِ الدِّين. تَسَبَّبَتْ الرِّيحُ في أَرجَحَةِ العَوّامَةِ بَعضَ الشَّيءِ.

ـ ولماذا تَفْعَلُ ذلكَ؟ قالَت بيلّي وأَحاطَتْ ساقَيْها بِذراعَيْها.

ـ تَقولُ إنَّ بإمكانِها أن تَتَكَلَّمَ مَعَهُمْ، قالَ علاءُ الدِّين. تَقولُ إنَّ كثيراً مِنَ الأمواتِ غاضبونَ جِدّاً ويريدونَ العَودَةَ إلى الحياةِ ثانِيَةً. ولكِنَّ ذلكَ مستحيلٌ بالطَّبْع.

ـ ماذا يفعَلونَ عندَما يغضَبونَ؟ قالَتْ سيمونا.

ـ عندَئذٍ يبَدَأونَ العِراكَ مَعنا نحنُ الأحياءَ.

فَكَّرَ قليلاً ثُمَّ سألَ:

ـ ما الأمر، هل تُؤمنانِ بِهَذِهِ الأشياءِ؟

فَكَّرَتْ بيلّي في الأَمْر. كيفَ يُمكِنُ إذَنْ تَفسيرُ طَبْعِ اليَدِ في الغُبارِ والطَرقاتِ على النَّوافِذِ؟ لَمْ تَستَطِعْ أنْ تَجْزِمَ ما الأَفظَعُ، أن يكونَ شَبَحاً أو إنساناً ذلكَ الذي يُطارِدُها في البَيتِ.

ـ لا أعرفُ ما الذي أؤمنُ بِهِ، قالَتْ. أعرفُ فَقَطْ أنَّ هُنالِكَ أمراً

مُريباً في البَيتِ الذي أسْكُنُهُ.

جلسوا صامِتينَ وأصغوا إلى المَطَرِ مُدَّةً طويلَةً. فَكَّرَتْ بيلّي بما قاله علاء الدّين عما حكتْه أمّه من أنَّ بَعضَ الأمواتِ غاضبونَ لأنَّهُمْ لَمْ يَعودوا أحياء. ماذا لو أنَّ هناكَ شَبَحاً غاضِباً مِن هؤلاءِ في بَيتِهما هي وأُمِّها؟ كيفَ يُمكِنُ التَّخَلُّصُ منْهُ عندَئذٍ؟

عندَما انْقَطَعَ المَطَرُ قَرَّرَتْ بيلّي وسيمونا أن تَذْهَبا إلى مَتْجَرِ الطَّعامِ حيثُ ستَتَسَوَّقانِ لِأُمِّها. أرادَ علاءُ الدّينَ أن يُرافِقَهُما. قَبْلَ أَنْ يُغادِرَ العَوّامَةَ وَيُوصِدَها، انْدَسَّ في خِزانَةٍ في مَدْخَلِ العَوّامَةِ وَخَرَجَ وفي يَدِهِ دَرّاجَةٌ أُحاديَّةٌ.

ـ أتَستَطيعُ قيادَةَ هذا الشَّيءِ؟ قالَتْ بيلّي.

ـ طبعاً أستَطيعُ، إنَّهُ أمرٌ ولا أسْهَلُ، قالَ علاءُ الدّينِ.

راقَبَت بيلّي وسيمونا المسحورتانِ علاءَ الدّينِ وَهوَ يرتَقي بِخِفَّةٍ عَجَلَتَهُ وكيفَ أنَّهُ عَمَليّاً حَلَّقَ بِها. بدا كُلُّ شيءٍ بسيطاً لِعلاءِ الدّينِ، تَماماً كما هيَ الحالُ مَعَ سيمونا.

كانَ مَتْجَرُ الطَّعامِ كبيراً. مَضى علاءُ الدّينِ وسيمونا يَلهوانِ عِندَ

المُجَمّدات بَينَما جَمَّعَتْ بيلّي ما طَلَبَتْ منها أُمُّها شراءَهُ.

عندَما وَقَفَتْ بيلّي تختارُ الموزَ، شَعَرَتْ بيَدٍ على كَتِفِها. ولأَنَّها ظَنَّتْ أَنَّهُ علاءُ الدّينِ أو سيمونا، فَقَدْ التَقَطَتْ مَوزَةً واستَدارَتْ وهيَ تَرفَعُها كالمُسَدَّسِ.

ـ ارفَعْ يَدَيْكَ! قالَت.

خَلفَها وَقَفَتْ السَّيِّدَةُ التي التَقَتْها في المَكْتَبَةِ، تلكَ التي تُدعى إيلّا.

تَعَجَّبَتْ بيلّي حتّى أنَّ الموزَةَ أفلَتَتْ مِنها.

ـ آه ساحِيني، قالَتْ أوتوماتيكيّاً.

ولكِنَّ السَّيِّدَةَ إيلّا بَدتْ كأَنَّها لَمْ تَلْحَظْ أَنَّها قَدْ تَعَرَّضَتْ تَوّاً لتهديدِ قَتْلٍ بالمَوزِ.

ـ يَجِبُ أنْ نَتَكَلَّمَ ذاتَ يَومٍ، هَمْهَمَتْ.

نَظَرَتْ بيلّي مِنْ فَوقِ كَتِفِ السَّيِّدَةِ وتَساءَلَتْ أينَ اختَفى علاءُ الدّينِ وسيمونا.

ـ طَبعاً، قالَتْ.

ـ هذا مُهِمٌّ، هَمَسَتْ السَّيِّدَةُ. قَدْ تَكونُ حياتُكِ وحياةُ عائلَتِكِ في خَطَرٍ شَديد. الأمرُ مُتَعَلِّقٌ بالبَيتِ.

أَلَمْ يَكُنْ ذلكَ ما سَمِعَهُ علاءُ الدّين في مَدرَسَته، أنَّ البَيتَ مَشْؤُومٌ؟

ـ إيلّا بَنغتسون، هذا هو اسمي، قالَت السَّيِّدَةُ. أسْكُنُ في سنيكّارهاغ فَيْغَن في أسْبت.

كانتْ أسْبَتْ هي المنطَقَةُ الواقِعَةُ في الجِهَةِ المُقابِلَةِ للميناء، هذا أقصى ما تَعرِفُهُ بيلّي. ولكنْ أينَ وَلَّتْ سيمونا وعلاءُ الدّين؟ كادَتْ بيلّي تُصابُ بالهَلَعِ بسَبَبِ وقوفِها وحيدَةً مع السَّيِّدَةِ ذاتِ الهَمْسِ والرّائحةِ الغَرِيبَيْن.

ـ عِدِيْ بأنَّكِ سَتَأتينَ، هَمَسَت السَّيِّدَةُ.

ـ أَعِدُ، قالَتْ بيلّي بصَوْتٍ خَفيض.

ـ حَسَناً، قالَت السَّيِّدَةُ.

ثُمَّ أخَذَتْ سَلَّةَ تَسَوُّقِها ومُشتَرَياتِها واختَفَتْ.

١٠

تَمَكَّنَتْ بيلّي وسيمونا منَ العُبورِ إلى أسبَت على الدَّرّاجَةِ مَرَّتَينِ بَحثاً عن إيلّا قَبلَ اضطرار سيمونا للرَحيلِ. في المَرَّتَينِ لَمْ تُوَفَّقا في العُثورِ على السَّيِّدَةِ العَجوزِ.

ـ عَلَيْكِ مُواصَلَةُ البَحثِ، قالَتْ سيمونا حَين افتَرَقَتا عِندَ مَحَطَّةِ الباصِ. سآتي إلى هنا في يومٍ آخر لِمُساعَدَتِكِ.

هَزَّتْ بيلّي رأسَها مُوافِقَةً. غالَبَها شعورٌ بأَهَمِّيَّةِ معرفَةِ سَبَبِ تَسَلُّلِ أحدِهِمْ إلى بَيتِها ليَكتُبَ "غادِروا!" على مَجَلَّةٍ قَديمةٍ. أَحَدُهُمْ لَم يُعجِبْهُ انتقالُها وأُمِّها إلى هناكَ ولقَدْ خَشِيَتْ بيلّي في المَرَّةِ القادِمَةِ أن يَفْعَلَ الشَّخصُ الذي تَرَكَ الرِّسالَةَ ما هُوَ أسْوَأ.

بَدا وكأَنَّ كُلَّ شيءٍ قَدْ تَغَيَّرَ بَعْدَ زيارَةِ سيمونا. كانَ مِنْ عادَةِ أبيها القولُ إنَّ مِنَ المُهِمِّ أن يعيشَ المَرءُ أيّاماً مُمتِعَةً، فالأيامُ العادِيَّةُ كثيرةٌ. وبعدَ ثلاثَةِ أسابيعَ في بَيتِ سبارّيسفَيْغَن أدرَكَت بيلّي، وبِغَضِّ

النَّظَرِ عَمّا إذا أرادت ذلكَ أَوْ لَمْ تُرِدْهُ، أنَّها وأمَّها قدْ خَلَقَتا ما يُشبهُ العاداتِ اليَوميَّةَ في بَيتِهما الجَديد. أحياناً كانتا وحدَهما وأحياناً كان هناكَ من يزورُهما، ولكن غالباً ما كانتا تفعلانِ الأشياءَ ذاتَها. تذهبانِ إلى الشّاطئ، تَطبُخانِ الطَّعامَ، تَقرآنِ، تُنَظّفانِ وتَعتَنيانِ بالحديقَةِ. لَمْ تَتَحدَّثا عَمّا جَرى في البَيتِ لأنَّ أُمَّها كانت تَغضَبُ على الفورِ.

صارَتْ بيلّي، دُونَ رَغبَةٍ منها، تُحبُّ غُرفَتَها ذاتَ السَّقفِ المائلِ. عَلَّقَتْ على الجُدرانِ صُوَراً لأَبيها وجَدَّتِها وجَدِّها لأبيها وأَخلَتْ مَكاناً في المَكتَبَةِ لِكُتُبِها التي جَلَبَتْها مِنَ المَدينَةِ.

ـ لَعَلَّكِ بهذا أَوَّلُ فتاةٍ سُوَيديَّةٍ في الثّانيَةَ عشَرَةَ مِن عُمْرِها تمتلكُ مَكتَبَةً خاصَّةً بِها، قالَتْ الأمُّ لِبيلّي.

في عَصرِ أحَدِ الأيّامِ الممطرة راجَعَتْ بيلّي ما في مَكتَبَتِها عَنْ كَثَب. رأتْ أنَّ الكُتَبَ مَوضوعَةٌ حَسَبَ التّرتيبِ الهِجائيّ لألقابِ مُؤلّفيها. أعجَبَها ذلكَ، وَوَضَعَتْ كُتُبَها هيَ إلى جانبِ بَقيَّةِ الكُتُبِ وفق التّرتيبِ ذاتِهِ. وَقَدْ بَدَتْ جميلةً.

ـ أما زالَتْ الأشباحُ في البَيتِ؟ سألَتْها سيمونا عندَما تَكَلَّمتا على الهاتفِ مساءً.

ـ لا أعتَقِدُ ذلكَ، قالَتْ بيلّي. فأنا، على الأقلِّ، لَمْ أسمَعْ شيئاً.

لذا فَهيَ لَمْ تَقُمْ كذلكَ بِمُحاولاتٍ أخرى للعُثورِ على السَّيِّدَةِ إيلّا التي أرادَتْ أن تَحكي لَها الفَظائعَ عَن البَيتِ. اتَّخَذَتْ أُمُّها عادَةَ إيصادِ بابِ غُرفَةِ الضُّيوفِ عندَما تَخلُدانِ إلى النَّومِ ورأتْ بيلّي أنَّ ذلكَ أفضَلُ. التَزَمَتْ بالبَقاءِ في الطّابقِ العُلْويِّ لَيلاً وَتَجَنَّبَت النُّزولَ إذا نامَتْ أُمُّها.

التَقَتْ بِعلاءِ الدِّينِ كثيراً. ودائماً في القريَةِ أو في بَيتِهِ.

ـ لِماذا لا تَلتَقِيانِ هنا؟ تَساءلَت الأُمُّ.

رأَتْ بيلّي أنَّهُ سؤالٌ غَبيٌّ. فَعلاءُ الدّينِ وَحْدَهُ دائماً في العَوّامَةِ، وبَديهيٌّ أنَّ وجودَهما هناكَ أكثرُ مُتْعَةً من وجودهما في بَيتِ بيلّي.

ولكِنَّهُ ظَهَرَ في عَصرِ أَحَدِ الأيّامِ. جَلَسَتْ بيلّي في الشُّرفَةِ تَقرأُ بَينَما خَرَجَتْ أُمُّها للتَسَوُّقِ. بَدا ظَريفاً وهو يقودُ دَرّاجَتَهُ الأُحاديَّةَ في فناءِ البَيتِ.

ـ فَكَّرتُ أنني يَجِبُ أن أرى مَسْكَنَكِ، قالَ. وأنْ ألقي التَّحِيَّةَ رُبَّما على بعضِ الأشباحِ.

ـ الأفضَلُ ألّا تَفعَل، قالت بيلّي.

ـ يبدو الطِّلاءُ على وَشَكِ السُّقوطِ في بَعْضِ الأماكِنِ، قالَ علاءُ

الدّينِ وهوَ يَصعَدُ السُّلَّمَ نَحوَ الشُّرفَةِ.

أشارَ إلى أحَدِ الجُدرانِ حيثُ تَقَشَّرَ بَعضُ الطِّلاءِ وسَقَطَ على الأرضِ. الصُّدوعُ التي رأَتْها بيلّي مُنذُ اليومِ الأوَّلِ قد أصبَحَتْ مع الوَقتِ أكثرَ وأكبرَ ورَسَمَتْ تشكيلاً على الجُدرانِ.

ـ أعرِفُ، قالَت بيلّي. أَليسَ مَنظَراً قبيحاً؟

لَمْ تأخُذْ جَولَةُ الاطّلاعِ على البَيتِ أكثرَ من خمسِ دقائق، بَعدَها جَلَسا في الشُّرفَةِ يشربانِ عصيرَ الكشْمشْ الذي صَنَعَتْهُ أُمُّها.

ـ لَقَدْ وَجَدْتِ تِلكَ المَجَلَّةَ في غُرفَةِ الضُّيوفِ، أَليسَ كذلكَ؟ قالَ علاءُ الدّينِ.

ـ ممم، قالَتْ بيلّي وأَطرَقَتْ نحوَ قَدَحِ العَصيرِ.

ـ مُنتَهى الغَرابَةِ، قالَ علاءُ الدّينِ.

كانَ يوماً دافئاً، لا ريحَ فيهِ إطلاقاً ولا غمامةَ في السَّماءِ.

ـ أَيُمكِنُ الحُصولُ على المَزيدِ مِنَ العصيرِ؟ قالَ علاءُ الدّينِ.

ـ بالطَّبْعِ، قالَتْ بيلّي. سأدْخُلُ وأجلُبُ إبريقاً كاملاً.

نَهَضَ علاءُ الدّينِ كَيْ يُرافِقَها، ولكِنَّهُ لَمَحَ السِّنجابَ، الذي يلعَبُ أحياناً في الشُّرفَةِ، جالِساً على بِساطِ العُشْبِ.

ـ يا لجَماله! قالَ.

فَسُرَّتْ بيلّي. أخيراً وَجَدا شَيئاً لَدَيها لا يَمْلك مثلَهُ في مينائه. دَخَلَتْ وَحدَها إلى المَطبَخِ طَلَباً لِمَزيدٍ مِنَ العَصيرِ بينَما ظَلَّ علاءُ الدّينِ واقِفاً يَنْظُرُ إلى السّنجاب.

ـ عِندَما مَرَّتْ بِمَدخَلِ صالَةِ الجُلوس تَوَقَّفَتْ عَن الحراكِ. أزعَجَها شيءٌ ما لكِنَّها لَمْ تَستَطِعْ أن تُحَدِّدَهُ.

وَقَفَتْ بيلّي صامِتَةً بِبابِ الصّالَةِ وفي يديها قدحانِ مِنَ العصيرِ. كانَ حَلقُها جافّاً تماماً. ما الأمرُ؟

ثُمَّ رأتها.

الثُّرَيّا تَتَحَرَّكُ، تماماً كما فَعَلَتْ في أوَّلِ يومٍ عندَما كانتْ بيلّي وحدَها في البَيتِ.

تأرْجَحَتْ بِبُطءٍ إلى الأمامِ والخلفِ. كأنَّ أحدَهُمْ يَتَعَلَّقُ بِها.

صارَ قلبُ بيلّي يَخْفِقُ بالشِّدَّةِ ذاتِها ثانِيَةً. كيفَ يمكنُ للثُّرَيّا أن تَتَمايَلَ والنّوافِذُ مُغلَقَةٌ والهواءُ ساكِنٌ.

ـ علاءَ الدّينِ، أيُمكِنُ أن تأتي إلى هنا؟ نادَتْ واستَدارَتْ إلى جِهَةِ البابِ الخارِجِيِّ المفتوحِ والشُّرفَةِ.

لا بُدَّ من أنَّ علاءَ الدّينَ أدركَ مِنْ صوتِها أنَّها كانتْ خائفَةً لأنَّهُ في الثانيَةِ التّاليَةِ كانَ يَقِفُ إلى جِوارِها.

ـ أينَ هو؟

ـ انظر! هَمَسَتْ بيلّي وأشارَتْ بِأحدِ قَدَحَيْ العَصيرِ نَحوَ الثُّرَيّا العَتيقَةِ.

تَعَلَّقَتْ الثُّرَيّا ساكِنَةً تماماً.

ـ ولكنْ...، بَدَأَتْ بيلّي. منذ بُرهةٍ كانتْ تتمايلُ إلى الأمامِ والخَلفِ.

ـ إيه، قالَ علاء الدّينِ. لَعَلَّهُ تَيّارٌ هوائيٌّ أو ما إلى ذلك.

ـ تَيّارٌ هوائيٌّ دونَ هُبوبِ ريحٍ؟ قالَتْ بيلّي.

عندَئذٍ سَمِعَتْ صوتَ أُمِّها قادِماً مِنَ الحَديقَةِ.

ـ لا تَقُلْ لَها شيئاً، قالَتْ بيلّي بِسُرعَةٍ لِعلاءِ الدّينِ.

لِماذا كانتْ بيلّي، وليسَتْ أُمُّها، هي مَن يَتَعَرَّضُ لِهذهِ الأشياءِ دائماً؟

بَدا علاءُ الدّينِ حائراً ولكِنَّهُ وَعَدَ بالكِتمانِ.

صَعَدَتْ أُمُّ بيلّي السُّلَّمَ إلى الشُّرفَةِ بِكيسٍ مُشتَرياتٍ في كلتا يديها. لَمْ تَزَلْ بيلّي مُمسِكَةً بِقَدَحَي العصيرِ فيما هَبَّ علاءُ الدّينِ لِمساعَدَةِ أُمِّها.

ـ شكراً على هذا اللُّطْفِ! قالَتْ. أنتَ طَبعاً علاءُ الدّينِ.

كانتْ تِلكَ المَرَّةَ الأولى التي يُلقيانِ فيها التَّحيَّةَ على بَعضِهِما ورأَتْ بيلّي مِنْ تَصَرُّفِ أمّها أنَّها أحبَّتْهُ.

ثُمَّ رأَتْ شيئاً آخرَ أيضاً. خلفَ أُمِّها صَعَدَ رَجُلٌ طويلٌ السُّلَّمَ. ابتَسَمَ لِبيلّي وكأَنَّهُما يعرفانِ بَعضَهُما.

ـ لا بُدَّ من أنَّكِ ابنَةُ إيبّا، قالَ.

نَقَّلَت الأمُّ بَصَرَها بَينَ الرَّجُلِ وبيلّي.

ـ هذا صديقي يوسف. ارتأَيتُ أن يتناولَ الطَّعامَ مَعَنا الليلَةَ.

١١

انتَهى بِهِمُ الأمرُ إلى عشاءٍ فَريدٍ. مَكَثَ علاءُ الدّينِ وأَكَلَ. تَحَدَّثَ الرَّجُلُ الذي يُدعى يوسِف وَضَحِكَ لكنَّ ذلكَ لَمْ يَرُقْ لِبيلّي. مَنْ كانَ الرَّجُلُ وماذا أراد؟

حَكَتْ أُمُّها أنَّ يوسِفَ شرطيٌّ وأنَّهُ ساعَدَها عندَما حاولَ أَحَدُهُمُ السَّطْوَ على الفيلّا في المدينة. حَدَّقَتْ بيلّي في أُمِّها.

ـ هل تَعَرَّضنا للسَّطْوِ؟ لماذا لَمْ تَقولي شيئاً؟

أَطرقَتِ الأمُّ.

ـ لَمْ أُرِدْ أنْ أُوَتِّرَكِ بالأَمرِ، قالَتْ بصَوتٍ خَفيض. لَقَدْ كُنتِ مهمومَةً بشأنِ هذا البَيتِ ولذلكَ لَمْ أرغَب بِزيادَةِ الأمورِ سوءاً عِبرَ إخبارِكِ بما حَدَثَ لِبَيتنا في كيخانستا.

ـ ما الهُمومُ التي لَدَيكِ بخصوصِ هذا البَيتِ؟ قالَ يوسِف. إنَّهُ جميلٌ جِدّاً، بِرأيي.

لَمْ تُحِب بيلّي. لَمْ تَكنْ لديها أيَّة رَغبَةٍ في الحديثِ عَنِ البَيتِ مَعَ شَخصٍ لا تَعرِفُهُ. نَظَرَتْ أُمُّها إليها نَظْرَةَ ضِيقٍ.

ـ على سبيلِ المثالِ فالطلاءُ يسْقُطُ عنِ الجُدرانِ، قالَتْ آخرَ الأمر.

ـ إيه، لَيسَ ذلكَ أمراً يستَحِقُّ أن تَهتَمّي لَهُ، قالَ يوسف. هكذا هي حالُ البيوتِ القَديمَةِ. مِن الصَّعبِ أنْ تَستَقِرَّ على حالٍ.

الاستقرارُ على حال. كلّا، إنَّهُ بالفعلِ أمرٌ لَمْ يفعَلْهُ بَيتُها.

ـ تقولُ بيلّي إنَّها تسمَعُ أشباحاً في الليلِ، قالَتْ الأُمُّ.

ـ ألَستِ أكبَرَ سِنّاً مِنْ تَخَيُّلاتٍ كهذه؟ قال.

رُبَّما كانَ على بيلّي أنْ تتَرَيَّثَ، لكنَّها غَضِبَتْ أشدَّ الغَضَبِ. بِحَرَكَةٍ عَنيفَةٍ نَهَضَتْ وسَمِعَتْ الكُرسِيَّ يَقَعُ ويرتَطِمُ ارتِطاماً مُدَوّياً بالأرضيَّةِ خَلفَها.

ـ أنتِ غَبيَّةٌ تماماً! صَرَخَتْ في أمّها. ولئيمةٌ! تُفَكِّرينَ في نَفسِكِ فَقَط!

وبِخُطى حانِقَةٍ سارَتْ إلى داخِلِ البَيتِ وعندَما وصَلَتْ البابَ استَدارتْ لتقولَ:

ـ ما الذي كانَ أبي سيقولُهُ بِرأيِكِ لو أنَّهُ رآكِ معَ شُرْطِيٍّ عَفِنٍ؟

عندَما خَرَجَتْ الكلماتُ مِنْ فَمِها كانَ الأوانُ قدْ فاتَ. لم يكنْ بالمُستَطاعِ سَحبُها. لِماذا قالَتْ ذلك؟ بَدَتْ أُمُّها في غايَةِ الحُزْنِ وأفلَتَ يوسِفُ الشَّوكَةَ التي في يَدِه.

خَجِلَةً مِنْ نَفسِها رَكَضَتْ بيلّي صُعوداً إلى غُرفَتِها. وَلَمْ تَكَدْ تُغلِقُ البابَ حتّى فُتِحَ ثانيَةً. وَلَجَ علاءُ الدّينِ وأغلَقَه خَلفَهُ.

ـ أَتُريدِينَ أن تَختَلي بنَفسِكِ؟

ـ لَمْ تَمْلُكْ بيلّي أنْ تُصْدِرَ صوتاً. لَو أنَّها فَتَحَتْ فَمَها لأَجْهَشَتْ بالبُكاءِ الشَّديدِ. جَلَسَتْ على الأرضِ عِندَ المَكتَبَةِ وَجَلَسَ علاءُ الدّينِ بِجِوارِها.

ـ كانَ مِزاحُ أُمّكِ بِشأنِ الأشباحِ حماقَةً، قالَ.

عِندَئذٍ هَطَلَ الدَّمْعُ، وَكأنَّها تَهَشَّمَتْ لأنَّ أحَداً عامَلَها بِطِيبَةٍ.

ـ حتّى أنتَ لا تُصَدِّقُني، هَمَسَتْ.

تَرَدَّدَ علاءُ الدّينِ.

ـ حَسَناً، لا أدري ماذا أعتَقِدُ. أخبَرتُكِ أنَّ أُمّي تؤمِنُ بالأشباحِ ولكنْ لا أنا ولا أبي نفعَلُ ذلك.

ـ لَمْ أَقُلْ أَبَداً إنَّ الأشباحَ موجودَةٌ، قُلتُ فَقَطْ إنَّ أموراً عجيبةً ومُخيفَةً

تَحدُثُ هنا، قالَتْ بيلّي وَمَسَحَتْ دُموعَها.

نَظَرَ علاءُ الدّينِ إلى المَكتَبَة.

ـ يا لَها مِن كُتُبٍ قديمَةٍ راقِيَة، قالَ.

ـ كانتْ موجودَةً هنا عندَما انتَقَلنا إلى البَيْت.

ـ ماذا؟ أَلَمْ يأخُذ المالكونَ السّابقونَ مَعَهُمْ كُتُبَهُمْ ؟

هَبَطَ تَّعَجُّبُ نَبْرَةِ صَوتِه ثَلْجاً على صدرِها . أراحَها أنَّ شَخصاً جَديداً يرى رأيَها، إنَّها ليسَتْ المَجنونَةَ التي تَتَوَهَّمُ أشياءً.

ـ لَقَدْ تَركوا الكثيرَ مِن الأشياءِ، قالَتْ.

كانَتْ على وَشَكِ أن تَبدأُ حكايَتَها عنْ الرُّسوماتِ التي لَمْلَمَتْها مِن على المَكتَبِ، عندَما لَمَحَتْ شيئاً جَمَّدَها تماماً.

لَمْ تَعُدْ كُتُبُها مصفوفَةً في المكتَبَة. التَقَطَها أَحَدُهُم من هناكَ وَكَوَّمَها على الأرضِ. وكأَنَّها غيرُ مرغوبٍ فيها بينَ بَقيَّةِ الكُتُبِ. لا يمكنُ أن يكونَ الفاعلُ أُمَّها. فَهْيَ لا تَجرُؤُ حتّى على مُجَرَّدِ تَمَنّي لَمسِ كُتُبِ بيلّي.

ارتَعَشَ إصْبَعُها وَهيَ تُشيرُ إلى كَومَةِ الكُتُبِ.

ـ لستُ مَنْ وَضَعَها هناكَ، هَمَسَتْ، خائفَةً فَجأةً مِن أن يَكونَ هناكَ شخصٌ غيرُهُما في الغُرفَةِ. تِلكَ كُتُبي، صَفَفْتُها في المَكتَبَةِ بِجوارِ الكُتُبِ

القَديمة، حسبَ الترتيبِ الهجائي.

نَظَرَ علاءُ الدّينِ طَويلاً إلى الكُتُبِ.

ـ ماذا تُريدينَ أنْ تَفعَلي الآنَ؟ قالَ. لا يُمكِنُكِ العَيشُ هكذا.

ضَمَّتْ بيلّي ساقَيْها إلى صَدْرِها وأمالَتْ ذَقنَها على رُكبَتَيْها.

ـ أريدُ فَقَطْ أن يكونَ كُلُّ شيءٍ على ما يُرامُ ثانِيَةً، قالَتْ بِصَوتٍ رقيق.

ـ إذَنْ فَسَنعمَلُ على ذلِكَ، قالَ علاءُ الدّينِ بِحَزْمٍ.

ـ وكيفَ ذلك؟ قالَتْ بيلّي.

ـ سؤالٌ وَجيهٌ. ما الذي نُريدُ مَعرِفَتَه؟

فَكَّرَتْ بيلّي.

ـ نُريدُ أن نَعرِفَ مَن الذي طَرَقَ على نوافِذِنا في تِلكَ الليلَةِ. وَمَن الذي تَرَكَ طَبْعَ اليَدِ على الطّاولَةِ وأخرَجَ المَجَلَّةَ فيما بَعدُ وكتَبَ "غادِروا!" عَليها.

أَوْمَأَ علاءُ الدّينِ كَأنَّهُ وافَقَها.

ـ شيءٌ آخر؟

نَظَرَتْ بيلّي إلى المَكتَبَة.

ـ كُتُبُك، قالَ علاءُ الدّينِ. على ما يبدو، فَهُناكَ مَنْ يأتي ويَذهَبُ في البَيتِ دونَ عِلْمِكُما.

ـ تَماماً، قالَتْ بيلّي.

رأتْ علاءَ الدّينِ يُفَكِّرُ في شيءٍ ما.

ـ هل نَحنُ نَعتَقِدُ بأنَّ الأشباحَ قَدْ تَكونُ وراءَ هذا؟

مِنْ ناحيَةٍ فإنَّها لَمْ تَكُنْ تُؤمِنُ بالأشباحِ والأرواحِ الشِّرّيرَةِ. ومن ناحيَةٍ أخرى... لَمْ تَستَطِعْ مَنْعَ نَفسِها مِنَ التَّفكيرِ في الثُّرَيّا التي تَمايلَتْ مِنْ تِلقاءِ نَفسِها.

ـ لا أعرف، قالَت. رُبَّما.

ـ يَجِبُ أن نُحاوِلَ العُثورَ على العائلَةِ التي سَكَنَتْ هُنا سابقاً، قالَ علاءُ الدّينِ. يَجِب أنْ يُخبِرونا لماذا انتَقَلوا على عَجَلٍ. لو أخذنا بالاعتِبارِ كُلَّ ما خَلَّفوهُ وراءَهُم، فبإمكانِنا الاعتقادُ بأنَّهُمْ هَرَبوا بِجُلودِهِم طَلَباً للنَّجاةِ.

ارتَعَدَتْ بيلّي.

ـ كيفَ سَنَجِدُهُم؟ قالَتْ. أَلَيسَ عَلَينا أنْ نَتَحَدَّثَ إلى السَّيِّدَةِ العَجوزِ كذلكَ؟

التَمَعَتْ عَينا علاءِ الدِّينِ الذّاكِنتانِ.

ـ لَدَيَّ فِكرَةٌ، قال.

١٢

ـ إلى أينَ؟ قالَت الأُمُّ عندَ خُروجِ بيلّي مِنَ البَيتِ وخوذَتُها على ذراعِها وحقيبَتُها على ظَهرِها.

ـ خارِجَةٌ. سألتَقي علاءَ الدِّينِ.

خَرَجَت الأُمُّ إلى المَمَرِّ وفي يَدَيْها مِنشَفَةُ الصُّحونِ.

ـ يجبُ أن نَتَكَلَّمَ عَمّا حَدَثَ أمْسِ، يا بيلّي. عندَ العشاءِ. حينما غادَرتِ المائدَةَ بِتِلْكَ الطَّريقَةِ.

لَمْ تَقُلْ أُمُّها شيئاً مِنْ قَبْلُ عن ثَوْرَتِها أمْسِ وإنَّما تَرَكَتْها وَشَأنَها. أَطرَقَتْ بيلّي.

ـ لَعَلَّنا نستطيعُ الحَديثَ فيما بَعْدُ.

أَومَأَت الأُمُّ مُوافِقَةً وتركَتْ أصابِعَها تَعبَثُ بالمِنشَفَةِ.

ـ بالتَّأكيد. أريدُ فَقَطْ أنْ تَعرِفي أَنَّ يوسِفَ ليسَ سوى صَديقٍ. صَدِيْق. مثل علاءِ الدِّينِ بالنِّسبَةِ لَكِ. حسناً؟

خَرَجَ الحُزنُ مِن حَيثُ لا تَدري بيلّي وأطبَقَ بِقَبْضَةٍ ثقيلَةٍ على عُنُقِها. مَسَحَتْ أُمُّها على خَدِّها.

ـ سَلِّمي على علاءِ الدِّينِ، قالَتْ وعادَتْ إلى المَطبَخِ.

التَقَيا في الميناءِ عندَ عَوَّامَةِ علاءِ الدِّينِ. اليومَ عَثَرَ على دَرَّاجَةٍ حقيقيَّةٍ ذاتِ عَجَلَتَيْنِ.

ـ سَنَبْدَأُ بتِلْكَ السَّيِّدَةِ العَجوزِ، قالَ علاءُ الدِّينِ. وهيَ تعيشُ في سْنيكَّرهاغ فَيغَن، أَليسَ كَذلكَ؟

تساءَلَت بيلّي عَن رَدَّةِ فعلِ السَّيِّدَةِ على اصطحابِها علاءَ الدِّينِ، هذا إذا وَجَداها أصلاً. وأَملَتْ ألّا تُصِرَّ على الكلامِ مَعَ بيلّي وحدَها.

ولَمْ تَفْعَلْ ذلكَ حَتّى. قادا دَرّاجَتَيْهِما مَرَّتَيْنِ ذِهاباً وإياباً قَبْلَ أنْ تَلْمَحَها بيلّي. جَلَسَتْ إيلّا في شُرفَةٍ تابِعَةٍ لِكوخٍ صغيرٍ ولِذلكَ كانَ مِنَ الصَّعبِ أنْ يَراها المَرءُ مِنَ الطَّريقِ. عِندَما دَخَلَتْ بيلّي وعلاءُ الدِّينِ إلى فِنائِها، طارَتْ، عَمَلِيّاً، مِنْ على كُرسِيِّها.

ـ أخيراً، صاحَتْ.

كانَ كوخُ إيلّا بأكمَلِهِ مَليئاً بالشُّموعِ التي قالَتْ إيلّا إنَّ مِن عادَتِها

إشعالَها مساءً. ولِغايَةٍ ما فَقَدْ حَرَصَتْ على أن يَجلِسوا وَيَتحدَّثوا في الدّاخِلِ.

ـ رُبَّما يَرانا أحَدُهُمْ ونحنُ نَجلِسُ في الشُّرفَةِ، قالَتْ بِصَوتٍ خَفيضٍ.

مِنْ ناحِيَتِها كانتْ بيلّي سَعيدَةً بوجودِ علاءِ الدّينِ مَعَها، وإلّا كانَتْ سَتَنزَعِجُ حَقّاً مِنَ الدُّخولِ إلى كوخِ إيلّا والجُلوسِ هُناكَ والاستِماعِ إلَيْها والبابُ مُوْصَدٌ.

كانَ الكوخُ مِنَ الصِّغَرِ بِحَيثُ لَمْ يَتَكَوَّنْ إلّا مِنْ غُرْفَةٍ واحِدةٍ اجتَمَعَ فيها رُكنٌ للطَّبْخِ وأريكَةٌ وسريرٌ وطاوِلَةٌ صغيرَةٌ.

لَوَّحَتْ إيلّا هاشَّةً على قِطَّتَينِ كبيرَتَينِ لِتُبْعِدَهُما عَنِ الأريكَةِ وطَلَبَتْ مِن بيلّي وعلاءِ الدّينِ أن يَجلِسا هُناكَ. أمّا هِيَ فَقَدْ جلَسَتْ على كُرسِيٍّ من القَصَبِ في الجِهَةِ الأُخرى مِن طاوِلَةِ الجُلوسِ.

ـ كَمْ مضى منذُ سَكَنتُمُ البَيتَ؟ قالَتْ.

نَظَرَتْ بيلّي وعلاءُ الدّينِ إلى بَعضِهِما.

ـ بيلّي فقَط هي مَنْ يَسكُنُ البَيتَ، قالَ علاءُ الدّينِ. أنا أسكُنُ في الميناءِ.

ـ أعرِفُ خَيرَ المَعرِفَةِ مَنْ تَكونُ، قالَتْ إيلّا. أَبَواكَ هما مَن يُديرانِ

تُركيّ البُرج، أليسَ كذلك؟

أومَأَ علاءُ الدّين مُوافقاً وقَدْ اتَّسَعَتْ عيناهُ ورأَتْ بيلّي السَّيِّدَةَ تَبتَسِمُ لأَوَّلِ مَرَّةٍ. كانت لَدَيها تَجاعيدُ ضَحِكٍ جَميلَةٌ حولَ عَينَيها. بَدتْ في الواقِعِ طَيِّبَةً.

ـ نَحنُ نَسْكُنُ البَيتَ مُنذُ بِدايَةِ يوليو، قالَتْ.

تَعَجَّبَتْ عندَما فَكَّرَتْ بذلكَ، فَهَلْ مضى كُلُّ هذا الوَقْتِ حَقّاً؟ سَتَبدَأُ المَدرَسَةُ بَعدَ حوالَي أسبوعٍ.

ـ ما عَدَدُ أفرادِ أُسْرَتِكِ؟ قالَتْ إيلّا.

ـ ليسَ هناكَ سِوانا أنا وأُمّي.

تَنَهَّدَتْ إيلّا وَهَزَّتْ رأسَها.

ـ يُسعِدُني أنَّكُما اثنتانِ لا أكثَرَ، قالَتْ. ولكِنَّكما مِن ناحِيَةٍ أخرى قَدْ سَكنتُما البَيتَ فَترَةً أطوَلَ مِنَ اللازِمِ. عليكُما أن تَخرُجا مِن هناكَ. كُلَّما عَجَّلتُما، كانَ ذلكَ أفضَلَ!

عندَما تَكَلَّمَتْ إيلا ارتَفَعَ صَوتُها وتَذَكَّرَتْ بيلّي ما قالَتْهُ مُوظَّفَةُ المَكتَبَةِ؛ أنَّ خيالَ إيلّا كانَ جامِحاً، أنَّها تَبتَدِعُ أشياءً تُخيفُ بِها الآخَرينَ.

ـ ولِمَ العَجَلة؟ قالَ علاءُ الدّين.

قاطَعَهُمْ صوتُ المَطَرِ على سَطْحِ كوخِ إيلّا. لَمْ تَكُنْ بيلّي مُتَأَكِّدَةً، لكنَّها ظَنَّتْ أنَّها سَمِعَتْ الرَّعدَ يُدَوّي في مكانٍ ما بَعيد. أَمِلَتْ أن يَزولَ الطَّقسُ الرديءُ سريعاً، لأنَّها لَمْ تَمتَلِكْ أيَّ رَغبَةٍ في المُكوثِ على جِلسَتِها لدى إيّلا طويلاً.

ويبدو أنَّ علاءَ الدّينِ يُشارِكُها ذلكَ الشُّعورَ، فَقَدْ نَفِدَ صَبْرُهُ:

ـ ألا يُمكِنُكَ إخبارُنا ما الخطيرُ في البَيتِ؟

مالتْ إيلّا إلى الخَلفِ في كُرسِيِّها.

ـ صِغارُ هذا الزَّمانِ، قالَتْ بِنَبْرَةٍ مُتْعَبَةٍ. أنتُمْ مُتَمَلْمِلونَ جِدّاً، لا وَقتَ لَدَيكُمْ أبَداً للتَوَقُّفِ والتَّأَمُّلِ في الأمورِ كما يَنْبَغي.

إحدى القِطَّتَينِ اللتَيْنِ أزاحَتْهُما عَن الأريكَةِ قَفزَتْ مِنْ على الأرضِ وَحَطَّتْ في حِجْرِها. فَمَسَّدَتْ إيلّا ظَهرَها.

بعدَ أن صَمَتَتْ بُرهَةً نَظَرَتْ إلى بيلّي وقالَتْ:

ـ يُمكِنُني الاعترافُ بُدءاً بأنَّني لا أعرِفُ كُلَّ شيءٍ. ولكِنَّني أعرفُ الكثيرَ، ما يكفي لأقتَنِعَ بأنَّ البَيتَ الذي تَسكُنينَ ليسَ طَبيعيّاً.

دَوّى عندَئذٍ رَعدٌ بِقُوَّةٍ جَعَلَتْ بيلّي وعلاءَ الدّينِ يهُبّانِ على الأريكةِ.

نَظَرَتْ إيلّا إلى الخارِجِ عَبْرَ النّافِذَةِ.

ـ لقد مضى ما يزيدُ على خمسينَ عاماً على دخولي الأول إلى بَيتِكِ، قالَت. ولَقَدْ أَدركتُ فوراً أنَّ هُنالِكَ خطأً جَسِيماً فيهِ.

١٣

في زَمَنٍ بَعيدٍ عَمِلَتْ إيلّا خادِمَةً لِعَوائلَ مُختَلِفَةٍ في أوهوس. بعضُ هذه العوائلِ سَكَنَ بَيتَ بيلّي.

ـ كانَ ذلكَ في نهايةِ الخمسيناتِ، قالَتْ إيلّا. كانَ عليَّ أن أُنَظِّفَ البَيتَ مَرَّتَينِ في الأسبوعِ. كان الأطفالُ الذينَ سكنوا هناكَ شاحِبيْنَ وخائِفيْنَ. في البدايةِ ظَنَنتُهُمْ خائفينَ مِن أبيهم. رجلٌ ضخمٌ وصاخِبٌ اعتادَ الصُّراخَ في أفرادِ عائلَتِه وضَرْبَهم كذلكَ حَتْماً.

قَطَعَتْ حَديثَها عندَما رأَتْ وَجهَي بيلّي وعلاءِ الدّينِ المُرتَعِبَيْنِ.

ـ كانتْ الأمورُ تسيرُ على نَحوٍ مُختَلِفٍ عندَئذٍ، قالَت. في ذلك الوقتِ كانَ مَسْموحاً للمَرْءِ ضَربُ أطفالِه. لَم أُحِبَّ الذهابَ إلى هناكَ، فماذا لو خَطَرَ لَهُ أنْ يعتَدي عليَّ أنا أيضاً.

تَمْلَمَلَ علاءُ الدّينِ على الأريكةِ. لَمْ يَزلْ نافِدَ الصَّبرِ لكِنَّهُ انتَظَرَ بِطِيبَةٍ

أن تُواصِلَ إيلّا حكايَتَها.

ـ ولَمْ يَطُل بي الأمرُ قبلَ أن أُدرِكَ أنَّ الأبَ لَمْ يَكُنْ مُشكِلَةَ العائلَةِ. كلّا، كانَت المُشكلَةُ هيَ البَيتُ نَفسُهُ. كما تَرَيان، فَهُمْ لَمْ يكونوا وحدَهم فِيهِ.

ثَبَّتَتْ عَينَيها الكَبيرَتَينِ على بيلّي.

ـ أنتِ تعرفينَ ما أَعْني، أَليسَ كَذلكَ؟

رغمَ أنَّ بيلّي لَمْ تَكنْ واثِقَةً، أَومَأَتْ بالموافَقَةِ.

ـ أظُنُّ ذلك.

عندَما دَوّى الرعدُ في المَرَّةِ التاليَةِ رَكَضَت القِطَّتانِ واختَبَأتا تحتَ طاوِلَةِ الطّعام.

ـ إنَّهما جبانَتان، غَمْغَمَتْ إيلّا.

وَدَّتْ بيلّي لَو أنَّها تختَبئُ هي الأُخرى تحتَ طاوِلَةٍ ما ولكِنَّها بَدَلاً مِن ذلكَ تَحَرَّكَتْ على الأريكَةِ مُقتَرِبَةً بَعضَ الشَّيءِ مِن علاء الدّينِ.

ـ هَلْ رَأَيْتِ الثُّرَيّا تتَحَرَّكُ في صالَةِ الجُلوسِ؟ قالَتْ إيلّا.

شَعَرَتْ بيلّي بوجنَتَيها تشتَعلانِ. إذَنْ فَهيَ لَمْ تَتَوَهَّمْ ذلكَ !

ـ بَلى، بَلى، قالَتْ إيلّا. لا يُهِمُّ نوعُ الثُّرَيّا التي يُعَلِّقُها المرءُ في ذلكَ

السَّقْفِ، فَهي سَتَتَمايلُ حتماً إلى الأمامِ والخَلفِ.

ـ ليسَ طوالَ الوَقْتِ، قالَتْ بيلّي.

ـ كلّا، إنَّما مَرَّةً كُلَّ يَومٍ.

ـ ولماذا تَتَمايلُ، قالَ علاءُ الدّينِ.

فَجأةً بَدَتْ إيلّا مُتَرَدّدَةً.

ـ لا أدري حقّاً كَمْ يَتَوَجَّبُ علَيَّ أن أُخبِرَكُما، قالَتْ. فَلَسْتُما سِوى طِفلَيْنِ على أيّ حالٍ.

ـ أظُنُّ أنَّ بإمكاننا تَدَبُّرَ الأمرِ، قالَ علاءُ الدّين واعتَدَلَ في جِلسَتِهِ. أليسَ كذلكَ يا بيلّي؟

ـ بالطَّبْعِ، قالَتْ بيلّي غيرَ أنَّ صوتَها لَمْ يخرُجْ إلا هَمْساً.

ـ حسناً إذَنْ، قالَتْ إيلّا بحَزْمٍ. يُقالُ إنَّ الثُّرَيّا في تِلْكَ الغُرفَةِ تَتَحَرَّكُ لأنَّ امرأةً شابَّةً ماتَتْ هُناكَ. لا أعرفُ مَنْ هيَ، ولا أعرفُ لماذا ماتَتْ، ولكِنْ طِبقاً لِما سَمِعتُ فَقَدْ سَكَنَت البَيتَ مَرَّةً فتاةٌ بائسَةُ الحَظِّ. وقَدْ شَنَقَتْ نَفسَها في كَلّابِ السَّقفِ في صالَةِ الجُلوسِ.

كان هذا أسوأَ مِن كُلِّ ما تَخَيَلَتْ بيلّي أنَّ إيلّا سوفَ تَحكيهِ.

ـ هَلْ ماتَتْ؟ قالَتْ. أعني مَنْ شَنَقَتْ نَفسَها!؟

ـ ذلكَ أكيدٌ حَتماً، قالَ علاءُ الدّين.

ـ وهيَ تَفعَلُ أفعالَ الأشباحِ لِمَنْ يَسكُنُ البَيتَ؟

زَمَّتْ إيلّا شَفَتَيها.

ـ "تَفعَلُ أفعالَ الأشباحِ"، مَنْ يَسمَعُكِ يَظُنُّ الأمرَ طُفوليّاً وأنتِ تُعَبّرينَ عنهُ بهذه الطريقة، قالَتْ. مِن ناحِيَتي أُفَضِّلُ القَولَ إنّ هناكَ لَعنَةً تُخَيِّمُ على البَيتِ.

نَظَرتْ بيلّي وَعلاءُ الدّين إلى بَعضِهما. لَعْنَةٌ؟

ـ ما مَعنى ذلكَ؟ قالَتْ بيلّي.

ـ أنَّ كُلَّ مَن يَسكُنُ هناكَ سَيُصابُ بسوء. لَقَدْ عَمِلتُ خادِمَةً لدى أربَعِ عوائلَ سكَنَتْ ذلكَ البَيتَ. لَمْ تَمكُثْ أيّةُ عائلَةٍ منها هناكَ أكثرَ مِن ثلاثَةِ أعوام. تَعَرَّضوا جميعاً لِحادِثَةٍ ما. لا أعرفُ كَمْ عَدَدُ العوائلِ التي سَكَنت البَيتَ بَعدَ ذلكَ، ولكنَّهُ أمرٌ تَسهُلُ مَعرِفَتُهُ.

ـ ما نوعُ الحوادِثِ التي تَعَرَّضَ لَها النّاس؟ تساءلَ علاءُ الدّين.

ـ كُلُّ الأنواعِ، قالَتْ إيلّا. العائلةُ الأولى، تَذكُرانِها، ذاتُ الأبِ اللئيم، كانَ الابنُ الأكبَرُ مَنْ تَعَرَّضَ للسقوطِ فَكُسِرَتْ ساقُهُ في ثلاثَةِ أماكِن. كما أُصيبَ في رأسِهِ أيضاً. أما العائلة التالية فقد أُصيبَتِ الأُمُّ.

بَدأ الطَّبّاخُ يَحتَرِقُ في المَطبَخِ فاحتَرَقَ وجْهُها بأكمَلِه.

ـ الحوادِثُ تَحدُثُ دائماً، قالَ علاءُ الدّينِ مُشَكِّكاً. أن يَسقُطَ الناسُ على السُّلَّم أو أن تَبدأ الطَّباخاتُ القديمَةُ بالاحتراقِ، هذه الأمورُ لا تَحدُثُ في بَيتِ بيلّي فقَط.

ـ أنتَ لا تَعتَقِدُ أنَّهُ أمرٌ غريبٌ أنْ تَحدُثَ حوادِثٌ بِهذهِ الكَثرَةِ في ذلكَ البَيتِ تَحديداً؟ قالَتْ إيلّا.

ـ رُبَّما، وربَّما لا، قالَ علاءُ الدّينِ.

ـ البَيتُ مشؤومٌ مُنذُ بُنِيَ، قالَتْ إيلّا بِحَزْم. إنْ لَمْ تَخْنِيَ الذاكِرَةُ فقَدْ كانَ البَيتُ مَدرَسَةً في البَدْءِ. أعرِفُ أنَّ كثيراً من الهَمسِ دارَ حوله عندَما كنتُ جَديدَةً في القَرْيَةِ. تَحَدَّثَ النّاسُ عَنْ مَدْرَسَةٍ يَجِبُ أنْ تُغلَقَ لأنَّ الأطفالَ الذينَ درَسوا فيها أصيبوا بسوءٍ. وكذلكَ تَحَدَّثوا عَنْ الأطفالِ الزُّجاجِيّينَ.

نَظَرَتْ بيلّي إلى علاء الدّينِ الذي رَدَّ بالنَّظَرِ إلَيْها.

ـ الأطفالُ الزُّجاجيّون؟ قالَتْ بيلّي.

ـ هكذا سُمّيَ الأطفالُ الذينَ ذَهَبوا إلى المَدرَسَةِ في بَيْتِكِ. وليسَ لَدَيَّ أدنى فِكرَةٍ عَنِ السَّبَبِ.

ولا حَتّى بيلّي، لكِنَّها وَدَّتْ مِنْ صميمِ قَلبِها لو تَعرف.

ـ أَتعرِفانِ لِماذا انتَقَلَتْ آخرُ عائلَةٍ سَكَنَت البَيتَ؟ قالَتْ إيلّا ونَظَرَتْ مُباشَرَةً إلى بيلّي.

ـ لا، قالَتْ بيلّي. أَتعرِفينَ؟

ـ كلّا، ولكنّني أرى أنْ تبْحَثي عَنْ السَبَبِ. لأَنَّهُمْ فِعلاً لَمْ يُطيلوا السَّكَنَ هناكَ.

ـ كانوا على عَجَلَةٍ مِن أَمرِهِم حتّى أَنَّهُمْ لَمْ يأْخُذوا أثاثَهُمْ مَعَهُمْ، قالَتْ بيلّي.

بَدَتْ إيلّا مُتَعَجّبَةً.

ـ أيُّ أثاثٍ؟

ـ كُلُّهُ، على ما يَبدو. لقَدْ هَرَبوا فَقَطْ. البَيتُ بأكمَلِهِ كانَ مليئاً بالأثاثِ عندَما انتَقَلوا الصيفَ الماضي.

ـ يا رحمَةَ القَدَرِ، هَمَسَتْ إيلّا ثُمَّ نَهَضَتْ.

دُونَ أن تَقولَ شَيْئاً ذهَبَتْ إلى حَوضِ الصُّحونِ في المَطبَخِ وصَبَّتْ لِنَفسِها قَدَحاً مِنَ الماءِ. لَمْ تَسألْ إن كانتْ بيلّي أو علاءُ الدّين عَطِشَيْنِ أيضاً.

ـ مَنْ الذي قالَ إنَّهُمْ انتَقَلوا الصَّيفَ الماضي؟ قالَتْ.

ـ الرَّجُلُ الذي أرانا البَيتَ، قالَتْ بيلّي. واسمُهُ مارتِن.

شَرِبَتْ إيلّا مِنَ القَدَحِ.

ـ لا أعرِفُ مَنْ يَكونُ هذا الرَّجُلُ، قالَتْ بِبُطءٍ. ولكن ما أعرِفُهُ أنْ لا أحَدَ سَكَنَ ذلكَ البَيتَ بِقَصْدِ الإقامَةِ الدّائمَةِ خلال السَّنَتَيْنِ الأخيرَتَيْنِ. وفي ما يَتَعَلَّقُ بالأثاثِ...

كبَحَتْ جماحَ نَفسِها.

ـ هل لاحَظْتِ وُجودَ طاوِلَةٍ حَديدِيَّةٍ ذاتِ أحجارٍ زاهِيَةِ الألوانِ؟

الطّاوِلَةُ التي وَجَدَتْ بيلّي عليها طَبعَ اليَدِ.

ـ إنَّها موجودةٌ في غُرفَةِ ضُيوفِنا، قالَتْ بِبُطْءٍ.

ـ يا إلهي، هَمَسَتْ إيلّا.

وَضَعَتْ القَدَحَ مِنْ يَدِها واتّكَأَتْ بإحدى يَدَيْها على حَوْضِ الأطباقِ، وكأنَّها ستَسْقُطُ لو لَمْ تَستَنِدْ.

ـ تلكَ الطّاوِلَةُ كانتْ هناكَ أولَ مَرَّةٍ دَخَلتُ فيها البَيتَ قبلَ أكثَرَ من خمسينَ عاماً، قالَتْ. لَقَدْ بيعَ البَيتُ دائماً بأثاثِه فيما مضى. لا تسأليني لماذا ولكنَّ الأمورَ كانتْ تسيرُ هكذا. جميعُ العوائلِ التي عَمِلتُ لَدَيْها كان عندَها الأثاثُ نفسُهُ تقريباً. وها أنْتِ تَجلسينَ الآنَ بعدَ

خمسينَ عاماً وتقولينَ إنَّ الأثاثَ لا يزالُ باقياً.

نَهضَتْ بيلّي وفَعَلَ علاءُ الدّينِ الشيءَ ذاتَهُ. لا يُمكِنُ أن يكونَ ما قالَتْهُ إيلّا صحيحاً. ما الذي يجعَلُ الرَّجُلَ الذي أراها وأمَّها البَيتَ يكذبُ بشَأنِ الأثاثِ وكذلكَ بشأنِ وَقْتِ انتقالِ المالكينَ السّابقينَ؟ نَعَم، لَقَدْ كَذَبَ بشأنِ أشياءَ أُخرى ولكِنَّ أيّاً منها لَمْ يَكُنْ بِهذِهِ الخُطورَةِ. أَمْ تُراهُ فَعَلَ ذلكَ؟

ـ يَجِبُ أن نَذْهَبَ الآنَ، قالَتْ بيلّي. ولكنْ شُكراً لأنَّكِ سَمَحْتِ لنا بالزِّيارَةِ.

ـ سَتَسُرُّني عَوْدَتُكما لو كانَ لَدَيكُما المزيدُ منَ الأسئلَةِ، قالَتْ إيلّا.

لَمْ يَزَلْ المَطَرُ يطرُق بِشِدَّةٍ على السَّطْحِ

بَينَما أُضيئَت السَّماءُ مَرّاتٍ ومَرّاتٍ ببُروقٍ هائلَةٍ. كانا سيَبتَلّانِ تَماماً قَبْلَ أن يَصِلا إلى الجِهَةِ الأخرى منَ الميناءِ.

ولكنَّ الطَّقسَ الرَّديءَ لَمْ يَكُنْ ما شَغلَ بالَ بيلّي. بل الثُّرَيّا في صالَةِ الجُلوسِ والأطفالُ الزُّجاجيّونَ. أيُمكِنُ أن يَكونَ صحيحاً أنَّ هنالِكَ مَنْ ماتَ في البَيتِ؟ ومَنْ يَكونُ الأطفالُ الزُّجاجيّونَ؟

١٤

رَغمَ الإحساسِ الذي راوَدَها بأنَّ الفِكرَةَ سيِّئَةٌ، لَمْ تَستَطِعْ بيلّي مَنْعَ نَفسِها مِنْ إخبارِ أُمِّها بما عَرَفَتْ عِندَما عادَتْ إلى البَيْتِ.

لَمْ تَقُلْ أُمُّها في البَدْءِ كَلِمَةً واحدَةً.

ـ ألا تَستَطيعينَ التَحَدُّثَ مَعَ جيرانِنا؟ قالَتْ بيلّي كَيْ تَملأَ الصَّمتَ.

ـ عنْ ماذا؟ قالَتِ الأُمُّ.

ـ عنْ آخرِ مَرَّةٍ رَأَوا فيها أُناساً هنا . إذا كانَ ظَلَّ فارِغاً لِعِدَّةِ أعوامٍ، فلا بُدَّ من أَنَّهُمْ لاحظوا ذلكَ.

كانَتْ بيلّي مُستثارَةً عندما خَرَجَتْ مِن بَيتِ إيلّا إلى الحَّد الذي جَعَلَها تَقودُ دَرّاجَتَها حتّى البَيْتِ بَدلاً مِنْ مُرافَقَةِ علاءِ الدّينِ إلى عوّامَتِه.

وها هيَ واقِفَةٌ في المَمَرِّ وَقَدْ فَضْفَضَتْ بِكُلِّ ما سَمِعَتْ. كانَ كُلُّ ما فيها مُبتَلّاً تماماً بسَبَبِ المَطَرِ حتّى أنَّ الأرضِيَّةَ ابتَلَّت بما تَقَطَّرَ منها.

ـ بيلّي، قالَتْ أُمُّها بِجِدِيَّةٍ. أَيَكونُ ذلِكَ المُسَمّى علاءُ الدّين مَن ابتَدَعَ أنَّ في البَيتِ أشباحاً؟

علاءُ الدّينِ؟ ما قَصْدُها؟ لَقَدْ حدَثَتْ أشياءٌ في البَيتِ قبلَ أن تَعرِفَهُ بِيلّي.

ـ لا، قالَتْ. وَلَمْ أَقُلْ إنَّ في البَيتِ أشباحاً، بل فَقَط إنَّ...

ـ أَتَعرِفينَ، قاطَعَتْها أُمُّها. سأَتَحَدَّثُ بالفِعْلِ مَعَ جيرانِنا حالَما يَتَوَفَّرُ لِيَ الوَقتُ، فهذا أمرٌ يجِبُ علَينا أن نتحَرّى أصلَهُ الآنَ.

فَرِحَتْ بيلّي، بينَما واصَلَتْ أُمُّها بِصَوْتٍ لَيِّنٍ.

ـ فَلْنَتَّفِقْ على ما يَلي: أنا أتَكَلَّمُ مَعَ الجيرانِ. وإذا قالَ الجيرانُ إنَّ العائلَةَ انتَقَلَتْ الصَّيفَ الماضي، وليسَ مُنذُ عامَينِ كما قالَتْ تلكَ السَّيِّدَةُ المهذارُ، عندَئذٍ يكونُ القَرارُ أنْ تَتَخَلَّيْ عَنْ أنَّ هنالِكَ خطباً ما في البَيتِ. اتَّفَقْنا؟

فَكَّرَتْ بيلّي. إنَّهُما لا تَعرِفانِ الجيرانَ، ويمكنُ أن يقولُوا أيَّ شيءٍ. ولكنَّها لَمْ تَجرُؤ على تَحَدي أُمِّها في هذهِ النُّقْطَةِ تحديداً، لأنَّها عِندَئذٍ سَتَرفُضُ الحَديثَ مَعَهُمْ أصلاً.

ـ اتَّفَقْنا، قالَتْ على مَضَضٍ.

أراحَ ذلكَ أُمَّها.

ـ حسناً! قالَتْ. اذهَبي فوراً وخُذيّ حماما قصيرا واحْرِصي على أنْ تَكوني دافئةً قبلَ أنْ نَتناولَ العشاءَ.

عندَئذٍ رَنَّ الهاتفُ فَرَكَضَت الأُمُّ كَيْ تُجيبَ، فَسَمِعَتْها بيلّي وهي تقولُ:

ـ يا أهلاً بيوسف.

مُتَرَدِّدَةً دَخَلَتْ إلى الحمّام وبَدأَتْ تَخلَعُ عَنها ثيابَها المُبتَلَّة. شَعَرَتْ فَجْأَةً بِنَفسِها في غايَةِ الوِحدَة.

في وَقتٍ لاحِقٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيلَةِ لَمْ تَستَطِعْ بيلّي أن تَغفو. حاوَلَتْ بِمُختَلَفِ الحِيَلِ دونَ جَدوى. وفي النِّهايَةِ استَسْلَمَتْ وأشعَلَت المِصباحَ الذي ثَبَّتَتْهُ أُمُّها فوقَ السَّرير.

رَمَقَتْ بيلّي السّاعةَ بِنَظْرَةٍ على مَضَضٍ وَتَنَهَّدَتْ. قارَبَت الثانِيَةَ عَشْرَةَ. التَقَطَت الكتابَ الموضوعَ على طاوِلَةِ السَّرِيرِ. أرادَتْ قراءَةَ فَصلٍ أو نَحوَهُ على أيَّةِ حالٍ قبلَ مُحاوَلَةِ النَّومِ من جَديد.

وَرَغمَ أنَّ عَينَيها قَرأَتا في الكتابِ كَلِمَةً بَعدَ أُخرى، لكنَّ أفكارَها سَرَحَتْ في اتِّجاهٍ آخَر. كُلُّ ما قالَتْهُ السَّيِّدَةُ إيلّا صارَ يَحومُ في رأسِها كَفراشاتٍ تائِهَة.

كانَ علاءُ الدّينِ مُشَكِّكاً عندَما غادَرا كوخَ تلكَ السيّدَةِ العجوزِ.

ـ هَلْ قالَتْ شيئاً واحداً ذا فائدَةٍ لنا؟ قالَ عندَئذٍ.

شَعَرَتْ بيلّي أنَّ مِنْ واجِبِها الدِّفاعَ عَنْ إيلّا.

ـ قالَتْ إنَّ عوائلَ عديدةً تَعَرَّضَتْ للأذى في البَيتِ، تماماً كما سَمِعْتَ في مَدْرَسَتِكَ. واذكُرْ ما حَكَتْهُ عن ثُرَيّا صالَةِ الجُلوس. لَقَدْ رأَيتُها بِنَفسي تَتَحَرَّكُ.

ـ علينا التَّحَرّي عمّا إذا كانَ الباقي صحيحاً، قالَ علاءُ الدّينِ ؛ ما يُخصُّ أنَّ بيتَكِ ظَلَّ فارِغاً مُدَّةَ عامينِ لا عاماً واحِداً.

ـ لا تَنسَ ما حَكَتْهُ عَن الأثاثِ، كانتْ بيلّي قد أضافَتْ. وعن أولئكَ الأطفالِ الذينَ سُمُّوا بالأَطفالِ الزُّجاجِيّينَ.

عندَما عادَتْ إلى البَيتِ جَلَسَتْ أمامَ الكومبيوتر وحاوَلَتْ إيجادَ معلوماتٍ عن بَيتِها وعَن الأطفالِ الزُّجاجِيّينَ. لكنَّها لَمْ تَجِدْ شيئاً.

قَرَّرَتْ بيلّي عندَئذٍ أنَّ ذلكَ لَمْ يُغَيِّرْ شيئاً. فَقَدْ تَكونُ إيلّا على حَقٍّ مَعَ ذلك. مُجَرَّدُ فِكْرَةِ أنَّ عُمْرَ أثاثِ البَيتِ أكثَرُ مِنْ خَمسينَ عاماً وأنَّهُ لا يعودُ إلى العائلَةِ السّابِقَةِ، جَعَلَها تَخافُ. في هذهِ الحالِ فإنَّ أمراً جُنونيّاً كانَ يحدُثُ بالتَّأكيدِ.

كانتْ بيلّي قَدْ أطْفَأتْ مصباحَ السَّريرِ للتوّ، عندَما سمِعَتْ ذلك. تماماً كما حصلَ عندَما كانتْ سيمونا هناكَ.

طَرقاتٌ على النّافِذَةِ.

طَقْ، طَقْ.

آه، لا.

تَكَوَّرَتْ بيلّي تَحتَ اللِّحافِ.

ليسَ الآنَ، ليسَ وَهيَ وحدَها.

المسافَةُ إلى غُرفَةِ أُمِّها صارَتْ لانِهائيَّةً فَوراً، وكأنَّ أمَّها موجودَةٌ في كَوكَبٍ آخَر. لَمْ يَكُنْ مِنَ الممكن أن تَجرُؤَ بيلّي على تَرْكِ سَريرِها ما دامَ أَحَدُهُمْ يَطرُقُ على النّافِذَةِ.

حَبَسَتْ بيلّي أنفاسَها وانتَظَرَتْ، وانتَظَرَت. في النِّهايَةِ تَوَقَّفَت الطَّرقاتُ، ولكِنَّها لَمْ تَجرُؤ بَعْدُ على الحِراكِ. مَّرتْ فترةٌ طَويلَةٌ قَبْلَ أن تَرْفَعَ رأسَها عَن الوسادَةِ لِتُصْغي بِأقصى ما استطاعَتْ مِن إمعانٍ. جلَسَتْ طويلاً في الظُّلمَةِ بَقَلْبٍ خافِقٍ تنتَظِرُ عَودَةَ الصَّوتِ.

ولكِنَّ الصَّوتَ لَمْ يَعُدْ. بَعْدَ بُرْهَةٍ تَجَرَّأتْ على رَكْلِ اللِّحافِ عنها وَمُغادَرَةِ السَّريرِ. لَمْ تَجرُؤ على النَّظَرِ إلى الخارِجِ عبرَ النّافِذَةِ كما فَعَلَتْ

سيمونا، وإنَّما وَقفَتْ مكانَها هُناكَ وأَصْغَتْ حتى تَأَكَّدَ لَها أنَّ الأصواتَ جَميعَها قَدْ اختفَتْ. عِندَئذٍ فقَطْ استَطاعتْ أن تَتَنفَّسَ الصُّعَداءَ.

على مَهَلٍ عادَ قَلبُ بيلّي يَخْفِقُ طبيعيّاً. ولِوَهْلَةٍ فَكَّرَتْ بالاتّصالِ بِعلاءِ الدّينِ أو سيمونا ولكنَّها تَوَصَّلَتْ إلى أنَّهما على الأغلَبِ نائمانِ.

كانَ من الأفضَلِ أن تَنامَ هِيَ الأخرى.

لو أنَّها فَقَطْ لَمْ تَحتَجْ لِلذَهابِ إلى الحَمّامِ.

ما كانتْ لِتَستَطيعَ النَّومَ قبلَ أن تَذْهَبَ الى الحمام. يا للحظِّ السيءِ!

تَسَلَّلَتْ بيلّي إلى خارجِ الغُرفَةِ وجَسَدُها مَشدودٌ بأكمَلِه. لَمْ تُشعِلِ المصباحَ حّتى لا تُوقِظَ أُمَّها، ثُمَّ رَكَضَتْ بِهُدوءٍ نازِلَةً السُّلَّمَ وَدَخَلَت الحَمّامَ. أغلَقَتْ بابَ الحمّامِ وأوصَدَتْهُ وعَجَّلَتْ قَدرَ استِطاعَتِها.

عندَما خَرَجَتْ إلى المَمَرِّ ثانِيَةً رأَتْ بابَ غُرفَةِ الضُّيوفِ مفتوحاً. ذلكَ البابُ الذي حَرَصَتْ أُمُّها دائماً على أنْ تُوصِدَهُ مساءً مُنذُ أن دَخَلَتْ بيلّي وسيمونا إلى هُناكَ ليلاً.

ابتَلَعَتْ بيلّي ريقَها بِصُعُوبَةٍ. لَعَلَّ أُمَّها، فَقَطْ، نَسِيَتْ أنْ تُوصِدَ البابَ.

أو رُبَّما...

لَم تَستَطِعْ أنْ تَذهَبَ لتنامَ ، لا بُدَّ لِبيلّي من أن تَعرِفَ. كانَ جَسَدُها مَشدوداً كَوَتَرِ الكَمانِ عندَما سارَتْ تِلكَ الأمتارَ القليلَةَ حَتّى غُرفَةِ الضُّيُوفِ ونظرتْ إلى الدّاخِلِ.

كانَ كُلُّ شيءٍ على ما يُرامُ.

أمْ هَلْ كان حَقّاً كذلك؟ هنالكَ شيءٌ مَوْضُوعٌ على الطّاوِلَةِ الصَّغيرَةِ التي وَجَدَتْ بيلّي وسيمونا المَجَلَّةَ عَلَيْها. ولكنَّ ذلكَ الشَّيءَ لَمْ يَكنْ مَجَلَّةَ هذهِ المَرَّةَ.

جُذِبَتْ بيلّي إلى الطّاوِلَةِ وكأنَّ الأخيرةَ كانتْ مغناطيساً. على الطّاوِلَةِ وَضَعَ أحَدُهُمْ أحَدَ الرُّسومِ التي حَزَمَتْها أوَّلَ يَومٍ. ولكِنَّهُ لَمْ يَكنْ وَحْدَهُ.

على الرَّسمِ وضَعَ أحَدُهُمْ جِسْمَينِ. كانا تِمثالَيْنِ زُجاجِيَّيْنِ صَغيرَيْنِ يُمَثِّلانِ صَبِيّاً وَصَبِيَّةً. اتَّسَمَ كلا الطِّفلَيْنِ بملامِحَ جادَّةٍ ولِباسٍ قَديمٍ. كانَت ألوانُ صِباغِهِما قَدْ بَهُتَتْ ولكنَّ بإمكانِ المَرْءِ رؤيَةَ أنَّ الصَّبِيَّةَ تَرتَدي فُستاناً أحمرَ والصَّبِيَّ يرتَدي قميصاً أزرَقَ.

طفلانِ زُجاجِيّانِ، فَكَّرَتْ بيلّي. تَماماً كأولئكَ الذينَ تَحَدَّثَتْ عَنْهُمْ إيلّا.

ثُمَّ رأَتْ ما كَتَبَهُ أَحَدُهُمْ على الرَّسْمِ:

"كُفّي عَن البَحْثِ. وإلا فالعاقِبَةُ وَخيمَة."

١٥

كانَ علاءُ الدّينِ مَنْ وَجَدَ الطَّريقَةَ التي سَيَحصُلانِ بِها على اسمِ العائلَةِ التي سَكَنَتْ البَيتَ سابقاً.

ـ لا بُدَّ مِن وُجودِ عَقْدٍ، قالَ لِبيلّي. عندما اشتَرَتْ أُمُّكِ البَيتَ، لا بُدَّ من أنَّها وَقَّعَتْ على وَرَقَةٍ موجودٍ فيها اسمُ العائلَةِ الأخرى أيضاً.

بالطَّبْعِ، فَكَّرَتْ بيلّي.

لَقَدْ كَفَّتْ عَنْ الحَديثِ مَعَ أُمِّها بِخُصوصِ أيِّ شيءٍ غَريبٍ يحدُثُ في البَيتِ، فلا جَدوى مِنْ ذلكَ عُموماً. أمّا علاءُ الدّينِ فَقَدْ زادَ حديثُها مَعَهُ وقَدْ خافَ هو الآخرُ عندَما أرَتْهُ الرَّسْمَ الذي وَجَدَتْهُ في غُرفَةِ الضُّيوفِ وحَكَتْ لَهُ عَن الطِّفلَينِ الزُّجاجيَّيْنِ اللّذَينِ وُضِعا على الطّاوِلَةِ.

ـ لَقَدْ خِفتُ إلى حَدِّ أنني لَمْ أَنَمْ طَوالَ اللَيلِ، قالَتْ بيلّي بِتَعاسَةٍ.

ـ "كُفّي عَن البَحْثِ"، قَرأَ علاءُ الدّينِ الرسمَ. هذا البَيتُ شَديدُ التَّمَسُّكِ بِأَسْرارِهِ حَقّاً.

أَومَأَتْ بيلّي مُوافقَةً. ولكنَّها رَفَضَتْ أنْ تَدَعَ ذلكَ يُخيفُها. إذا كانَ للبَيتِ أسرارٌ فَقَدْ أرادَتْ مَعرفَتَها. وقد بدا العثورُ على العائلَةِ السّابقَةِ بدايةً حَسَنَةً. ولذلكَ فلا بُدَّ لَهُما مِنْ مَعرفَةِ اسمِ تلكَ العائلَةِ.

في المَرَّةِ التّاليَةِ التي أخَذَتْ الأُمُّ فيها درّاجَتَها وَذَهَبَتْ للتَّسوّقِ، انتَهزَتْ بيلّي الفُرصَةَ. رَكَضَتْ إلى غُرفَةِ أُمّها لِتَبْحَثَ عَنْ العَقْدِ. لَمْ تَكُنْ أُمُّها جيّدةً في العِنايَةِ بحاجياتِها وتَرتيبِها. أبداً، في الواقعِ. لَقَدْ كانَ أبوها المسؤولَ عن النّظامِ في العائلَةِ و كان هو الذي يحْرِصُ على تَنظيمِ الأوراقِ جَميعاً وَوَضْعِها في مَلَفّاتِها الصحيحةِ.

كانتْ بيلّي تَعرِفُ أنَّ أُمَّها تَحتَفِظُ بِـ "أشيائِها المُهِمَّةِ" في أَحَدِ أدراجِ المَكتَبِ. ولَقَدْ أرَتْ بيلّي الدُّرْجَ مَرَّةً وقالَتْ إنَّ فيهِ مِفتاحاً إضافياً للبَيتِ، وجَوازَيْ سَفَرِهما وأشياءَ أخرى ممّا يَجْدُرُ بالمَرْءِ أن يحفظه.

بَدَتْ غُرْفَةُ الأُمِّ مُماثِلَةً لِغُرفَةِ بيلّي، بِسَقْفٍ مائلٍ ونافِذَةٍ في الجَمَلون. ولكنَّ أثاثَها مُختَلِفٌ وكذلكَ ألوانُها. وتَماماً كما حدثَ في غُرفَةِ بيلّي، احتَفَظَتِ الأُمُّ بالأثاثِ كُلِّه ما عدا السَّريرَ. ومن الجَلِيِّ للعَيانِ أنَّ مَن سَكَنَ هُناكَ كانَ شَخصاً بالِغاً. الأثاثُ كُلُّهُ كانَ مِنَ الخَشَبِ البُنّيِّ. حتّى الكُرسِيُّ الوَثيرُ المُنتَصِبُ في الرُّكنِ كانَ بُنّيّاً.

أَيُمْكِنُ أن يَكونَ الأثاثُ عَتيقاً كما قالَتْ إيلّا؟ جَرَّبَتْ بيلّي الجلوسَ في الكُرسيِّ الوَثيرِ واستَشْعَرَتْ كيفَ هَبَطَتْ بِها حَشْوَتُهُ. قُربَ الكُرْسيِّ كانَ هُناكَ دولابُ غَزْلٍ ومقْعَدٌ صغيرٌ. أَغْمَضَتْ بيلّي عينيها وَرَأَتْ أمامَها خَيالاً جالِساً على المقعَدِ يغزِلُ بِدولابِ الغَزْلِ. بِسُرْعَةٍ فَتَحَتْ عَيْنَيها. لَمْ يَرُقْ لَها أن تكونَ وحيدَةً في البَيتِ ولَمْ تَعُدْ تُريدُ التَّفكيرَ في قِدَمِ الأثاثِ.

كانَ العَقْدُ أَهَمَّ شَيءٍ.

ارتَعَشَتْ يَدُ بيلّي ارتِعاشاً خَفيفاً حِينَ تَحَسَّسَتْ دُرْجَ المَكتَبِ. كانَ مفتوحاً، ولكنَّ سَحبَهُ عسيرٌ.

كانَ مِنَ المَفروضِ أنْ تَغيبَ أُمُّها ساعةً، ولَعَلَّ ذلِكَ مِنْ حُسنِ الحَظِّ، فَفوضى الأشياءِ في الدُّرْجِ كانَتْ عارِمةً. لَمْ تُرِدْ بيلّي أن يَبْدوَ أنَّها كانَتْ هناكَ ونَبَشَتْ، لِذا فَقَدْ رَفَعَتِ الأَوراقَ بِحَذَرٍ كَيْ تَرى إن كانَ باستِطاعَتِها أن تَجِد ما كانَتْ تَبحَثُ عَنْهُ. رَأَتْ دُفوعاتٍ ووصولاتِ دَفْعٍ وبَياناتِ رَواتِبَ، ولَيسَ العَقْدَ.

صوتُ الطُّيورِ على السَّطْحِ يَبَّسَها. أحياناً كانَتِ الطيورُ هناكَ، وأحياناً لا. كذلكَ ليلاً. في بَعضِ الليالي تَجلِسُ الطُّيورُ ساكِنَةً تَماماً وفي

بعضها تُثيرُ مِنَ الصَّخَبِ ما يُوقِظُ بيلّي.

كانَتْ بيلّي قَدْ يَئِسَت وفَكَّرَتْ في بَدْءِ البَحثِ عَن العَقْدِ في مَكتَبَةِ أُمِّها، حِينَ رأَتْ ظَرْفاً مَفتوحاً في الدُّرجِ. رَفَعَتْهُ وقَرَصَتْهُ. بَدا وكَأنَّ فيهِ كَومَةَ أوراقٍ. شَعَرَتْ بيلّي بِتَأَجُّجٍ لَهَفَتِها عندَما أَخرَجَت الأوراقَ مِنَ الظَّرْفِ وَقَرأَتْ في أُولاها. كُتِبَ عليها: "عَقْدُ شِراء".

أخيراً! قَرأَت الصَّفحَةَ الأولى وَوَجَدَتْ كُلّاً من اسمِ أُمِّها وعنوانِهِمْ في المَدينةِ. وأسفَلَ ذلكَ وَجَدَتْ ما كانت تَبْحَثُ عَنْهُ:

البائعُ: دافيد وماري شَيْرنغولد

أَحَسَّتْ بيلّي بِحرارَةِ السَّعادَةِ تَغمُرُها. دافيد وماري شَيْرنغولد، هكذا يُدعى البائعانِ. لَقَبُهما غريبٌ، كما رأَتْ بيلّي. ولكِنَّهُ أمرٌ مَرموقٌ أنْ تُدعى باسمٍ غَيْرِ عاديٍّ. كَأَنْ تُدعى علاءَ الدّينِ، إلى حَدٍّ ما، فَهو اسمٌ مُختَلَفٌ ولكِنْ بإيحاءٍ إيجابيٍّ. واصَلَت القِراءَةَ. وشَعَرَتْ بالخَيبَةِ. فإذا ما كانَ فَهمُها للعَقْدِ صحيحاً، فَقَدْ انتَقَلَت العائلَةُ إلى ألمانيا.

ضَعُفَتْ عَزيمَةُ بيلّي. فألمانيا بعيدةٌ جدّاً عن أوهوس. أَمْعَنَت النَّظَرَ

في العَقْدِ، لَعَلَّهُم تَركوا رَقَمَ هاتِفٍ أو عنواناً يمكنُ للمرءِ أن يتصلَ بِهِم . ولكِنَّهُم لَم يفعلوا.

أعادَتِ العَقدَ إلى الظَّرفِ ووَضَعَتْهُ في الدُّرْجِ. كانَتْ سَتَمضي إلى علاءِ الدّينِ مُباشرَةً. لا يَجوزُ لَهُما أنْ يَيأسا بِسُهولَةٍ. تلكَ العائلَةُ تسكنُ أبعَدَ ممّا يُمكِنُهما الذَّهابُ إلَيْهِ، كما أنَّهما لا يستَطيعانِ الاتّصالَ بِها هاتِفيّاً. ولكِنَّ بِحَوْزَتِهما اسماً على الأقَلِّ الآنَ.

شَيْرنغولد. ليسوا كثيرينَ مَن يُدعَونَ باسمٍ كهذا.

١٦

قرأَ علاءُ الدّينِ في دَفترِ مُلاحَظاتِ بيلّي حيثُ سَجَّلَت اسمَ العائلَةِ.

ـ ماذا سَنَفْعَلُ الآنَ؟ قالَتْ بيلّي. كيفَ يمكننا أن نَعرِفَ سَببَ انتقالِهِمْ؟ هل سَنَدورُ بدَرّاجَتَينا في القَرْيَةِ ونسألُ فيما إذا كانتْ لأحَدِهِمْ علاقَةٌ بالعائلَةِ حينَ سَكَنَتْ هنا؟

جَلسا في غُرفَةِ علاءِ الدّينِ. لَمْ يَزَل كثيرونَ محتَشِدينَ في الميناءِ لينظروا إلى القَوارِبِ ويتناولوا المُثَلَّجاتِ، ولكنَّ بيلّي رأَتْ أنَّ الصَّيفَ شارَفَ على نِهايَتِهِ. تاقَتْ إلى بَدْءِ المَدرَسَةِ ثانيَةً، فَعِندَئذٍ سَتَكونُ في كيشانستا يَوْمِيّاً.

ذَهَبَ علاءُ الدّينِ وجَلَبَ كومبيوتَراً وأجرَى فيهِ أكثرَ مِنْ بَحثٍ. لَمْ يَعثُرْ على أثَرٍ للعائلةِ شَيرنغولد في أيِّ مكانٍ. بِصَمْتٍ وضَعَ الكومبيوترَ جانباً ونَهَضَ بادئاً البَحثَ عَنْ شيءٍ ما في مَكتَبَتِهِ التي تعلو السَّريرَ. بَعدَ بُرْهَةٍ وَجَدَ ما كانَ يَبحثُ عنهُ.

كُنتُ مُتَأَكِّداً مِنْ أنني احتَفَظْتُ بِها، قالَ مُنتَزِعاً عَدداً مِنَ الكَتَلوجاتِ.

جَلَسَ بِجوارِ بيلّي.

ـ الكَتَلوجاتُ المَدرَسِيَّةُ، قالَ.

نَظَرَتْ بيلّي إلى الكَتَلوجاتِ. واحدٌ لِكُلِّ سَنَةٍ دراسِيَّةٍ قَضاها علاءُ الدّينِ في المَدْرَسَةِ. لَمْ يَكُنْ في أوهوس الكثيرُ منَ المَدارِسِ بَعْدُ؛ مِمّا مَكَّنَ جَمْعَ جميعِ طُلّابِها في الكَتَلوجِ نَفْسِهِ. في الكَتَلوجاتِ كانتْ هناكَ صُوَرٌ للصفوفِ المَدْرَسِيَّةِ لِكُلِّ مَنْ دَرَسَ في المراحِلِ الابتدائِيَّةِ أو المُتَوَسِّطَةِ أو الإعداديَّةِ في أوهوس في السّنينِ الأخيرةِ.

مَدَّ علاءُ الدّينِ يَدَهُ لِبيلّي بِكَتَلوجَينِ.

ـ كَمْ باعتقادِكِ عَدَدُ الَّذينَ يَحْملونَ لَقَبَ شَيرنغولد؟ أُقسِمُ، لو أننا وَجَدنا أطفالاً يُدْعَونَ بهذا الاسمِ في الكَتَلوجاتِ فإنَّهُمْ سيكونونَ أبناءَ تِلكَ العائلَةِ التي سَكَنَتْ بَيتَكِ.

سارَ أمرُ تقليبِ صَفحاتِ الكَتَلوجاتِ بِسُرعَةٍ. نَظَرَتْ بيلّي إلى الصُّوَرِ وكانَتْ سَعيدَةً لأنَّها سَتَظَلُّ تْدرُسُ في المَدينَةِ. فَهيَ لَمْ تَتَعَرَّفْ إلى أَحَدٍ.

أولُ كَتَلوجٍ بَحَثَتْ فيهِ بيلّي كانَ كَتَلوجَ السَّنَةِ الدِّراسِيَّةِ قَبْلَ الماضِيَة، أَيْ السَّنَةَ التي انتَهَتْ في الصَّيفِ الماضي. فعندَئذٍ، حَسبَما قالَ الرَّجُلُ الذي أراهما وأُمَّها البَيتَ، كانَت العائلَةُ قَد انتَقَلَتْ. إذا كانَ ذلكَ صحيحاً - وإذا كانَ لِتلكَ العائلَةِ أطفالٌ - فيُفتَرَضُ أن يكونوا في الكَتَلوج.

ولكنَّهُمْ لَمْ يكونوا هناكَ.

ـ رُبَّما كانوا مَرضى عِندَما حلَّ مَوعدُ تصويرُ الصُّفوفِ، قالَ علاءُ الدِّين.

ـ يَجِبُ أنْ يكونوا مُسَجَّلينَ رُغمَ ذلكَ، قالَتْ بيلّي. انظُر، هنا أسماءُ جميعِ الذينَ تَغَيَّبوا بِسَبَبِ المَرَضِ أو السَّفَرِ في ذلكَ اليَوم.

بَحَثَتْ في كَتَلوجِ السَّنَةِ الماضِيَة. لَمْ تَجِد أحداً في المَرحَلَةِ الإعداديَّةِ يُدعى شَيْرْنغولد. ولا في المَرحَلَتَيْنِ الابتدائِيَّةِ أو المُتَوَسِّطَة. ماذا لو أنَّ الأطفالَ دَرَسوا في مَدارِسِ كيشانستا،

تماماً مثلَ بيلّي. يُستَحسَنُ إذَنْ أنْ تَبْحَثَ في تِلكَ الكَتَلوجاتِ عندَما تَعودُ إلى البَيْتِ.

تأَرْجَحَ القارِبُ فانتَبَهَتْ بيلّي.

ـ هل انتَهَيت؟ قالَ علاءُ الدّين. لَمْ أَجِدْ شيئاً.

وفي تِلكَ اللَحظَة رأَتْ بيلّي اسمَ الصَّبيَّة. رأَتْهُ أَسفَلَ آخرِ صورةٍ في الكَتَلوج. مَثَّلَت الصُّورةُ خمسَةَ عَشَرَ تِلميذاً مِنَ الصَّفِّ الأَوَّلِ.

ڤيلما شَيرنْغولد.

جلَسَتْ على الطَرَفِ في المُقَدِّمَة. شَعرُها يُشبِهُ شَعرَ سيمونا، كثيفٌ ومُجَعَّدٌ. لكنَّه كانَ فاتِحَ الشُّقرةِ وليسَ أحمرَ.

نَظَرَتْ بيلّي وعلاءُ الدّين طويلاً إلى الصُّورةِ. كانتْ ڤيلما شَيرنْغولد قد بَدَأت في الصَّفِّ الأولِ قبلَ ثلاثَةِ أعوام، ولكنَّها غيرُ موجودةٍ في أَيٍّ مِنَ الكَتَلوجاتِ اللاحِقَة. ماذا لو انَّ إيلّا على حَقٍّ في ما قالَتْهُ مِن أنَّ العائلَةَ انتَقَلَتْ قبلَ عامين لا عامٍ واحِدٍ؟

ما الذي كَذَبَ ذلكَ الرَّجُلُ بِشَأنِه أيضاً؟

ـ فَلْنَذهَبْ إلى المَدرَسَةِ التي دَرَسَتْ فيها، قالَ علاءُ الدّين. رُبَّما يُمكِننا أن نَعرِفَ شيئاً إذا ما سأَلْنا المُعَلّمينَ.

ـ ولكِنْ، لا يوجَدُ أَحَدٌ هناكَ الآنَ، قالَتْ بيلّي. ألا يَنالُ المعلّمونَ عُطْلَةً صَيفيَّةً أيضاً؟

ـ إنَّهُم يَبدَأونَ قبْلَنا بأُسبوعَيْن، قالَ علاءُ الدّين. كَيْ يُخَطِّطوا لِما

سَنَدْرُسُهُ أثناءَ السَّنة وما ستكونُ عليه جَداولُنا.

تَقَدَّمَها علاءُ الدّين كَيْ يُرِيَها الطَّريقَ عندَما قادا دَرّاجَتَيْهِما. لَمْ يَدْرُسْ شَخصيّاً هناكَ، ولكنَّ لَهُ أصدقاءَ فَعَلوا ذلكَ.

قَبعَتْ المَدرَسَةُ بِصَمتِها خاوِيَةً وسطَ ساحَتِها. عَدَّتْ بيلّي البِناياتِ فَأَحْصَتْ ثلاثَ بِناياتٍ حَمراءَ صغيرةً وواحِدةً أكبَرَ قليلاً ظَنَّتْها قاعَةَ الأَلْعابِ الرياضيَّةِ.

ـ هَيّا، عَلَيْنا أن نَذْهَبَ إلى غُرفَةِ المُعَلّمينَ، قالَ علاءُ الدّينِ وسَحَبَها مِن ذراعِها.

سارا حَولَ البِناياتِ الصَّغيرةِ وتَطَلَّعا إلى الدّاخلِ عبرَ النَّوافِذِ. في البِنايَةِ الأَبْعَدِ، شاهَدا العَديدَ مِنَ البالِغينَ يَدخلونَ وَيَخرُجونَ مِنْ مُخْتَلَفِ الغُرَفِ.

ـ لا بُدَّ من أَنَّها هُنا، قالَتْ بيلّي وفي اللَحظَةِ نَفسِها لَمَحَها رَجُلٌ واقفٌ يحملُ في يَدِهِ كُوبَ قَهوَةٍ.

تِلقائيّاً خَفَضَتْ بيلّي رأْسَها حتى لا تَظْهَرَ مِنَ النّافِذَةِ.

ـ ما الذي تَفْعَلينَهُ؟ قالَ علاءُ الدّينِ. نُريدُهُمْ أن يَرَونا حتّى يأتوا وَيَفتَحوا لَنا.

أَحَسَّتْ بيلّي بالغَباءِ.

في اللَّحظَةِ التّالِيَةِ فُتِحَ بالفِعْلِ بابُ البِنايَةِ وَخَرجَ الرَّجُلُ ذو كوبِ القَهوَةِ إلى السُّلَّمِ وقالَ:

ـ هل بإمكانِي أن أُساعِدَكما بِشَيءٍ ما؟

١٧

رأتْ بيلّي أنَّ الرَّجُلَ يَبدُو كَعَمّ طَيِّبٍ بِكَنزَةِ الكُهولِ الخَضراءِ التي يَرتَديها والبِنْطالِ الجينزِ المُتَرَهِّلِ.

ـ نَحنُ نَتساءلُ فيما إذا كُنتُمْ تَعرِفونَ فتاةً تُدعى ڤيلما شَيرنْغولد، قالَ علاءُ الدّينِ. أو إنْ كانَ أحدُ المُعَلِّمينَ يَعرِفُها.

قَطَّبَ الرَّجُلُ حاجِبَيْهِ.

ـ ماذا تُريدانِ منها؟ قالَ.

ـ نُريدُ أَنْ نَعرِفَ إذا كانَتْ تَدرُسُ في هذهِ المَدرَسَةِ، قالَ علاءُ الدّينِ على الرَّغْمِ مِن أَنَّهُما على مَعرِفَةٍ بِأَنَّها لا تَدرُسُ هناكَ. بيلّي هنا قَدْ انتَقَلَتْ إلى بَيتِ العائلَةِ شَيْرنْغولد. هل تَسمَحُ لَنا بالدُّخول؟

عندَما ذَكَرَ علاءُ الدّينِ المنزلَ الذي تَسْكنُهُ بيلّي،

بَدا وَكَأنَّ الرَّجُلَ أوشَكَ على إفلاتِ كوبِ القَهوَةِ.

ـ نَعَمْ، بالتَّأكيدِ أسمحُ لَكُما بالدُّخولِ، قالَ ورَجَعَ خُطوةً إلى الخَلْفِ.

تَبِعَتْهُ بيلّي وَعلاءُ الدّينِ إلى داخِلِ المَدْرَسَةِ.

ـ لستُ مُتَأكّداً فيما إذا كنتُ فَهِمتُ ما الذي تُريدانِ مَعرِفَتَه، قالَ الرَّجُلُ. ولكنَّني كُنتُ مُعَلِّمَ فيلما.

ـ آه، قالَتْ بيلّي التي بَدَأَتْ تُجاري علاءَ الدّينِ في براعَتِهِ في الكَذِبِ. إذَنْ فَهيَ لَمْ تَعُدْ تَسْكُنُ في أوهوس؟

ـ كلّا، فَقَدْ انتَقَلَت عائلَتُها مُنذُ عامَين.

لَم تَجْرُؤ بيلّي على التَّنَفُّسِ سوى بالكادِ. إذَنْ فَقَدْ كانتْ إيلّا على حَقٍّ.

ـ أتَعلَمُ إلى أينَ انتَقَلوا؟ قالَ علاءُ الدّينِ.

ـ إلى خارِجِ البَلَدِ، على ما أَظُنُّ، قالَ الرَّجُلُ وَشَرِبَ مِنْ كُوبِهِ.

ـ لِماذا انتَقَلوا؟ قالَتْ بيلّي.

حَدَّقَ الرَّجُلُ فيها طَويلاً ونَظَرَ بَعْدَئذٍ إلى السّاعةِ.

ـ لا أعْرِفُ، قالَ. والآنَ لَنْ أتَمَكَّنَ مِنْ الوُقوفِ طويلاً هنا والحَديثِ مَعَكُما.

بَدا غاضِباً مِنْ نَبرَتِهِ. أو رُبَّما كانَ خائفاً.

ـ ألا يُوجَدُ هنا مَنْ يَعْرِفُ أكثَرَ؟ قالَ علاءُ الدّينِ.

ـ كلّا، لا يُوجَدُ، قالَ المُعَلِّمُ. والآنَ عليكُما أنْ تُعَجِّلا بالعَودَةِ إلى البَيتِ.

ـ كَمْ كانَ غَريباً، قالَ علاءُ الدّينِ عِندَما وَقَفَ وَبيلّي في ساحَةِ المَدرَسَةِ ثانِيَةً.

وافَقَتْهُ بيلّي في رأيِهِ.

ـ أعتقِدُ أنَّهُ كَذَبَ، قالَتْ. أعتقدُ أنَّهُ يَعرِفُ أكثَرَ مِمّا أخبَرَنا.

ـ وأنا أعتقِدُ ذلكَ أيضاً، قالَ علاءُ الدّينِ.

بَحَثَتْ بيلّي عَنْ مفتاحِ الدَّرّاجَةِ في جَيبِها.

ـ فَلْنُسرِعْ إلى بَيتِكَ، قالَتْ. يَجِبُ أن أذهَبَ إلى الحَمّامِ.

ـ ألا تستَطيعينَ الذّهابَ إلى الحمّامِ هنا عِوَضاً عن ذلك؟ قالَ علاءُ الدّينِ. فَكَّرْتُ أنَّ بإمكاننا شراءَ المُثَلَّجاتِ.

نَظَرَتْ بيلّي إلى المَدْرَسَةِ بِطَرْفِ عينِها.

ـ هَيّا، قالَ علاءُ الدّينِ. لا يَتَطَلَّبُ الأَمْرُ أكثَرَ مِنَ الدُّخولِ والبَحثِ عَنِ الحَمّامِ.

أنا جبانةٌ بالتَّأكيدِ دائماً، فَكرتْ بيلّي. سيمونا ما كانتْ لِتَتَرَدَّدَ ثانِيَةً واحِدَةً.

ـ انتَظِر هنا وسأعودُ بِأَسْرَع وَقْتٍ مُمكِنٍ، قالَتْ بِحَزْمٍ وركَضَتْ عائدَةً إلى بِنايَةِ المَدرَسَةِ.

هذهِ المَرَّةَ لَمْ تَنتَظِرْ أنْ يأتي أحَدٌ لِيَفتَحَ لَها، بَل انسَلَّتْ إلى الدّاخِلِ بِسُرعَةٍ عِبرَ البابِ. واصَلَتْ عِبرَ المَمَرِّ وَبَحَثَتْ عَنْ حَمّامٍ. أَمِلَتْ أَلّا يَكتَشِفَها أَحَدٌ.

أَحَدُ الأبوابِ التي على اليَمِينِ كانَ مَفتوحاً وبَلَغَتْها أَصواتٌ مِنْ داخِلِ الغُرفَةِ.

ـ لَمْ أَعرِفْ ما الذي يتوَجَّبُ عَلَيَّ أنْ أقولَهُ، قالَ. فأجابَتْهُ امرأَةٌ:

ـ لَقَدْ فَعَلتَ الشَّيءَ الصَّحيحَ إِذْ لَمْ تَحكِ ما حَدثَ. أمورٌ كهذهِ يَجِبُ أن لا يَسمَعَها الأطفالُ.

وَقَفَتْ بيلّي ساكِنَةً تَماماً وَأَصْغَتْ.

ـ لَقَدْ كانَتْ خائفَةً دوماً مِنْ كُلِّ شَيءٍ، تَنَهَّدَ الرَّجُلُ. بَدَت الطِّفلَةُ وَكَأَنَّها تَرى الأشباحَ في وَضَحِ النَّهارِ.

ـ كانتْ ڤيلْما شَديدَةَ الخُصوصِيَّةِ، قالَت المَرأةُ. تماماً مثلَ ذلكَ البَيتِ.

ـ الفتاةُ التي كانت هنا وسَألَتْ عَنْ ڤيلما ادَّعَتْ أَنَّها تَسْكُنُ البَيتَ الآنَ.

سَمِعَتْ بيلّي المَرْأَةَ وهيَ تَشهَقُ.

ـ لا يُمكِنُ أن يكونَ ذلكَ حقيقيّاً، قالَتْ. يبدو مُستَحيلاً تماماً أن يعيشَ المَرءُ حياةً طَبيعيَّةً في ذلكَ العنوان.

ـ بَلى، ولكِنْ لَيسَ بإمكانِ المَرْءِ تَصديقُ قِصَصِ العفاريتِ وبابا نويل، قالَ الرَّجُلُ. تلكَ القِصَصُ عَنْ بَيتِ سبارّيسفَيْغِن... أَيُمْكِنُ فِعلاً أن تَكونَ حَقيقيَّةً؟

ـ إنّي أرى أنَّه مِنَ الأفضَلِ هَدْمُ البَيتِ وبِناءُ واحِدٍ جَديد، غَمْغَمَت المَرأَةُ. فإيجادُ مالِكٍ جَديدٍ لِلبَيتِ يغدُو أَصعَبَ وأَصعَبَ. وقَدْ مَضَت عِدَّةُ أَعوامٍ عليهِ خاوِياً مِنَ السُّكّان.

ـ أرجو أنْ ينتهي الأمرُ على خَيرٍ مَعَ المالِكينَ الجُدد، قالَ الرَّجُلُ بِصَوتٍ خَفيض. أَمْرٌ شَنيعٌ أن يُصابَ آخرونَ بِسُوء.

ـ نَعَم، حَقّاً، قالَت المَرأَةُ. بَدَأَ الأمرُ بأولئكَ الأطفالِ الزُّجاجِيّينَ ولَمْ يَصلُحْ الحالُ بعدَ ذلكَ أَبَداً. مسكينَةٌ يا ڤيلما. أَتَذْكُرُ ما حَكَتْهُ؟

أَنَّها لَمْ تَستَطِعْ النَّومَ بِسَببِ الطَّرْقِ على نافِذَتِها؟ وأَنَّ أحدَهُمْ اعتادَ الدُّخولَ إلى غُرفَتِها عندما يخلو البَيتُ لِيعبَثَ بأَلْعابِها؟

ـ يمكنُ للمَرْءِ أن يَتَفَهَّمَ عَدَمَ تَصديقِ والِديها لَها، قالَ الرَّجُلُ. الأمرُ

الذي تَغَيَّرَ بَعْدَ أن كادَتْ تَغرَقُ. عِندَئذٍ جَرَتْ الأمورُ بِسُرْعَةٍ مَعَهُم.

ـ وقبلَ فواتِ الأوانِ، قالَتْ المَرأَةُ. كَيفَ لا وَقَدْ حاولَ أَحَدُهُمْ جَرَّها إلى الأسفَلِ تَحتَ الماءِ.

لَمْ تَعرِفْ بيلّي ما تَفْعَلُ. إِذَنْ فَقَدْ حاوَلَ أَحَدُهُمْ إغراقَ ڤِيلما. هذا هو سببُ انتقالِ العائلَةِ على عَجَلٍ.

بِقَلْبٍ خافِقٍ خَرَجَتْ بيلّي عَدْوًا إلى علاءِ الدّينِ ثانِيَةً. لا أحدَ آمنٌ على نفسِهِ في بَيتِ سبارِّيسفَيْغَن، هذا ما غَدا جَلِيّاً الآنَ.

١٨

انتَهَتْ عُطْلَةُ الأُمِّ ومَرِضَتْ بيلّي. أصابَتْها حُمّى وَألَمٌ في البُلْعومِ ورَقَدَتْ في فِراشِها.

ـ أَلَدَيكِ ما يَكفيكِ مِنَ الكُتُبِ الآنَ؟ قالَتْ الأُمُّ بِقَلَقٍ قبلَ أنْ تَمضي إلى العَمَلِ.

ـ نَعَم، قالَتْ بيلّي وَفَكَّرَتْ أنَّ المُشكِلَةَ في بقائها وحيدَةً في البَيتِ يوماً كاملاً ليسَتْ عدَمَ وجودِ ما يكفي من الكُتُبِ للقراءةِ، بل أنَّ البَيتَ الذي تَسكُنُهُ يُهَدِّدُ حياتَها.

تَنَهَّدَتْ الأُمُّ مَهمومَةً.

ـ لا أشعُرُ بالرّاحَةِ لِتَركِكِ وحيدَةً وأنتِ مَريضَةٌ إلى هذا الحَدِّ، قالَتْ.

ـ سأكونُ بِخَيْرٍ، قالَتْ بيلّي.

ـ هناكَ طَعامٌ في الثَّلّاجَةِ يُمكِنُكِ تَسخينُهُ.

انْحَنَتْ أُمُّها وَقَبَّلَتْ جَبْهَتَها.

ـ سأتَّصِلُ لاحِقاً، قالَتْ. اعتَني بِنَفسِكِ الآنَ. عِديني.

وَعَدَتْ بيلّي.

ثُمَّ انتَبَهَتْ إلى أنَّها نَسِيَتْ أنْ تَسألَ أُمَّها عن أَمرٍ ما.

ـ أَلَمْ تَتَكَلَّمي مع الجِيرانِ بَعدُ؟ قالَت.

لَمْ تُخْبِرْ بيلّي أُمَّها عَمَّا عَلِمَتْهُ هيَ وعلاءُ الدِّينِ عن العائلَةِ التي اشترَتا منها البَيتَ. ولكِنَّ الفُضُولَ غَلَبَها لِمَعرِفَةِ ما قالَ الجِيرانُ لأُمِّها.

بدا التَّعَجُّبُ على الأُمِّ.

ـ معَ الجيران؟ لا، ماذا تَعنين؟

ـ لَقَدْ قُلْتِ إنَّكِ سَتَتَكَلَّمينَ مَعَهُمْ وتسألينَهُمْ عَنْ العائلَةِ التي سَكَنَتْ هنا قَبلَنا. ومتى انتَقَلوا.

صَمَتَتْ أُمُّها.

ـ آه نعم، قالَت. بَلى، ولكنَّني فَعَلْتُ ذلكَ.

جَلَسَت بيلّي مستَقيمَةَ الظَّهرِ في سَريرِها. إذَنْ فَقَدْ عَرَفَتْ أُمُّها أيضاً أنَّهُمْ انتَقَلوا قَبلَ عامَينِ لا قبلَ عامٍ واحِدٍ.

ـ ماذا قالوا؟ قالَتْ بِلَهفَةٍ.

حَكَّتْ أُمُّها جَبْهَتَها وَقَطَّبَتْ حاجِبَيها وَكَأَنَّما كانتْ تُفَكِّرُ في أمرٍ مُعَقَّدٍ.

ـ قالوا إِنَّهُم انتَقَلوا قَبلَ عامٍ واحِدٍ، تماماً كما قالَ مارتِن الذي أرانا البَيتَ.

ـ ولكِنْ...

لَمْ تَعرِفْ بيلّي بِماذا تَرُدُّ. إمّا أنَّ أُمَّها تَكذِبُ أو الجيرانُ. خَمَّنَتْ بيلّي أنَّ أُمَّها هيَ مَنْ كَذَبَ.

نَظَرَتْ أُمُّها إلى السّاعَةِ.

ـ يَجِبُ أنْ أَذْهَبَ الآنَ، قالَتْ. تذكُرينَ ما وَعَدْتِني بِهِ، أَليسَ كذلكَ؟

رَقَدَتْ بيلّي ثانِيَةً. ما الذي وَعَدَتْ بِهِ؟

ـ لَقَدْ وَعَدْتِني أنَّكِ إذا ما كَلَّمتُ الجيرانَ، فَستَكُفّينَ عن البَحثِ عن عيوبٍ في البَيتِ. أَتَذْكُرينَ ذلكَ؟

ـ نَعَم.

لَمْ يَعُدْ مُجْدِياً أن تَتَكَلَّمَ مَعَ أُمِّها. سينتَهي الأمرُ بِخِصامِهما فَقَطْ.

بَدا الارتِياحُ على أُمِّها.

ـ جَيِّد. إذَنْ فَقَدْ انتَهَينا مِنَ الكلامِ في هذهِ الأمورِ المُزْعِجَةِ. أتمنّى

لكِ يوماً طَيّباً، حبيبَتي. سَأُعَجِّلُ في العَودَةِ بَعدَ الظُّهرِ.

خُطواتُها أثقَلَت السُّلَّمَ حَتّى صَرَّ ومِن ثَمَّ سَمِعَتْ بيلّي البابَ يُغلَقُ. لَقَدْ كَذَبَتْ أُمُّها.

قَدْ تكونُ إصابَتُها بالحُمّى ونومُها الطَّويلُ السَّبَبَ وراءَ ذَلك، لكنَّ بيلّي أَحَبَّتْ بَعْدَ وَهلَةِ البَقاءَ وَحيدَةً في البَيتِ. جاءَت الشمسُ وراحَتْ دونَ أن يَشتَدَّ الحَرُّ وتَرَكَتْ بيلّي النّافِذَةَ مَفتوحَةً. ومما سَمِعَتْ بَدا لَها أنَّ الجارَ خَرَجَ كَيْ يَقُصَّ عُشبَ الحديقَةِ وكانَ صوتاً تُحِبُّهُ بيلّي. عندما كان والدها على قيد الحياة حرص على أن يكون بساط عشب الحديقة أنيقا.

ـ هذا هو أوَّلُ ما يراهُ المَرءُ عِندَما يَنظُرُ إلى البَيتِ، قالَ.

كانَ يَقُصُّ وَيَقُصُّ بَينَما بيلّي وَأُمُّها تَنظُرانِ إلَيْهِ مِنْ نافِذَةِ المَطبَخِ ضاحِكَتَينِ. لَقَدْ مَضى زَمَنٌ طويلٌ لَمْ تَضحكا فيهِ بتلكَ الطَّريقَةِ.

بَعدَ وَقتِ الغداءِ مُباشَرَةً طُرِقَ البابُ. تَيَبَّسَتْ بيلّي في سَريرِها. نادِراً ما جاءَ أَحَدٌ للزيارَةِ هكذا. نَزَلَت السُّلَّمَ بِهدوءٍ على أطرافِ قَدَمَيها وسألَت الطّارِقَ مَنْ يَكونُ قَبلَ أنْ تَفتَحَ البابَ.

ـ هذا أنا فَقَط!

علاءُ الدّين طبعاً.

ـ أنا مريضَةٌ، قالَتْ بيلّي عندَما فَتَحَتْ لَهُ.

ـ أَعرِفُ ذلكَ جَيّداً. فَكَّرْتُ في الضَّجَرِ الذي قَدْ يُصيبُكِ لِذلكَ مَرَرْتُ. أَتَسمَحينَ لي بالبَقاءِ قَليلاً؟

ابتَسَمَتْ بيلّي.

ـ بالتَّأكيدِ.

جَلَسا في الشُّرفَةِ. تأرْجَحَ علاءُ الدّينِ على الأُرْجُوحَةِ بَينَما تَجَنَّبَتْ بيلّي الاقترابَ مِنْهُ.

ـ إلى مَتى سَتَظَلّونَ تسكنونَ العوَّامَةَ؟ سألَتْ بيلّي.

ـ حَتّى تَبْدَأَ المَدْرَسَةُ في الأسبوعِ القادِمِ.

جَلَسا صامِتَيْنِ.

ـ هل حَدَثَ شيءٌ جَديدٌ في الأيامِ القليلَةِ الماضِيَةِ؟ قالَ علاءُ الدّينِ. أعني هُنا في البَيت.

هَزَّتْ بيلّي رأسَها نَفْياً. كلّا. فَقَدْ كانَ الهُدوءُ سائداً.

ثُمَّ أَخبَرَتْهُ أنَّ أُمَّها كَذَبَتْ عَلَيْها.

ـ إنَّها لا تُصَدِّقُكِ، قالَ علاءُ الدّينِ. هذا هو السَّبَبُ.

ـ أعرفُ، قالَتْ بيلّي. لَمْ يَعُدْ هناكَ الكثيرُ من الوَقتِ الآنَ. يَجِبُ أنْ نَعرِفَ أكثرَ عَنْ البَيتِ حَتّى تَفْهَمَ أنّنا في خَطَرٍ.

فَكَّرَتْ بِما قالَهُ المُعَلّمُ في المَدرَسَةِ عَنْ فِيلما شَيْرنغولد. عَنْ أنَّها سَمِعَتْ طَرَقاتٍ على نافِذَتِها وأنَّ أَحَداً لَمْ يُصَدِّقْها.

ـ إذا لَمْ تَكُنْ رُؤيَةُ الفَظائِعِ مُمكِنَةً سوى للأطفالِ فَلَنْ نستَطيعَ إقناعَ ماما أَبَداً، قالَتْ بيلّي.

ـ لَمْ يُجِبْ علاءُ الدّينِ ولكِنَّهُ نَظَرَ إلى شَيءٍ ما خَلفَ ظَهرِها.

ـ انظري ، هَمَسَ علاءُ الدّينِ.

استَدارَتْ بيلّي. بالإمكانِ رؤيةُ غرفةِ الجلوس عِبْرَ المَمَرّ. أشارَ علاءُ الدّينِ إلى الثُّرَيّا المُعَلَّقَةِ في السَّقفِ. كانت تَتَمايَلُ بِهُدُوءٍ إلى الأمامِ والخَلْفِ، بالطَّرِيقَةِ نَفْسِها التي رأتْها بيلّي سابقاً.

رَغمَ أنَّ الوَقتَ كانَ مُنتَصَفَ النَّهارِ فَقَدْ خافَتْ بيلّي كما لو أنَّهُ مُنتَصَفُ اللَّيلِ. اختَفَت الشَّمسُ خَلفَ الغُيومِ وأحَسَّتْ بيلّي بالبَرْدِ.

لَمْ تَعُدْ تَشُكُّ. هنالِكَ شَبَحٌ في البَيتِ. ولَنْ يَتْرُكَهُما الشَّبَحُ لحالِهِما حَتّى تَنتَقِلا.

١٩

بَدَأَ المَزِيدُ والمَزيدُ مِنَ الطِّلاءِ يَسقُطُ عَن البَيتِ. قِطْعَةً قِطْعَةً سَقَطَ الأزرَقُ على الأرضِ حتى بَدَتْ لِلعَيانِ بُقَعٌ صَفراءُ على جُدرانِ البَيتِ.

ـ لا أفْهَمُ ذلكَ، قالَتْ الأُمُّ عندَما دارَتْ مَعَ بيلّي دَوْرَةً حولَ البَيتِ وتَفَحَّصَت البُقَعَ.

تَعافَتْ بيلّي وانتَهَت العُطلَةُ الصَّيفِيَّةُ. كانَتْ سَعيدَةً بِعَودَةِ المَدْرَسَةِ ثانِيَةً. كُلُّ شيءٍ صارَ أكثرَ مُتْعَةً بَعدَ أن اقتصرَت حاجَتُها للتواجُدِ في البَيتِ على المساءِ واللّيلِ. لكنَّ تلكَ المساءاتِ واللّيالي هيَ الّتي رَوَّعَتْها.

اتَّصَلَتِ الأُمُّ بِيوسِفَ حتّى يأتي ويَتَفَحّصَ البُقَعَ. اعتَقَدَتْ بيلّي أنَّ البَيتَ يَنفُضُ عَنْ نَفسِهِ الطِّلاءَ لأنَّهُ لَمْ يَرُقْ لَهُ أن يُعادَ طِلاؤُهُ. وأمرُ الطِّلاءُ مثلُهُ مِثلُ أمرِ جَميعِ مَنْ حاولوا أن يسكنوا البَيتَ. لَقَدْ تَخَلَّصَ مِنهُم.

انتَقَلَ علاءُ الدِّينِ وأبَواهُ مِنَ العَوَّامَةِ إلى بَيتِهِم. وَتَوَجَّبَ على علاء

الدّينِ أن يَذْهَبَ إلى مَدْرَسَتِهِ في أوهوس كالعادةِ، ولَمْ يَعُدْ هو وَبيلّي يلتَقيانِ بِكَثْرَةٍ كالسّابِقِ. لكنَّهما كانا يتَّصلانِ ببعضِهما هاتفيّاً كُلَّ ليلة.

ـ يَجبُ أن نَعرِفَ المَزيدَ عن البَيتِ، قالَ علاءُ الدّينِ. لا يُمكِنُنا الكَفُّ الآنَ، لَيسَ قبلَ أن نُقْنِعَ أُمَّكِ بأنَّكُما في خَطَرٍ.

لَم يَكُنْ بَيتُ المَدينَةِ قَدْ بيعَ بَعْدُ، وقَدْ أَملَتْ بيلّي أنْ يَكشِفوا سِرَّ بَيتِ أوهوسِ قبلَ أنْ يَشتَرِيَهُ أَحَدٌ. فَعندَئذٍ لَن يَتَطَلَّبَ الأمرُ أكثَرَ مِنَ الانتِقالِ إلى بَيتِهِمْ ثانِيَةً. بدا علاءُ الدّينِ حزيناً عندما قالَت ذلكَ.

ـ يُمكِنُني أن آتي لِزيارَتِكَ، قالَتْ بيلّي. كثيراً!

ولكِنَّ الأمرَ ليسَ سَيّانَ وكانتْ تَعرِفُ ذلك. إذا انتَقَلَتْ مِن أوهوس فَسَوْفَ تَخسَرُ علاءَ الدّينِ وإذا بَقيَتْ فيها فسَوفَ تَبتَعِدُ عَن أصدقائِها في المَدينَةِ. لَقَدْ لاحَظَتْ أنَّ سيمونا تَغَيَّرَتْ تِجاهَها عندَما بَدَأَت المَدْرَسَةُ.

ـ أَتُريدينَ المَجيءَ مَعي إلى أوهوس في أَحَدِ الأيّامِ بَعدَ المَدرَسَةِ؟ سألَتْ بيلّي. تَقولُ ماما إنَّ بإمكانِكِ المَبيتَ.

قَهْقَهَتْ سيمونا.

ـ وهلْ عندَكِ وَقتٌ لي؟ وأنتِ لا تَقضينَ وقتَكِ سوى معَ علاءِ الدّينِ.

جَرَحَ ذلكَ بيلّي.

ـ الأمرُ ليسَ كَذلِكَ، قالَتْ. كُلُّ ما في الأمرِ أنَّ أشياء كثيرةً جِدّاً حَدَثَتْ في الصَّيفِ. وكنتِ أنتِ مُسافِرةً لِعِدَّةِ أسابيعَ.

كَفَّتْ سيمونا آخرَ الأَمْرِ عَنْ العُبُوسِ وعندَما انتَهى أوَّلُ أسبُوعٍ في المَدرَسَةِ، ذَهَبَتْ مَعَ بيلّي إلى بَيتِ الأخيرةِ عَصرَ يَومِ الجُمْعَةِ.

ـ ماذا حَدَثَ لِلطّلاءِ؟ قالَتْ مُتَعَجِّبَةً عندَما دَخَلَتا بِدَرّاجَتَيْهِما إلى الفِناءِ وَرَأَتْ البَيتَ.

ـ سأحكي لَكِ! قالَتْ بيلّي.

جَلَسَتا في الشُّرفَةِ تتناولانِ العصيرَ والكَعكَ بينَما تَكَلَّمَتْ بيلّي وتَكَلَّمَتْ عَمّا حَدَثَ لَها. حَكَتْ عَمّا فَعلاهُ هِيَ وعلاءُ الدِّينِ بَعدَ رَحيلِ سيمونا.

ـ أوه، يا ليتَني كُنتُ مَعَكما، قالَتْ سيمونا. فقَدْ مَرَرْتِ بأمور كثيرةٍ مثيرةٍ .

ولكِنَّ بيلّي لَمْ تُوافِقْها. فَفي رأْيِها أنَّ ما حَدَثَ كانَ فَظيعاً أكثرَ مِنْ كونِهِ مُثيراً.

ـ حَسناً، ما الذي تَنويانِ فِعلَهُ الآنَ؟ قالَتْ سيمونا وقَضَمَتْ قِطْعَةً

مِنْ كَعكَةِ القِرْفَةِ التي جاءَتْ بها بيلّي.

ـ فَكَّرنا في الذَّهابِ إلى مَكتَبَةِ كيشانستا لِنَسْأَلَ إن كانوا يَعلَمونَ أينَ نَجِدُ مَعلوماتٍ عَن المنازِلِ القَديمَةِ.

تِلكَ كانتْ فِكرَةَ علاءِ الدِّينِ.

ـ المَكتَبَة؟ قالَتْ سيمونا. ألَمْ تَجِدا شيئاً عنْ ذلِكَ كُلِّهِ في الإنتَرنَت؟

ـ لَقَدْ بَحَثنا وبَحَثنا ولكنَّنا لَمْ نَصِلْ إلى أَيِّ شيءٍ، قالَتْ بيلّي. أعتقِدُ أنَّ ذلِكَ كُلَّهُ مُتَعَلِّقٌ بأشياءَ أَقْدَمَ مِن أنْ تُوجَدَ هُناكَ.

ـ إذا كُنتُما سَتَذهَبانِ إلى المَكتَبَةِ فأنا أيضاً أريدُ الذَّهابَ مَعَكُما، قالَتْ سيمونا بِحَزْمٍ.

أرادَتْ الّا يَتِمَّ إهمالُها مَرَّةً أُخرى فَقالَتْ بيلّي إنَّها سَتُسَرُّ فِعلاً بِمُرافَقَتِهما لَهُما. سيمونا صديقَةٌ مُهِمَّةٌ ولَمْ تَشَأْ مُخاصَمَتَها. فَقَدْ كانَ لَديها ما يَكفي مِنَ المَشاكِلِ.

وما كانَتْ إلا لِتَزدادَ. فَقَدْ بَدَأَتِ المَشاكِلُ عندَما عادَتْ سيمونا إلى بَيتِها يومَ السبْتِ. أصابَ أُمَّ بيلّي صداعٌ فمَضَتْ وَرَقَدَتْ في مُنتَصَفِ النَّهارِ، وظَلَّت بيلّي وَحدَها مَعَ يوسِف الذي جاءَ لِتَفَحُّصِ الطِّلاءِ.

ـ على المَرءِ أَنْ يَعتَني بالبيوتِ القَديمَةِ، قالَ. ولا أعتَقِدُ أنَّ المالِكينَ السّابِقينَ قَدْ فَعَلوا ذلكَ. انظري هنا.

وأرى بيلّي.

ـ مِنْ غَيرِ المُمْكِنِ إعادَةُ طِلاءِ البَيتِ قَدْرَ ما يشاءُ المَرءُ. عاجِلاً أو آجِلاً لا بُدَّ مِنْ إزالَةِ الطِّلاءِ السّابِقِ كُلِّه والبَدْءِ مِنْ جَديدٍ.

البَدْءُ من جَديدٍ. كان ذلكَ تَحديداً ما لَا يريدُهُ هذا البَيتُ.

ـ عَلَيكُما استِعادَةُ جُزْءٍ مِمّا دَفَعتموهُ لِشراءِ البَيتِ، قالَ يوسِفُ. كانَ على المالِكينَ السّابِقينَ أن يُخبروكما عَن الطِّلاءِ.

فَرِحَتْ بيلّي. فَقَدْ راوَدَها أَمَلٌ في أن يكونَ الخَلَلُ مِنَ الضَّخامَةِ بحيث يَجعَلُ أُمَّها تَرغَبُ في استِعادَةِ كُلِّ ما دَفَعَتْهُ من مالٍ لا جزءاً منهُ فَقَطْ؛ حتّى تَتَمَكَّنا مِنَ العَودَةِ إلى بَيتِهِمْ ثانِيَةً.

جاءَ عَلاءُ الدّينِ لِزيارَتِها فَلَعِبا مَعَ يوسُف. لَمْ تَقْوَ أُمُّها على مُشارَكَتِهم، بلْ ظَلَّتْ راقِدَةً في السَّرِيرِ.

ـ ما بِها؟ قالَ علاءُ الدّينِ.

ـ لَدَيها أَلَمٌ في رأسِها، قالَتْ بيلّي.

بَدا يوسفُ قلِقاً.

ـ أَظُنُّ أنَّ الأمرَ أكثرُ مِن ذلكَ، قالَ. فقَدْ أُصيبَتْ بالحُمّى أيضاً، كما حَصلَ مَعَكِ يا بيلّي.

لَمْ تملكْ بيلّي سوى أنْ تَقلَقَ لِمَرَضِ أُمّها. هكذا هيَ مُنذُ وفاةِ أبيها. طَبَخَ يوسُفُ طَعاماً لكِنَّ أُمَّها لَمْ تَرغَبْ فيه. عندما بَلَغَتِ السّاعَةُ العاشِرَةَ تَوَجَّبَ على علاءِ الدّينِ أنْ يَعودَ على درّاجَتِهِ إلى بَيتِهِ.

ـ سأتّصِلُ غَداً، قالَ.

ذهَبَتْ بيلّي كَيْ تَنامَ.

ـ يُمكِنُني البَقاءُ إذا أَرَدْتِ، قالَ يوسف. إذا كُنتِ قَلِقَةً بِشأنِ ماما.

تَرَدَّدَتْ. أينَ سَيَنامُ؟ غُرفَةُ الضُّيوفِ لَمْ تَزَلْ مُعَبَّأَةً بالأغراضِ.

ـ أستَطيعُ النَّومَ على الأريكَةِ، قالَ عِندَما أدرَكَ سَبَبَ عَدَمِ جوابِها.

في الواقِعِ أرادَتْ بيلّي أن يَذْهَبَ إلى بَيتِهِ ولكنْ في الوَقتِ نَفسِهِ تَمَلَّكَها شُعورٌ قويٌّ بأنَّها سوفَ تَندَمُ إذا ما رَفَضَتْ عَرْضَهُ.

ـ سَأَجْلِبُ دِثاراً ، قالَتْ.

عندَما اقتَرَبَت السّاعةُ مِنْ مُنتَصَفِ اللَّيلِ كانَتْ بيلّي ما تَزالُ مُستَلْقِيَةً تَقرأُ. كانَتْ يَقِظَةً تَماماً. كُلَّما حاوَلَتْ تَرْكَ الكتابِ، دارَت الأفكارُ في

رأسِها. خَطَرَ ببالِها ما كُتِبَ على الرَّسمِ الذي وَجَدَتْهُ في غُرفَةِ الضُّيوفِ.

"كُفّي عَن البَحثِ"

ولكِنَّها قَد استَمَرَّتْ تَنْبِشُ في أشياءَ قَديمَةٍ وَمَضى عليها زَمَنٌ طويلٌ. ماذا لو أنَّ حادِثَةً شَنيعَةً وَقَعَتْ بِسَبَبِ هذا الأمرِ وحدِهِ؟

آخرَ الأمرِ لَمْ يَكُنْ لَها بُدٌّ مِنَ أن تَغفو. كانَ الوَقتُ لَمْ يَزَلْ لَيلاً عندَما استَيقَظَتْ ولكنَّ البَيتَ كانَ يَعُجُّ بالأَصواتِ. سَمِعَتْ أنيناً وَرَجُلاً يَقولُ:

ـ حذارِ، فالسُّلَّمُ ضَيِّقٌ!

هَبَّتْ بيلّي مِنْ سَريرِها وخَرَجَتْ مِنَ الغُرْفَةِ راكِضَةً. هَمَّ رَجُلانِ بِحَمْلِ شَيءٍ إلى أسفَلِ السُّلَّمِ. استَغرَقَ الأمرُ وَهلَةً قبلَ أن تَرى بيلّي أنَّها كانَتْ نَقّالَةً وأنَّ أُمَّها مُمَدَّدَةٌ عليْها.

أَمسَكَ يوسفُ ببيلّي وَطَوَّقَها بِذراعَيهِ عندَما حاوَلَتْ الرَّكضَ خَلفَ النَّقّالَةِ، فَصَرَخَتْ:

ـ اتركُني!

ـ لا تَخافي، قالَ يُوسفُ ولكِنَّ نَبرَةَ صوتِهِ دَلَّتْ على خَوفِهِ. كُلُّ ما في الأَمْرِ أنَّ ماما اشتَدَّ عَلَيها أَلَمُ الرَّأسِ حَتّى اضطُرِرتُ للاتِّصالِ وَطَلَبِ

الإسعافِ. لَمْ أستَطِعْ أن آخُذَها بِالسَّيّارَةِ فأتْرُكَكِ وَحدَكِ هُنا. حتّى ماما لَمْ تُرِدْ ذلكَ.

بَدأتْ بيلّي تَبْكي.

ها قَدْ نالَ الشَّبَحُ ما أرادَ. مَرِضَتْ أُمُّها حتّى أنَّها احتاجَتْ أن تُنقَلَ بالإسعافِ. ماذا لَوْ لَمْ تَنجُ؟

مَنْ الّذي سَيَعتَني بِبيلّي عندَئذٍ؟

٢٠

ـ التهابُ السّحايا، قالَ الطَّبيبُ لِبيلّي ويوسِف.

خافَتْ بيلّي حَتّى أنَّها وَضَعَتْ يَدَها في يَدِ يوسِف. فضَمَّ يَدَها بِقُوَّةٍ.

ـ ولكِنَّها سَتَتَحَسَّنُ ثانيَةً، أليسَ كذلكَ؟ قالَتْ.

ـ سَتَفْعَلُ حَتماً، قالَ الطَّبيبُ. ولكنَّ ذلكَ سَيَستَغرِقُ وَقتاً. أحسَنتُمْ صُنْعاً عندَما جَلَبتموها بِهذهِ السُّرْعَةِ. لو أنَّكم انتَظَرتُم حتّى الصّباحِ لَساءَ وَضْعُها جِدّاً.

ـ كَمْ سَتَبقى راقِدَةً في المُستَشفى؟ قالَ يوسِف.

ـ من الصَّعبِ التَّكَهُّنُ. علَينا أنْ نَنتَظِرَ بِضْعَةَ أيّامٍ ونَرى كيفَ سَتَشعُرَ عِندَئذٍ.

نَظَرَ الطَّبيبُ في أوراقِهِ وسَألَ:

ـ هل كانتْ مَريضَةً جِدّاً مُؤَخَّراً؟

هَزَّ يوسِفُ وَبيلّي رأسَيهما نَفياً.

فَهَزَّ الطَّبيبُ كَتِفَيْه.

ـ سوءُ حَظٍّ حَقيقيٌّ إذَنْ، قالَ. مُؤسِفٌ، ولكِنَّ ذلكَ يَحْدُثُ.

أرادَتْ بيلّي أن تَفتَحَ فَمَها صارِخَةً أنَّ مَرَضَ أُمِّها لَمْ يَكُنْ سوءَ حَظٍّ فَقَط. لَقَدْ مَرِضَتْ لأنَّهما تَسكُنانِ بَيتاً رَهيباً. ولكِنَّ ذلكَ سَيَنتَهي الآنَ. سَتَتَّصِلُ بِعلاءِ الدِّينِ وسيمونا فَورَ عَودَتِها إلى البَيْتِ. لَمْ يَعُدْ بالإمكانِ تأجيلُ الابتِعادِ عن ذلكَ البَيتِ قبلَ أنْ يَحْدُثَ ما هوَ أفْظَعُ.

ـ هَلْ نَتَّصِلُ بِأَحَدِهِمْ أمْ أنَّكَ سَتَعتَني بالطِّفْلَةِ؟ قالَ الطَّبيبُ لِيوسِفَ وَنَظَرَ إلى بيلّي. فَهِمتُ أنَّكَ مُجَرَّدُ صَديقٍ للعائلَةِ.

ـ هذهِ مَسأَلَةٌ سَنَحلُّها بأنفُسِنا، قالَ يُوسِف. لا حاجَةَ للاتِّصالِ بِأَحَدٍ.

سَبَقَ أن تَكَلَّمَ يوسِفُ وَبيلّي في هذا الأمرِ أثناءَ رُكوبِهما السَّيّارَةَ في الطَّريقِ إلى المَدينَة. كانا سَيَتَّصِلانِ بجَدّها وَجَدَّتِها لأبيها لِمَعرِفَةِ ما إذا كانَ بإمكانِهما المجيءُ والعنايَةُ ببيلّي.

سُمِحَ لَهُما أن يَمْكُثا عِندَ أُمِّ بيلّي فترَةً وجيزَةً بعدَها عادا بالسَّيّارَةِ إلى أوهوس ثانِيَةً.

ـ يَجِبُ أن نَنامَ بِضْعَ ساعاتٍ، قالَ يوسِف.

في تِلْكَ اللّحظَةِ فَقَطْ أدركَتْ بيلّي كَمْ كانتَ مُتْعَبَةً. حِينَ شَعَرَتْ بِبُرودَةِ الغطاءِ على جَسَدِها استَرْخَتْ وأَغْمَضَتْ عينيها. كانَت الطُّيورُ التي تَتَراكَضُ على السَّطْحِ آخرَ ما سَمِعَتْهُ قبلَ أنْ تَغفوَ.

لَقَدْ مَرِضَتْ جَدَّتُها هِيَ الأُخرى، فَلَمْ تَستَطِعْ لا هيَ ولا الجَدُّ أنْ يأتيا للْعِنايَةِ ببيلّي.

ـ لا شيءَ يستوجِبُ القَلَقَ، قالَتْ جَدَّتُها. مُجَرَّدُ زُكامٍ عاديٍّ وَحُمّى. ولكِنْ مِنَ الأَفضَلِ ألا نَلتَقِيَ بِكِ وبِماما الآنَ. فَرُبَّما تُصابُ بالعَدوى فَتسوءَ حالَتُها.

وافَقَتْها بيلّي الرَّأيَ ولذلكَ اتَّفقوا عَلى أنْ يَنتَقِلَ يُوسِفُ إلى البَيتِ وَينامَ على الأريكَةِ ما دامَتْ أُمُّها في المُستَشْفى. أما علاءُ الدّينِ فقَدْ جاءَ لاهِثاً لِيُبلِغَ بيلّي أنّ والِدَيْهِ يرحّبان بها ضَيفَةً عزيزَةً علَيهِمْ بَدَلَ ذلكَ، لكِنَّها فَضَّلَتْ البَقاءَ في بَيتِها. صارَ يوسِفُ يوصِلُها إلى المَدرَسَةِ صَباحاً وبعدَ الظُّهرِ تَذْهَبُ إلى أُمِّها في المُسْتَشفى، حيثُ كانَ يوسِفُ يأتي بَعدَ أنْ يُنهيَ عَمَلَهُ.

زارَها علاءُ الدّينِ في بَيتِها كُلَّ لَيلَةٍ.

ـ يَجبُ أنْ نَذْهَبَ إلى المَكتَبَةِ الآنَ، قالَ بَعدَ مُضيِّ ثلاثَةِ أيّامٍ على رُقادِ أُمِّها في المُستَشفى. لا نَستَطيعُ الانتِظارَ أكثَرَ.

ـ نذهبُ غداً، قالَتْ بيلّي بِحَزْمٍ.

ـ يَجِبُ أن نَعرِفَ لَماذا يتساقَطُ الطِّلاءُ، قالَ يوسِفُ وهما يتناوَلانِ العشاءَ مساءً. أو على الأصَحّ – لِماذا تساقَطَ الطِّلاءُ عن البَيتِ سابقاً. يبدو أنَّهُ كَفَّ عَن التَّقَشُّرِ الآنَ. علينا أن نَستَدْعي شخصاً ماهِراً في أمورِ الطِّلاءِ.

لَمْ تَقُلْ بيلّي شيئاً. في البَدْءِ سَقَطَ الطِّلاءُ وبعدَئذٍ كَفَّ عَنْ ذلِكَ. لَمْ تَسمَعْ طَرْقاً أو أصواتاً أخرى لَيلاً ولَمْ تَحصُلْ على رسائلَ أُخرى في غُرفَةِ الضُّيوفِ على الرَّغْمِ مِنْ أنَّها استَيقَظَتْ واستَطْلَعَتْ لَيلَتَينِ على التّوالي.

وكأنّما البَيتُ حَبَسَ أنفاسَهُ مُتَرَقِّباً ما يوشِكُ أنْ يَحدُثَ.

ـ هل أمورُكِ على ما يُرامُ مَعَ يوسِف؟ سألَتْها أُمُّها عندما اتَّصَلَتْ بِبيلّي بِها هاتِفيّاً في المساءِ. بَدا مِن صوتِها التَّعَبُ والقَلَقُ.

ـ بَلى، بَلى، قالَتْ بيلّي. ومعَ ذلكَ فَلَكِ أن تُعَجِّلي بالشِّفاءِ.

ـ إنَّني أُحاوِلُ بأقصى جُهدي يا حبيبَتي. قالَت أمُّها.

وكانَ ذلكَ حقّاً، فقَدْ قالَ الطّبيبُ إنَّ أُمّها تَحَسَّنَتْ وقريباً سيمكنُها أن تَعودَ إلى البَيتِ. وَلَقَدْ أخبَرَ بيلّي مَرّاتٍ عَديدَةً أيَّ نِهايَةٍ سَيِّئَةٍ كانَتْ تَنتَظِرُهُم لَو أنَّ أُمَّها لَمْ تأتِ للمُستَشفى.

حاوَلَت بيلّي أن تتَخَيَّلَ كيفَ كانتْ حياتُها سَتَكونُ لو أنَّ أُمَّها ماتَتْ كذلك، ولكِنَّ التَّفكيرَ في هذا الأمرِ كانَ مؤلِماً أشَّد الألَمِ. لو ماتَتْ أُمُّها فَسَتَكونُ بِيلّي أكثرَ البَشَرِ وِحدَةً في الدُّنيا بِأسرِها.

٢١

كانت مَكتَبَةُ كيشانستا مُربَّعَةً وعلى جُدرانِها ألواحٌ حَجَريَّةٌ ضَخمَةٌ.

التَقَتْ بيلّي وسيمونا بِعلاءِ الدّينِ عِندَ مَحَطَّةِ الباصِ القادِمِ مِنْ أوهوس وتَمَشّى الثلاثَةُ نَحوَ المَكتَبَةِ. كانَتْ أكبَرَ بِكثيرٍ مِن مَكتَبَةِ أُوهوس، ولكِنَّ بيلّي لَمْ تَجِدْها بالحَميميَّةِ ذاتِها على الإطلاقِ.

ـ هناكَ يَجلِسُ شَخصٌ يُمكِنُ التَّكَلُّمُ مَعَهُ، قالَ علاءُ الدّينِ وأَشارَ إلى شابٍّ جَلَسَ يَرتِّبُ الكُتُبَ.

عُلِّقَتْ فَوقَ مَكتَبِهِ لوحَةٌ مكتوبٌ عليها ''استعلامات''. بَدا سعيداً عندَما لَمَحَهُمْ.

ـ اجلسوا، قالَ وأشارَ إلى ثلاثَةِ كَراسٍ أمامَ مَكتَبِهِ. كيفَ أستَطيعُ مُساعَدَتَكُم؟

ـ أريدُ أن أَعرِفَ المَزيدَ عَن البَيتِ الّذي أسْكُنُه، قالَتْ بيلّي.

كان علاءُ الدّينِ وسيمونا مُتَلَهِّفَيْنِ كبيلّي.

ـ لا بُدَّ من أنْ يكونَ ذلكَ مُمْكناً، قالَتْ سيمونا.

ـ ذلكَ مُمكِنٌ حَتْماً، قالَ الشّابُّ. هل هناكَ ما يُمَيِّزُ البَيتَ؟ أعني، هَلْ هوَ بَيتٌ مَشهورٌ؟ هَلْ هُوَ قَصْرٌ؟

نَظَرَتْ بيلّي إلى صَاحِبَيْها. إنهُ مشهورٌ؟ إيه! الكُلُّ في أوهوس يعرِفُهُ على ما يبدو. ولكِنَّ بيلّي لَمْ تَسمَعْ بِهِ قبلَ انتِقالِها إليهِ. أما كونُهُ قَصراً فَكَلاّ بالتأكيدِ.

ـ تَحدُثُ في البَيتِ أشياءُ مُريبَةٌ، قالَ علاءُ الدّينِ. ولهذا نُريدُ أن نَعرِفَ أكثَرَ.

تَرَدَّدَتْ بيلّي لكنَّها قالَتْ آخرَ الأمرِ:

ـ نعتَقِدُ أنَّ فيهِ شَبَحاً، رُبَّما.

احمَرَّتْ عندَما قالَتْ ذلِكَ. فلا يوجَدُ على الأغلَبِ أحَدٌ في سِنِّها يعتَقِدُ بِوجودِ الأشباحِ.

ـ نَعَمْ، فَهِمتُ، قالَ الشّابُّ. أيْنَ يَقَعُ البَيتُ؟

ذَكَرَتْ بيلّي عُنوانَها ففَكَّرَ الشّابُّ.

ـ اتبَعوني، قالَ ونَهَضَ.

اصطَحَبَهُمْ إلى أَحَدِ الرُّفوفِ في أَقصى المَكتَبَةِ.

ـ هُنا تَجِدُونَ كُتُباً تتناوَلُ ما نُسَمّيهِ كائناتٍ روحانيَّةً. هي والأشباحُ تَقريباً الشَّيءُ ذاتُهُ. رُبَّما تَستَطيعونَ البَدءَ بالاطِّلاعِ على هذا الكتاب؟

أَخرَجَ كتاباً سَميكاً منَ على الرَّفِّ وناوَلَهُ إلى بيلّي. قَرأَتْ على وَجْهِ الغلافِ. كانَ عنوانُهُ "المنازِلُ المَسكونَةُ مِنَ الشَّمالِ إلى الجنوب".

ـ ما المَقصودُ بالمنازِلِ المَسكونة؟ قالَتْ سيمونا؟

ـ أنَّ الأرواحَ والأشباحَ لَمْ تَترُكِ البَيتَ في حالِه، قالَ الشّابُّ. هذا الكتابُ يَتَحَدَّثُ عَنْ أَشْهَرِ منازِلِ الأشباحِ في السُّوَيد، ولكنَّني بِصَراحَةٍ لَستُ مُتَأَكِّداً فيما إذا كانَ البَيتُ الذي تَعنُونَهُ موجوداً ضِمنَ الكتاب.

قَلَّبَتْ بيلّي صَفَحاتِ الكِتاب. أَغلَبُ المنازِلِ التي وَصَفَها الكتابُ لَمْ تَبدُ كالمنازِلِ إطلاقاً بل بَدَتْ كالقُصور.

ـ أظُنُّ أنَّه مِنَ الأفضَلِ أن تَبحَثوا في أرشيفِ المقالاتِ لَدينا، قالَ الشّابُّ. إذا كانَ الحَظُّ حليفَكُم فقَدْ تَكونُ إحدى الصُّحُفِ قَدْ كَتَبَتْ عَن البَيتِ مَرَّةً وعِندَئذٍ يُمكِنُني أن أُساعِدَكُم باستِخراجِ المَقال.

رأَتْ بيلّي في ذلكَ فِكْرَةً أفضَلَ. اتَّفَقوا على أنْ تَبْحَثَ سيمونا في الكِتابِ بِتَمَعُّنٍ بينَما تَبْحَثُ بيلّي وعلاءُ الدّينِ في الأرشيف.

عَرَضَ الشّابُّ عليهما كومبيوتراً جَلَسا عِندَهُ.

ـ هنا بإمكانِكُما أن تَكتُبا مُختَلَفَ الكلماتِ التي تُريدانِ البَحثَ عَنها، قالَ وأشارَ.

تَبادَلَتْ بيلّي نَظرَةً مَعَ علاءِ الدّينِ. لم تَكن لَدَيهما أدنى فِكرَةٍ عنْ الكَلِماتِ التي يمكنُ أن تكونَ لَها علاقَةٌ بِبَيتِ بيلّي.

ـ اكتُبي "منزِلُ أشباح في أوهوس"، قالَ علاءُ الدّينِ فَكَتَبَتْ بيلّي الكلماتِ بِسُرعَةٍ في حَقلِ البَحثِ.

لَمْ يحصلا على أيَّةِ نَتيجَةٍ.

ـ حاولي باستِخدامِ اسمِ الشّارِعِ الذي يَقَعُ البَيتُ فيهِ، اقتَرَحَ المُوَظَّفُ الشّابُّ. كَتَبَتْ بيلّي سبارّيسفَيغَن وانتَظَرَت.

أظْهَرَ الكومبيوتَرُ وُجودَ عَشْرِ نتائجَ يُذْكَرُ فيها سبارّيسفَيْغَن، فَتَحَمَّسَتْ بيلّي.

ـ هذا ما أعنيهِ، قالَ الشّابُّ. سَأُساعِدُكما في استِخراجِ هذهِ النُّصوصِ.

بَينَما كانَ يَبْحَثُ عنها ذَهَبَتْ بيلّي وعلاءُ الدّينِ وَجَلَسا عِندَ سيمونا.

ـ هل وَجَدْتِ شيئاً؟ قالَتْ بيلّي.

ـ انظري هنا، وأشارَتْ إلى الصَّفحَةِ التي كانت تَقرأُ فيها.

"ألغازُ أوهوس" كانَ عنوانَ النَّصِّ الذي تناوَلَ منازِلَ مُختَلِفَةً في منطَقَةِ أوهوس ادّعى أَصحابُها أنَّها كانتْ مَسكونةً. ذُهِلَتْ بيلّي عِندَما وَصَلَتْ إلى مُنتَصَفِ النَّصِّ:

ليسَتْ كثيرةً تلكَ المنازِلُ المَسكونَةُ في أوهوس، ولكنَّ مِن بَينِها مَنزِلاً يَراهُ ذَوُو الخِبْرَةِ دونَ شَكٍّ مُثيراً للاهتِمام، ويَقَعُ في النّاحيَةِ التي تُدعى "تابَّت". المَنزِلُ خَشَبِيٌّ صَغيرٌ يُقالُ إنَّ امرأةً شابَّةً شَنَقَتْ نَفسَها فيهِ تَحتَ ظُروفٍ غامِضَةٍ قبلَ أَعوامٍ عديدَةٍ. وَمِمّا يُشاعُ أنَّ المرأَةَ مَكَثَتْ في البَيتِ بَعدَ موتِها وتُضْمِرُ الشَّرَّ لِكُلِّ مَنْ يَنتَقِلُ إلى البَيتِ. وقَدَ كانَ البَيتُ دارَ أيتامٍ في العِشرينات حمَلَتْ اسمَ "ثغرَةِ الشَّمس". والمَرأةُ التي شَنَقَتْ نَفسَها كانتْ تَعمَلُ مُرَبِّيَةَ أطفالٍ في الدّارِ.

شَهَقَتْ بيلّي. كانَ جَلِيّاً أنَّ بَيتَهما، هيَ وأُمُّها، هو المقصودُ بذلك

الكلام الذي طابَقَ تَقريباً ما رَوَتْهُ السَّيِّدَةُ إيلّا لَها ولِعلاءِ الدّينِ. ولكنَّ إيلّا قالَتْ إنَّ البَيتَ كانَ مَدرَسَةً وليسَ دارَ أيتامٍ.

ـ أَلَعَلَّها أخطَأَت القولَ؟ قالَتْ بيلّي.

ـ إنَّها كبيرَةٌ في السِّنِّ، قالَ علاءُ الدّينِ.

قَرأَتْ بيلّي ثانيَةً.

ـ لا شيءَ هنا عَن أولئكَ الأطفالِ الزُّجاجِيّينَ، تَنَهَّدَتْ والخَيبَةُ تَملؤها.

جاءَ مُوَظَّفُ المَكتَبَةِ الشّابُّ إلَى حَيثُ كانوا.

ـ المقالاتُ موجودَةٌ فَقَطْ بِهَيئَةِ ميكروفيلم، قالَ. أَتَعرِفونَ ما هو؟

ـ لا، قالَتْ بيلّي.

يعني أنَّ على المَرءِ أن يجلِسَ أمامَ آلةٍ مُعَيَّنَةٍ حتى يستطيعَ قراءتَها. الميكروفيلم أَشْبَهُ بِصُورَةٍ دَقيقَةٍ تُكَبّرُها الآلةُ كي نستَطيعَ قراءَةَ النصِّ على الشّاشَةِ. الآلَةُ مَحفوظَةٌ في المَخْزَنِ إن رَغِبتُم في الاطّلاعِ عليها.

تأَبَّطَتْ بيلّي كتابَ المنازِلِ المسكونةِ وَتَبِعَت الشّابَ نُزولاً إلى المَخزَنِ. جَلَسَ علاءُ الدّينِ وسيمونا على جانِبَيها قُبالَةَ الشّاشَةِ. شَغَّلَ مُوَظَّفُ المَكتَبَةِ الشّابُّ الآلَةَ وأطلَعَهُم على كَيفيَّةِ عَمَلِها. كانَ الأمرُ مُعَقَّداً قليلاً ولكنَّ

الأمورَ سارَتْ بِسُرْعَةٍ حَقّاً بَعدَ أن فَهِموا ما عَلَيهِمْ أن يفعَلوا.

لَمْ تَكنْ لأولى المقالاتِ التي اطَّلَعوا عَلَيها أيّ صِلَةٍ بِبَيتِ بيلّي وإنّما تناوَلَتْ عائلَتَيْنِ تَخاصَمَتا وَقِطَطاً ضائعَةً وأشياءَ أُخرى لَمْ يَرغَبْ أيٌّ مِنهُم في قراءَتِها.

ـ يبدو أنَّ الكَثيرَ يَحْدثُ حيثُ تَسكُنينَ، مازَحَتْها سيمونا عندَما ظَهرَ لَهُمْ خَبَرٌ عَنْ صَبِيٍّ ابتَكَرَ وَصفَةً جَديدَةً لِصُنْعِ مُرَبّى الفَراولةِ.غَيَّرَ علاءُ الدّينِ الفيلمَ كي يتَمَكَّنوا مِنْ الاطِّلاعِ على آخِرِ المَقالاتِ.

وَعِنْدَئذٍ.

صَمَتَ الثَّلاثَةُ عِندَما رَأَوا الصُّورَةَ المُجاوِرَةَ لِلنَّصِ. كانَتْ الصُّورَةُ بالأبْيَضِ والأسَودِ ولكن بإمكانِ المَرءِ أن يَرى بِوضوحٍ أنَّها تُمَثِّلُ بَيتَ بيلّي. بَدا فيها وَكَأَنَّ البَيتَ مُحتَرِقٌ.

٥ مايو ١٩٤٠. لَيلَةَ أمس أُصيبَ مَنزِلٌ يَقَعُ في سبارّيسفَيغَن في أوهوس بِحَريقٍ شَديدٍ. وَلَمْ تَرغَبِ الشُّرطَةُ حَتّى السّاعَةِ في الإدلاءِ بأيّ مَعلوماتٍ عَمّا تَوَصَّلَتْ إلَيْهِ، ولكنَّ الظّاهِرَ أنَّ الحريقَ كانَ حادِثَةً مُروِّعَةً. فَحينَ انْدَلَعَ الحَريقُ تَواجَدَ زوْجانِ شابّانِ وَوَلَدُهما في المَنزِلِ. تُوُفِّيَت المَرْأَةُ وسَطَ

النّيران، بَينَما تَمكَّنَ زَوْجُها، مانَّة لوند، مِنْ إنقاذِ نَفسِهِ والصَّبيّ. وَقَدْ نَجا الصَّبيُّ دُونَ إصاباتٍ لكِنَّهُ تَعرَّضَ لِصدْمَةٍ نَفسيَّةٍ عَنيفَةٍ. ولَمْ يَتَّضِح بَعدُ ما سوفَ يَجري بِشأنِ البَيتِ.

إذَنْ فَقَدْ كانَ البَيتُ دارَ أيتامٍ في البَدْءِ ثُمَّ امتَلَكَتْهُ إحدى العوائلِ. ولَمْ تَكُنْ الفَتاةُ التي شَنَقَتْ نَفسَها تحتَ سَقفِهِ الوَحيدَةَ التي ماتَتْ هناكَ. إذْ تُوجَدُ امرأَةٌ أُخرى فَقَدَت حياتَها في البَيتِ. ولكِنَّ زَوْجَها وابْنَهُما نجوا. ماذا لو أنَّ بإمكانِهِم الوصولَ إلى أَحَدِهما. فَهُما يستَطيعانِ بالتَّأكيدِ أن يُخبِراهُمْ بالكَثيرِ عمّا حَدَثَ بَعدَ الحَريقِ. بل لَعَلَّهُما كذلكَ يعرِفانِ شيئاً عَن الأطفالِ الزُّجاجِيّينَ.

٢٢

امتَلأَ البَيتُ بأكمَلِهِ برائحَةِ كُراتِ اللَّحمِ المفرومِ المَقْليَّةِ. جَلَسَتْ بيلّي تَقرأُ في سَريرِها بَينَما كانَ يوسِفُ يَطبُخُ عِندَما رَنَّ الهاتِفُ. بِسُرْعَةٍ رَمَتْ بيلّي الكتابَ مِن يَدِها وَنَزلَتْ ركضاً لِتَرى فيما إذا كانَت أُمُّها هي المُتَّصِلَةُ.

ـ آهِ ما ألطَفَ ذلِكَ مِنْ والِدَيكَ يا علاءَ الدِّينِ، سَمِعَتْ يُوسِفَ يقول. وَقَفتُ لِتَوّي أقلي كُراتِ اللحمِ المَفرومِ ولكِنَّها تَستَطيعُ الانتِظارَ حتى الغَدِ.

ثُمَّ التَفَتَ نَحوَ بيلّي قائلاً:

ـ إنَّهُ علاءُ الدِّينِ. يُريدُ والِداهُ دَعوتَنا إلى العَشاءِ في مَطْعَمِهِم اللَّيلَةَ.

هَلَّلَتْ بيلّي. لَقَدْ اصطَحَبَها علاءُ الدِّينِ مَرّاتٍ عَديدَةً إلى مَطْعَمِ والِدَيْهِ، إنَّما لَيسَ بِقَصْدِ الأكلِ في أيِّ مَرَّةٍ، بَلْ لأنَّهُ كانَ يحتاجُ في كلِّ مَرَّةٍ شيئاً من أُمِّهِ أو أبيهِ.

أزاحَ يوسفُ المِقلاةَ عَنِ الطَّبّاخِ.

ـ هَيّا بِنا نَذْهَبُ، قالَ.

كانَ علاءُ الدّين يَنتَظِرُهُما في مِرآبِ البُرْجِ عِندَما وَصَلا إلى هناكَ على دَرّاجَتَيْهِما. تألَّقَتْ عيناهُ حماسةً.

ـ هل أخبَرتِ يوسِفَ بِما تَوَصَّلنا إلى مَعرِفَتِهِ في المَكتَبَةِ اليَومَ؟ هَمَسَ عِندَما سارا خَلفَ يوسِفَ صاعدينَ السُّلَّمَ إلى المَطْعَمِ.

ـ لا، قالَتْ بيلّي.

خَشِيَتْ أنْ يَغضَبَ يُوسِفُ كما اعتادَتْ أُمُّها أن تفْعَلَ حينَ تُكَلِّمُها عن وُجودِ أشباحٍ في البَيتِ.

ـ لَقَدْ فَكَّرْتُ، قالَ علاءُ الدّينِ. أعتَقِدُ أنَّ هناكَ شَبَحَيْنِ على الأقَلِّ في بَيتِكِ. الفتاةُ التي شَنَقَتْ نَفسَها في السَّقفِ والمَرأةُ التي احتَرَقَتْ في الدّاخِلِ مَعاً. وَرُبَّما تَخوضانِ صراعاً ضِدَّ بَعضِهِما. قَدْ تكونُ هناكَ قاعِدَةٌ تقولُ إنَّ مِنْ غَيرِ الجائزِ أن يَعيشَ أكثرُ مِنْ شَبَحٍ واحِدٍ في كُلِّ بَيتٍ.

فَكَّرَتْ بيلّي. إنَّ افتِراضاً كهذا يَعني أنَّهما تَتشاجَرانِ مَعَ بَعْضِهِما لا مَعَ بيلّي وأُمِّها. وكلُّ هذا الذي حَدَثَ مُؤَخَّراً، بِماذا يُمكِنُ تَفسيرُهُ إذَنْ؟

ـ وأنا كذلكَ أعتَقِدُ أنَّ هناكَ أكثَرَ مِنْ شَبَحٍ، هَمَسَتْ لِعلاءِ الدّين.

على أنّ لديَّ شعوراً طاغياً بأنَّهُما يُريدانِ أن يَفعلا بِنا شيئاً، أنَّهُما يُحاوِلانِ إجبارَنا على تَرْكِ البَيتِ.

بَدا علاءُ الدّينِ جادّاً.

ـ إنّني أتساءلُ لِماذا، قالَ. ما الذي يُريدانِ أنْ يَفعلاهُ بالبَيتِ؟

كانَ مَطْعَماً صَغيراً لا يَتَّسِعُ سوى لِلقَليلِ منَ الزبائنِ. كانتْ بيلّي تَعرِفُ أنَّ المَطبَخَ يَقَعُ في أسفَلِ البُرجِ. وَقَدْ سَمِعَتْ أُمَّ علاءِ الدّينِ تَقولُ إنَّ أَصعَبَ ما في الأمرِ هو الحِرصُ على ألّا يَبرُدَ الطّعامُ قبلَ أنْ تَصعَدَ بِهِ إلى أعلى ذلكَ السُّلَّمِ الطَّويلِ.

ـ أَتَفتَقِدينَ ماما؟ قالَ يوسفُ عندَما جَلَسا.

أومَأَتْ بيلّي بالإيجابِ وبَلَعَتْ رِيقَها. لقَد افتَقَدَتْ أُمَّها كُلَّ ساعَةٍ وكُلَّ دَقيقَةٍ.

ـ وأنا كذلكَ، قالَ يُوسِفُ.

كانا يَجلِسانِ صامِتَينِ حينَ جاءَ علاءُ الدّينِ بقائمَةِ الطّعامِ.

ـ ماما وبابا يقولانِ إنَّ بإمكانِكما طَلَبَ أيِّ شيءٍ تُريدانِه.

فَتَحَ كُلٌّ مِن بيلّي ويوسِفُ قائمَتَهُ وشَرَعا بالقراءَةِ. وَقَفَ علاءُ الدّينِ

عِندَ طاوِلَتِهما وانتَظَرَ.

ـ أرى أن تُجَرِّبا لَحمَ الخروفِ، قالَ.

ـ إذنْ نختارُ ذلكَ، ضَحِكَ يوسِفُ مُغلِقاً قائمَتَهُ. حتّى يَقَعَ اللومُ عليكَ بَعْدَئذٍ إذا لَمْ يَكُنْ طَيِّباً.

وغَمَزَ لِبيلّي قبلَ أن يَذهَبَ علاءُ الدّينِ.

ـ يَجِبُ أنْ أُخبِرَكِ بشيءٍ ما، قالَ يُوسفُ عندما صارا وحدَهما. بِشَأنِ بَيتِكُما.

أَصابَ الفُضولُ بيلّي.

ـ تَكَلَّمتُ مَعَ زَميلٍ لي عَنكِ وَعَن والِدَتِكِ. ولقَدَ عَرَفَ بالضَّبطِ أيَّ بَيتٍ تَسكنانِ.

ـ ماذا؟ قالَتْ بيلّي مندَهِشَةً. أيَعرِفُ أَحَداً مِمَّنْ سَكَنوا هُناكَ؟

ـ لا، قالَ يوسِفُ. ولكِنَّ أصلَهُ مِنْ أوهوس وأَخبَرَني أشياءَ مُثيرَةً للاهتِمامِ بِشأنِ تاريخِ البَيتِ.

ظَهَرَتْ أُمُّ علاءِ الدّينِ حامِلَةً صِينِيَّةً وقَدَّمَتْ مشروباً غازِياً لِبيلّي وجِعَةً لِيوسِف.

مالَتْ بيلّي فوقَ الطّاوِلَةِ كَيْ تَسمَعَ كُلَّ كَلِمَةٍ يَقولُها يوسِف.

ـ ماذا؟ قالَتْ. ما الذي عرَفَهُ عَن البَيتِ؟

ـ أنَّهُ كانَ دارَ أيتام. أَكُنتِ تعرفينَ ذلكَ؟

تَرَدَّدَتْ بيلّي. هل تُخبرُهُ بِما تَوَصَّلوا لِمَعرِفَتِهِ في المَكتَبَةِ؟ كلّا، لَم تَجْرُؤْ على ذلك. لَيسَ بَعدُ.

ـ لا، قالَت. مَتى كانَ ذلكَ؟

ـ في زَمَنٍ بَعيدٍ. في العشرينات حَسبَما قالَ زميلي. ما بينَ ١٩٢٠-١٩٢٢، على ما أعتَقِدُ. البَلَديَّةُ هي التي بَنَت البَيتَ مِنْ أَجْلِ الأَطفالِ.

ـ ١٩٢٠- ١٩٢٢؟ ليستْ مُدَّةً طويلَةً. ما الذي حَدَثَ بَعدَئذٍ؟

ـ لا أعرفُ، قالَ يُوسِفُ. لَم يعرِفْ زميلي بالضَّبطِ.

دونَ أن تَستَطيعَ توضيحَ السَّبَبِ شَعَرَتْ بيلّي بأنَّ ما يَتَعَلَّقُ بِكَوْنِ البيتِ دارَ أيتام في البَدْءِ كانَ أَمراً مُهِمّاً، أمراً يُفَسِّرُ جُزئيّاً تِلكَ الفَظائعَ التي حَدَثَتْ كُلَّها.

لِماذا لَمْ تَبْقَ دارُ الأيتامِ قائمةً سوى لِأعوامٍ قَلائل؟ هل للأَمرِ علاقَةٌ بالأَطفالِ الزُّجاجيّينَ؟ قَرَّرَتْ بيلّي أنْ تُحاولَ مَعرِفَةَ المَزيدِ في اليومِ التّالي. علَيهِمْ أن يَعودوا إلى المَكتَبَةِ مَرَّةً أُخرى ويقوموا بالمَزيدِ مِنَ البَحثِ.

ظَهَرَتْ أُمُّ علاءِ الدّينِ حامِلَةً صَحنَينِ كَبيرَيْنِ.

ـ لَحمُ خروف. الأفضَلُ في سْكُوْنَةْ. تَفَضَّلا.

عَبَقَ الطَّعامُ برائحَةٍ ولا أشهى وأكَلَتْ بيلّي بِسُرْعَةٍ.

سَيكونُ الصيفُ القادمُ مُختَلِفاً. عندَئذٍ ستكونُ هي وأُمُّها قَد انتَقَلَتا عائدَتَينِ إلى المَدينَةِ ثانيَةً. كانَت الخطوَةُ الأولى مَعرِفَةَ ما يَعيبُ البَيتَ. والتّاليَةُ كانَتْ إقناعَ أُمّها بِوُجوبِ تَرْكِهِ.

عندَما انتَهَيا مِن تَناوُلِ الطَّعامِ جاءَ والِدُ علاءِ الدّينِ إلى طاوِلَتِهما وَحيّاهُما. سَأَلَهُ يوسِفُ كَمْ مضى على وجودِ العائلَةِ في السُّويدِ فاستَغَلَّتْ بيلّي الفُرصَةَ لِلذَّهابِ إلى الحَمامِ. عِندَما خَرَجَتْ سَمِعَتْ صَوتاً مِنْ خَلْفِها.

ـ إذَنْ فَأنتِ لا تَزالينَ في أُوهوس.

التَفَتَتْ بيلّي بِسُرْعَةٍ. كانت السَّيِّدَةَ إيلّا. ابتَسَمَتْ أوَّلَ الأمرِ لِبيلّي، ولكِنَّها سُرعانَ ما صارَتْ جادَّةَ الملامِحِ.

ـ ألَمْ تَتَكَلَّمي مَعَ أُمِّكِ حتّى الآنَ؟ قالَت.

هَزَّتْ بيلّي رأسَها نَفياً.

ـ يَجبُ أنْ أعرِفَ المَزيدَ أوَّلاً، قالَت. حتى أكونَ مُتَأَكِّدَةً مِنْ أنَّها سَتَستَمِعُ إلَيَّ.

نَظَرَتْ إيلّا إلى بيلّي.

ـ إنَّها بالطَّبْعِ حِكمَةٌ مِنكِ أنْ تُفَكّري هكذا، قالَت. تَذَكَّري فَقَط أنَّكِ لا تَملُكينَ الكثيرَ مِنَ الوَقْتِ. فَكّري بِما انتَهى إليهِ أمرُ الآخَرينَ الذينَ سَكنوا البَيتَ.

نَظَرَتْ بَيلّي إلى حَيثُ كانَ يوسِفُ. لَمْ يَزَلْ يَتَحَدَّثُ مَعَ والِدِ علاء الدّينِ.

ـ يَجِبُ أنْ أذهَبَ الآنَ، قالَتْ.

ـ بالتَّوفيقِ، قالَتْ إيلّا.

عَجَّلَتْ بِيلّي بالعَودَةِ إلى يُوسِف. لَمْ تَشَأ أن تُخْبِرَ إيلّا بأنَّ أُمّها قَدْ مَرِضَتْ ونُقِلَتْ بالإسعافِ. أنَّهُما قَدْ أُصيبتا بِمَكروهٍ بالفِعلِ.

كانَتْ إيلّا على حَقٍّ. لَمْ تَمتَلِكْ بيلّي الكثيرَ منَ الوَقتِ حَتّى تُنْقِذَ نَفسَها وَأُمَّها.

٢٣

صارَ الأَمرُ إلى أنْ تَذهَبَ بيلّي وسيمونا فقَطْ إلى المَكتبَةِ في اليَوم التّالي. فَقَدْ كانَ لَدى علاءِ الدّينِ دَرْسُ بيانو ولَمْ يَكُنْ بإمكانِه أن يُوافيَهُما في كيشانستا قبل إغلاقِ المَكتبَة.

ـ اتَّصِلي بي اللَيلَةَ وأخبِريني بِما سَتَعرِفانِ! قالَ لِبيلّي عِندَما تَكَلَّما في الصباح.

ـ طَبعاً، قالَتْ بيلّي.

جَلَسَتْ هي وسيمونا وملؤهما الأملُ أمامَ الكومبيوتَرِ نَفسِهِ الذي جَلَسوا عندَهُ آخرَ مَرَّةٍ وقامَتا بالبَحثِ في أرشيفِ المقالاتِ عن "ثَغرَةِ الشَّمس". وقَدْ أصابَتْهُما الخَيبَةُ حينَ لَمْ تَعثُرا على نتائجَ كثيرةٍ كما أمِلَتا.

ـ جَرِّبي البَحثَ عَن "دارِ أيتام" و"أوهوس" عِوَضاً عَنْ ذلك،

قالَتْ سيمونا.

ولكِنَّ ذلكَ لَمْ يُجْدِ نَفْعاً.

ـ غريبٌ، قالَتْ بيلّي وَعَبَسَتْ.

مَضَتا إلى مَكتَبِ الاستعلاماتِ كي تَطْلُبا المُساعَدَةَ في استِخراجِ المقالاتِ القليلَةِ التي وجَدَتاها. كانَ الشّابُّ نَفسُهُ الذي ساعدَهُم في المَرَّةِ الماضيَةِ هناك.

ـ عليكُما أن تُواصِلا البحثَ وتَذهَبا إلى مُتْحَفِ المَدينَةِ عِندَما تَنتَهيانِ مِنَ البَحثِ هُنا، قالَ وَهوَ يَبحَثُ في الصَّناديقِ الصَّغيرَةِ عَن الميكروفيلم الصَّحيحِ. لَدَيهِمْ مَعرَضٌ هناكَ حاليّاً عنْ رِعايَةِ الأطفالِ في مُقاطَعَةِ سْكوْنَةْ خلالَ القَرنِ العِشرينِ. رُبَّما يَعرِفُونَ شيئاً يُهِمُّكُم عن دارِ الأيتامِ تلكَ.

مُتحَفُ المَدينَةِ؟ نَظَرَت سيمونا وبيلّي إلى بَعضِهِما وأومَأَتا بالموافَقَةِ. بالطَّبْعِ سَتَفعلانِ ذلك. رَمَقَتْ بيلّي السّاعَةَ بِنَظرَةٍ آمِلَةً أنْ تَجِدَ الوَقتَ الكافي لِكُلِّ ذلكَ قبلَ أن يأتيَ يوسِفُ كَيْ يَصطَحِبَها مَعَهُ. عليهِما أيضاً أن يَمُرّا على أُمِّها في المُستَشْفى في طريقِهِما إلى البَيتِ. وَكَم أسعَدَها أن تَكتَشِفَ أنَّها، رُغمَ قِلَّةِ المَقالاتِ، عَرَفَتْ الكثيرَ مِن خلالِ قراءَتِها.

تَحَدَّثَت المقالَةُ الأولى عَن افتتاحِ دارِ الأيتام.

٣ أكتوبر ١٩٢٠. شارَكَ البَنّاءُ غْرين الذي بَنى دارَ الأيتامِ في مَراسيمِ اليَومِ بحضورِ مأدُبَةِ غَداءٍ أُقيمَتْ في مَقَرِّ إقامَةِ المُحافِظِ. وقَدْ شَكَرَ رئيسُ البَلَدِيَّةِ بيرشون البنّاءَ على عَمَلِه. تَقَعُ دارُ الأيتامِ في تابَّت في أوهوس وسَتُوَفِّرُ لليتامى من الأطفالِ مأوىً آمناً للمعيشَةِ. ويُتَوَقَّعُ أن تستوعِبَ الدّارُ ثمانِيَةَ أطفالٍ على الأقَلِّ وستَحملُ اسمَ "ثغرةِ الشَّمس".

ـ ثمانِيَةُ أطفالٍ، قالَتْ سيمونا ونَظَرَتْ إلى المقالَةِ بتَعَجُّبٍ. أيُمْكِنُ أن يَعيشُ هذا العَدَدُ في بَيتِك؟

ـ لا بُدَّ من أنَّهُمْ كانوا ينامونَ في أسِرَّةٍ من طابقين وبمَجموعَةِ أطفالٍ في كُلِّ غُرفَةٍ، قالَت بيلّي التي فَكَّرَتْ في الأمرِ نَفسِه. وقَدْ يَكونُ المُوَظَّفونَ ناموا في غُرفَةِ الضُّيوفِ المحاذية للمَطبَخ.

ـ لا بُدَّ من أنَّهُ كانَ صغيراً معَ ذَلك، قالَتْ سيمونا. تَعرفينَ مثلاً كيفَ نعيش في بيتِنا. نحنُ كثيرونَ جدّاً و لِكُلٍّ منّا غُرفَتُهُ مَعَ ذلكَ.

لَمْ تَعرِفْ بيلّي أَحَداً يسكُنُ بَيتاً أكبَرَ مِنْ بَيتِ سيمونا. فَقَد اشترى

أبَواها مَزْرَعَةً قَديمَةً وعَمَّراها وَخَصَّصا مَكاناً لِكُلِّ واحِدٍ مِن أطفالِهما.

تَحَدَّثَت المقالَةُ التّاليَةُ عن دار الأيتام نَفْسِها، فَكانَ فيها وَصفٌ مُفَصَّلٌ لِما سيكونُ عليه حَجْمُ الدّارِ ومَنْ سيَعيشُ فيها. وأنَّ البَلَدِيَّةَ اقتَرَحَتْ أنْ تَكونَ للأطفالِ المُعاقينَ الأسبَقِيَّةُ في الحصولِ على مكانٍ في الدّارِ.

أَخرَجَتا المقالَةَ الأخيرَةَ التي كانت على قائمَتِهِما.

٣ أغسطس ١٩٢٢. قَرَّرَت البَلَدِيَّةُ اليَومَ إغلاقَ دارِ "ثغرة الشّمس" للأيتام في أوهوس بَعدَ الأحداثِ شديدَةِ المأساوِيَّةِ التي نَشَرَتِ الصَّحيفَةُ تقاريرَ عَنها خلالَ الأسبوعِ الماضي. وَسَيُقَرِّرُ مَجلِسُ إدارَةِ البَلَدِيَّةِ ما سيكونُ مِن مُستَقبَلِ بِنايَةِ الدّارِ في وَقتٍ لاحِقٍ أثناءَ الخَريفِ.

أعادَتْ بيلّي وسيمونا قِراءَةَ المَقالَةِ أكثَرَ مِنْ مَرَّةٍ. "بَعدَ الأحداثِ شَديدَةِ المأساوِيَّةِ..." أيَّةُ أحداثٍ تِلكَ؟ لماذا لَمْ تَجِدا أيَّ مَقالَةٍ أو خَبَرٍ عنها؟

شَعَرَتْ بيلّي بِقَلبِها وهوَ يطرقُ أعنفَ فأعنَفَ. إنَّهما قريبتانِ الآنَ،

كانتْ تَعرِفُ ذلكَ. قريباً سَتَعرِفُ أيَّ أسرارٍ تِلكَ التي يُخَبِّئها البَيتُ. قَريباً، قَريباً، قَريباً.

هَبَّتْ عَن الكُرسِيّ بِحَرَكَةٍ واحِدَةٍ وسَحَبَتْ سيمونا مِنْ ذراعِها.

ـ هَيّا! قالَتْ. سَنَذهَبُ الآنَ إلى المُتْحَفِ!

يَقَعُ مُتْحَفُ كيخانستا في السّاحَةِ الكَبيرَةِ. لقدْ ذَهَبَتْ بيلّي إلى هُناكَ معَ المَدْرَسَةِ سابِقاً، ولكِنَّها لَمْ تَفعَل ذلكَ وحدَها أبَداً.

ـ أكرهُ الذهابَ إلى المُتحَفِ، قالَتْ سيمونا وهما تَسيرانِ عبرَ البابِ.

أما بيلّي فرأَتْ أنَّ الأمرَ يُمْكِنُ أن يكونَ مُمتِعاً أحياناً، ولكِنَّها لَمْ تَقُلْ شَيئاً عنْ ذلكَ. كانَتْ سعيدَةً لأنَّ سيمونا رافَقَتْها رَغمَ أنَّها ترى الأمرَ مَبعَثاً للضَجَرِ!

ولكنْ من أينَ سَتَبدَآنِ يا تُرى؟

ـ هُنا! قالَت سيمونا وأشارَتْ إلى لافِتَةٍ مكتوبٍ عليها "معرضٌ جديدٌ: رعايةُ الأطفالِ في كيخانستا في القرنِ العشرينِ".

نَظَرَتْ بيلّي إلى السّاعةِ. بَلَغَت الرّابِعَةَ. عند الخامسَةِ سَيَأتي يوسِفُ لأَخْذِها مِن أمامِ المَكتَبَةِ كَيْ يَذهبا إلى المُستَشْفى. عندَئذٍ يجبُ أن تكونَ هناكَ.

أسرَعَتا بالدُّخولِ إلى قاعَةِ المَعرَضِ فَشَهَقَتْ بيلّي. ما أكثرَ الصُّوَرَ والحاجياتِ. كانَ هناكَ الكثيرُ مِنَ النَّماذِجِ الصَّغيرَةِ لِبُيوتٍ ومبانٍ مُختَلِفَةٍ.

ـ النَّجدَةَ، تَنَهَّدَتْ سيمونا. سَيَستَغرِقُ البَحثُ بينَ هذا كُلِّهِ وَقتاً طويلاً.

وكانَتْ على حَقٍّ تَماماً في ما قالَتْهُ. وما الذي كانتا تَبحَثانِ عَنْهُ؟

ـ لَعَلَّنا نستَطيعُ طَلَبَ المَشورَةِ مِنها، قالَتْ بيلّي مُشيرَةً إلى فتاةٍ شابَّةٍ تجول في القاعَةِ.

أسْرَعَتا إلَيْها.

ـ مِنْ فَضلِكِ، قالَتْ سيمونا. هل تَعمَلينَ هنا؟

ـ نَعَم، قالَت الفتاةُ. كيفَ أستَطيعُ مُساعَدَتَكُما؟

بَدَتْ سَعيدَةً عندما رأَتْهُما. فالمَعرِضُ كادَ يَخلو من الزُّوّارِ عندَئذٍ.

ـ نَرغَبُ في سؤالِكِ عمّا إذا كُنتِ تَعرِفينَ شيئاً عَنْ دارِ أيتامٍ كانتْ تُسَمّى "ثغرَةَ الشَّمس" كانَتْ تَقَعُ في أوهوس في عشرينات القَرْنِ العشرين؟ سألَتْ بيلّي.

ارتَسَمَ الجِدُّ على ملامِحِ الفتاةِ.

ـ طَبْعاً أعرِفُ، قالَتْ. ما الذي تُريدينَ مَعرِفَتَهُ؟

كُلَّ شيء، فَكَّرَتْ بيلّي.

ـ أنا وصديقتي سَنَكتُبُ حكايَةً في المَدرَسَة عن رعايَةِ الأيتامِ في الماضي، قالَتْ. وقَدْ سَمِعنا بـ "ثغرَةِ الشَّمس".

ـ انتَقَلَتْ بيلّي لِتَوِّها إلى أوهوس، قالَتْ سيمونا. لذلكَ رأينا أنَّه مِنَ المُثيرِ أن نَكتُبَ عن دارِ أيتامٍ كانتْ تَقَعُ هناكَ.

قَرَأَتْ بيلّي اسمَ الفَتاة. كان اسمُها أماندا.

ـ فَهِمْتُ، قالَت. مَعَ الأسَفِ فإنَّ هذا المَعرِضَ لَم يَتَضَمَّن شَيئاً عنْ "ثَغرَةِ الشَّمسِ". ولكنني في الحقيقةِ كتبتُ موضوعاً عنْ دار الأيتام هذهِ أثناء دراستي في الجامِعَةِ. إنَّها قِصَّةٌ فَظيعَةٌ، ولكِنَّكما تَعرِفانِها مُسبَقاً بالتأكيد.

رَمَقَتْ الصَّبِيَّتانِ بَعضَهُما بِنَظرَة.

ـ ممم، قالَت بيلّي. ولكِنَّنا نَرْجو أن نَعرِفَ ما جرى بِمَزيدٍ منَ التَّحديد.

ـ إذَنْ فأنا أرى في هذهِ الحالِ أن نَذهَبَ ونَجْلِسَ على تِلكَ الأرائكِ هناكَ حتّى أحكي لَكُما، قالَتْ أماندا. هَيّا!

٢٤

رُبَّما كانَ الأجدرُ بِبيلّي أن تُدرِكَ أنَّ بَيتَها يَقبَعُ فوقَ سرٍّ مُظلِمٍ للغايَةِ. أنَّ ما هي مُقبِلَةٌ على سماعِهِ كانَ حكايةً رَهيبَةً. ولكنَّها بُهِتَتْ حين شَرَعَتْ الفتاةُ التي تُدعى أماندا في حكايَتِها عَنْ دارِ "ثغرة الشَّمس" للأيتامِ. حتّى سيمونا التي تُحِبُّ الكلامَ صَمَتَتْ تَماماً.

ـ حَقّاً لَقَدْ كان اسمُ الدّار "ثَغرة الشَّمس" مثلَما قُلتُما، قالَتْ أماندا. ولكِنَّ أحَداً لَمْ يُسَمِّها باسمٍ آخَرَ سوى "ثَغرَة الزُّجاج". أتَعرفانِ ذلكَ؟

هَزَّتْ بيلّي رأسَها نَفياً.

ـ لِماذا سُمِّيَتْ بِـ "ثغرة الزُّجاج"؟ قالَت بيلّي وانتَبَهَتْ إلى أنَّها هَمَسَتْ.

ـ لأنَّ خَمْسَةً مِنَ الأطفالِ الثَّمانيَةِ الذينَ سَكَنوا هُناكَ كانوا أطفالاً زُجاجِيِّينَ.

أطفالٌ زُجاجيّون؟ أخيراً ستَعرفان!

ـ الأطفالُ الزُّجاجيّونَ هي التَّسميَةُ التي كانَتْ تُطلَقُ على الأطفالِ المُصابينَ بِهَشاشَةِ العِظامِ مُنذُ الولادَةِ، قالَتْ أماندا. وهوَ يُعتَبَرُ حتّى الآنَ مَرَضاً خَطيراً، أمّا في ذلكَ الوَقتِ فقَدْ كانَ ما يُمكِنُ تَقديمُهُ للأطفالِ المُصابينَ بِهذهِ الإعاقَةِ أقلَّ بِكثيرٍ. فالمَرَضُ يَتَطَلَّبُ مُراقَبَةً دائمَةً حتّى لا يَقَعَ الطِّفلُ فَيُصابَ بِكُسورٍ. أتَعرِفانِ ما هَشاشَةُ العِظامِ؟

ـ أعتَقِدُ ذلكَ، قالَتْ سيمونا. إنَّها تَعني أنَّ المَرءَ تُكْسَرُ ساقاهُ وذِراعاهُ أكثرَ وأسهلَ مِنَ النّاسِ الأصِحّاءِ.

ـ تماماً، قالَتْ أماندا. تُوجَدُ أنواعٌ مُختَلِفَةٌ مِنْ هَشاشَةِ العِظامِ، ليستْ جميعُها بالخُطورَةِ نَفسِها. ولكنَّ بَعضَ حالاتِها شَديدُ الأذى حتّى أنَّ المَرءَ لا ينمو بِسَبَبِها كما يَنبَغي. كانَتْ لدى الأطفالِ الّذينَ سَكَنوا دارَ "ثغرة الزُّجاج" للأيتام، أو "ثغرة الشَّمس"، مشاكل كبيرةٌ مُختَلِفَة، ولكِنَّ مَجموعَةً مِنْهُم كانَت أمراضُهُم شديدَةً.

حاوَلَتْ بيلّي أنْ تتَخَيَّلَ حالَ مَنْ لَدَيْهِ مَرَضٌ كهذا. أن تُكسَرَ اليَدانِ والسّاقانِ لِمُجَرَّدِ الوقوعِ. ما أفظَعَ ذلك!

أطفالٌ زُجاجيّونَ.

إنَّها تَسميَةٌ مُناسِبَةٌ للأطفالِ المُصابينَ بِهذا المَرَض.

ـ كانوا كما قُلنا ثَمانِيَةَ أطفالٍ تَرعى شؤونَهُم امرأتانِ. إحداهُما مُديرَةُ الدّارِ والأُخرى كانَتْ مُرَبِّيَةَ أطفالٍ شابَّةً اسمُها مايكَنْ.

صَمَتَتْ أماندا وَظَنَّتْ بيلّي أنَّها سَتَكُفُّ عَن إكمالِ الحِكايَةِ. ولكِنَّها لَمْ تَقصِدْ ذلك، بل أَخَذَتْ استراحَةً فَقَط.

ـ كانتْ مايكَن عَمَليّا المسؤولَةَ عن رِعايَةِ الأطفالِ وأظُنُّكما تُقَدِّران أيّ مَهَمَّةٍ ثَقيلَةٍ وأيَّ عَمَلٍ شاقٍّ كان ذلكَ لِشَخصٍ واحِدٍ، خُصوصاً وأنَّ أكثَرَ الأطفالِ كانوا مَرضى. صيفُ عام ١٩٢٢ كانَ صيفاً سَيِّئاً. فقَدْ أمطَرَتْ بِغَزارةٍ. ولكنَّ الجَوَّ تَبَدَّلَ في أغسطُس وأصبحَ حارّاً. وفي أحَدِ الأيامِ حينَ كانَتْ مايْكَن وحدَها مع الأطفالِ جَميعِهِم قَرَّرَتْ أن تأخُذَهُمْ إلى الشّاطئ. الأطفالُ الأصِحّاءُ ساعَدوا في سَحبِ العَرَباتِ التي رَكِبَها الأطفالُ المَرضى. وبِهذهِ الطَّريقةِ تَمَكَّنَتْ مايكَن مِن أخذِ الجَميعِ مَعَها إلى البَحْرِ.

كانَ تَخَيُّلُ المَشهَدِ صعباً، ولكنَّ بيلّي حاوَلَتْ مَعَ ذلكَ. لَمْ يَكُنْ سبارّيسفَيغَن مُعَبَّداً عِندَئذٍ ولا بُدَّ من أنّ الغُبارَ أحاطَ بالعَرباتِ. وكانَ الأمرُ عسيراً حَتماً، حتّى إنْ لَم تَكُن الطريقُ طويلَةً إلى البَحرِ.

ـ انطَلَقوا مِنَ الدّارِ في العاشرةِ صباحاً، واصَلَتْ أماندا حكايَتَها. واستَقَرّوا على الشّاطِئِ عندَ الموضِعِ الذي يُسَمّى اليومَ بـ "كانتاريلّن" لا تَسألاني عَن ما فَعَلَتْهُ مايكَن حتّى تُسَيطِرَ على الأطفالِ. رُبَّما حَرَصَتْ على إبقائِهِم جالسينَ على بَطّانيّاتٍ تَحتَ مِظَلَّةٍ ما. تَراكَضَ الأطفالُ الأصِحّاءُ حولَ المكانِ كيفَما شاؤوا وسَبَحوا ولَعِبوا.

مِثلَما فَعَلَتْ بيلّي أثناءَ الصَّيْفِ. مِن جَديدٍ رَأَت المُرَبّيَةَ مايكَن والأطفالَ الثّمانيَةَ أمامَها.

ـ في ذلكَ الوَقتِ كانَ الشّاطئُ مُختَلِفاً، قالَتْ أماندا. كانَ صَدرُ الشّاطئِ نَفسُهُ أعرَضَ ولَمْ يَكُن ضَحلاً كما هيَ حالُهُ اليَومَ. خُصوصاً عِندَما تَهُبُّ ريحٌ عنيفَةٌ تَترُكُ البَحرَ مائجاً. وفي ذلكَ اليومِ الذي أخذَتْ مايكَن الأطفالَ فيهِ إلى البَحرِ، هَبَّت الرّيحُ بِعُنْفٍ.

فَجْأَةً شَعَرَتْ بيلّي بألَمٍ في مَعِدَتِها. لَمْ تَكُنْ مُتَأَكِّدَةً فيما إذا كانَتْ تَرغَبُ في سماعِ المَزيدِ عَنْ مايكَن والأطفالِ الزُّجاجِيّينَ. ولكنَّ أماندا واصلَتْ حكايَتَها.

ـ لَمْ يَكُنْ هناكَ كثيرونَ على الشّاطئِ، لكنَّ شاهِدًا رأى ما حَدَثَ. لا بُدَّ من أنَّ الرّيحَ غَدَتْ أعنَفَ لأنَّ الأمواجَ صارَتْ أعلى وأعلى،

وفَجْأَةً بَلَغَت الأسماعَ صَرَخاتُ أطفالٍ من ناحيَةِ الماءِ. دُونَ أن تُلاحِظَ مايكَن شيئاً، كانَ اثنانِ من الأطفالِ المُصابينَ بهشاشَةِ العظامِ قَدْ نَزلا إلى البَحرِ فَأطاحَت الأمواجُ بهما. رَكَضَتْ مايكَن خارِقَةً عُبابَ الماءِ ولكنَّ التَّيّارَ جَرَفَ الطِّفلَينِ مَعَهُ بَعيداً في عَرْضِ البَحرِ فناضَلَتْ حتّى تَصِلَهُما. وحينَ فَعَلَت، كانَ الأوانُ قَدْ فاتَ. فَقَدْ بَقِيا تَحتَ سَطْحِ الماءِ أكثرَ مِمّا يَنبَغي وَغَرِقا.

ـ يا للهَولِ، قالَتْ سيمونا.

نَعَم، بالفعلِ، قالَت أماندا. جَرَّتْ مايْكَن الطِّفلَينِ إلى اليابِسَةِ وأَجْرَت الشُّرْطَةُ بالطَّبْعِ تحقيقاً في الحادِثِ.

ـ لِماذا؟ قالَتْ بيلّي.

ـ لمَعرِفَةِ ما إذا كانت مايكَن قَد قَصَّرَتْ في رعايتها، كما وَرَدَ في التَّحقيقِ. وقَدْ خَلُصوا إلى أنَّهُ لَم يَكُن مفترَضاً بها أبداً أن تَذهَبَ إلى الشّاطئِ وحدَها معَ هذا العَدَدِ منَ الأطفالِ ولكنَّهُمْ تَوَصَّلوا كذلكَ إلى أنَهُ لَمْ يَكُنْ من المُفتَرَضِ بها أن تتَحمّلَ مسؤوليَّةَ العنايَةِ بهِمْ وحدَها مُنذُ البِدايةِ. لذلكَ فَلَمْ تَتِمَّ مُعاقَبَتُها ولِأنَّ الأطفالَ أحبّوها حُبّاً كَبيراً فَقَدْ سُمِحَ لَها بالبَقاءِ في الدّارِ كَمُرَبِّيَةِ أطفالٍ.

جاءَتْ الدُّموعُ مِنْ حَيثُ لا تَدري بيلّي، فَرَمَشَتْ ورَمَشَتْ حتّى تَتَخَلَّصَ منها. ولو أنَّ أماندا رأَتْ أنَّها كانت على وَشكِ البُكاءِ لَتَوَقَّفَتْ عَن الكلامِ.

ـ ماذا حَدَثَ بعدَئذ؟ قالَتْ سيمونا.

نَظَرَتْ أماندا إلى بيلّي بِطَرفِ عَينِها.

ـ لا أدري إذا كُنتُما تَحتَملانِ سَماعَ المَزيدِ.

ـ طَبْعاً! قالَتْ بيلّي وسيمونا مَعاً.

ـ أينَ كُنتُ؟ قالَتْ أماندا. بَلى، لَمْ تُعاقَبْ مايْكَنْ. وعادَتْ إلى عَمَلِها في الدّار مربيةً للأطفالِ، رغمَ أنَّها كانَتْ في أسوَأِ حالٍ حَتْماً بِسَبَبِ ما جَرى. بَدّأَتْ البَلَدِيَّةُ تُفَكِّرُ فيما إذا كانتْ فِكرَةُ إنشاءِ الدّارِ، أصلاً، فِكرَةً صائبَةً حَقّاً ونَشَرَتِ الصَّحيفَةُ مناقَشَةً حَولَ أفضَلِ الحُلولِ لِكَيفِيَّةِ رِعايَةِ الأطفالِ اليتامى. ولكنْ بَعدَ أسبوعٍ واحِدٍ حدَثَ ما غَيَّرَ كُلَّ شيءٍ.

حَبَسَتْ بيلّي أنفاسَها.

ـ لَمْ تَحتَملْ مايكَن أن تَعيشَ مَع كُلِّ ذلكَ الشُّعورِ بالذَّنبِ تِجاهَ الطِّفلَينِ اللَّذَينِ غَرِقا. في إحدى الليالي تَرَكَتْ سريرَها، وخَرَجَتْ إلى

غُرفَةِ المَعيشَةِ وأَنزَلَتْ الثُّرَيّا. وبَعدَئذٍ...

الآنَ عَرَفَتْ بيلّي ما كانَتْ في طَريقِها لِسَماعِهِ فَخَفَقَ قلبُها بِشِدَّةٍ حتّى أنَّ ذلكَ بانَ حَتْماً من تَحتِ قَميصِها.

ـ ... شَنَقَتْ نَفسَها في السَّقفِ، أَتَمَّتْ أماندا. وَجَدَتْها مُديرةُ الدارِ في الصَّباحِ التّالي قبلَ أنْ يَستَيقِظَ الأطفالُ.

أُغلِقَتْ دارُ الأيتامِ بعدَ أسابيعَ قليلَةٍ فَقَطْ وأُرسِلَ الأطفالُ إلى أماكِنَ أُخرى.

وَضَعَتْ سيمونا يَدَها على ذِراعِ بيلّي.

ـ الآنَ عرَفْنا من كانَتْ، تِلكَ التي ماتَت في البَيتِ، قالَتْ بِصَوتٍ خَفيضٍ.

نَهَضَتْ أماندا ووَقَفَتْ.

ـ لَقَدْ حَكَيتُ مِنَ الحوادِثِ الرَّهيبَةِ ما أخشى أن ترَيا بِسَبَبِهِ كوابيساً الليلَةَ، قالَتْ وَبَدا عَلَيها أنَّها تُفَكِّرُ في الذَّهابِ.

ـ كلّا أَبَداً، أَكَّدَتْ بيلّي. نَحنُ مَنْ أرادَ الاستِماعَ. أَتَعرِفينَ ما حَدَثَ لَلبَيتِ بَعدَئذٍ حينَ لَمْ يَعُدْ دارَ أيتامٍ؟

عَبَسَتْ أماندا.

ـ ظَلَّ فارِغاً لِعِدَّةِ أعوامٍ. ثُمَّ انتَقَلَتْ إلَيْهِ عائلَةٌ. ولكِنَّ البَيتَ احتَرَقَ عندَئذٍ.

إذَنْ فالأَمرُ كما قالَتْ إيلّا. أنَّ كُلَّ مَنْ سَكَنَ البَيتَ أُصيبَ بِمكروهٍ.

بَقيَ لدى بيلّي سؤالٌ مُبَرِّحٌ واحِدٌ. لَمْ تَصبِرْ آخرَ الأمرِ على عدمِ تَوْجيهِهِ.

ـ ألَمْ تَسمَعي مِن أحَدٍ إن كانَ في البَيتِ أشباحٌ؟ قالَت وَشَعَرَتْ بِوَجنَتَيها تلتَهِبانِ.

أدارَتْ أمانْدا رأسَها حَتّى تَنظُرَ إلى شيءٍ آخر لا إلى بيلّي وسيمونا، وكأنَّها تَجَنَّبَتْهُما.

ـ بَلى، قالَتْ بِبُطْءٍ. لَقَدْ سَمِعتُ بِذلِكَ. البَعضُ يَقولُ إنَّ مايكَنْ لَمْ تَزَلْ تتَجَوَّلُ في البَيتِ. إنَّهُ لا يُهِمُّ أيُّ نوعٍ مِنَ أنواعِ الثُّريّا يَتِمُّ تَعليقُهُ في صالَةِ الجُلوسِ، فَهيَ سَتَتَمايلُ إلى الأمامِ والخَلفِ وكأنَّ أحدَهُمْ يَتَعَلَّقُ بِها. كما أنَّني سَمِعتُ قِصَّةً أُخرى أيضاً.

عَن المَرأَةِ التي احتَرَقَتْ داخِلَ البَيتِ، فَكَّرَتْ بيلّي.

ولكنَّ ذلكَ لَمْ يَكُنْ ما قالَتْهُ أماندا إطلاقاً.

ـ عَن الطِّفلَيْنِ الزُّجاجِيَّيْنِ اللَّذَيْنِ غَرِقا. أنَّهُما يُريدانِ العودَةَ إلى

مَسكَنِهما ثانيَةً. أنَّهُما لَمْ يموتا بسلام بلْ يُريدانِ الانتقالَ إلى دارِ الأيتامِ وأنَّهُما لِذلكَ يُطارِدانِ كُلَّ مَنْ يَسكُنُ في بَيتِ سبارّيسْفَيغن.

في الثّانيَةِ نَفسِها تَذَكَّرَتْ بيلّي طَبْعَ اليَدِ الذي وَجَدَتْهُ في الغبارِ في أوَّلِ أيامِ انتقالِهما، هي وأُمّها، إلى أوهوس. طَبْعُ اليَدِ الصَّغيرُ، الصَّغيرُ، لِيَدِ طِفْلٍ. وأدركَتْ أنَّهُمْ رُبَّما كانوا على خَطَأٍ في ظَنِّهم. رُبَّما لَمْ تَكُنْ لا مايْكَن ولا المَرأةُ التي احترَقَتْ داخِلَ البَيتِ هيَ الشَّبَحُ. بل هُما الطِّفلانِ اللَّذانِ سَكنا البَيتَ مَرَّةً وها هُما يُريدانِ العَودَةَ إلَيْهِ.

٢٥

كانَتْ قَدْ بَدَأَتْ تُمطِرُ عِندَما رَكَنَ يُوسِفُ السَّيّارَةَ خارِجَ المُسْتَشْفى.

ـ أنتِ شَدِيدَةُ الصَّمتِ، قالَ وَهوَ يُطفِئُ المُحَرِّكَ. كيفَ سارَت الأمورُ اليومَ، هَلْ عَرَفتُمْ شَيئاً عَنْ دارِ الأيتامِ؟

ـ ليسَ كثيراً، قالَت بيلّي مُتَمَلِّصَةً.

راحَت الأفكارُ تَعْدُو كالخُيولِ في رأسِها بَعْدَ كُلِّ ما سَمِعَتْ. يَجِبُ أن تَتَّصِلَ بِعلاءِ الدّينِ فورَ عوْدَتِها إلى البَيتِ. يَجِبُ أن يَتَكَلَّما في كُلِّ ما حَدَثَ وما سَيَفعَلونَهُ الآنَ. حتّى ذلكَ الحينِ لَيسَ في نِيَّتِها أن تَقولَ كَلِمَةً واحِدَةً لِيوسِف، وأقلَّ من ذلكَ لأُمِّها.

كانَتْ أُمُّها أكثرَ نَشاطاً. فَقَدْ جَلَسَتْ في سريرِها تأكُلُ حينَ دَخَلَ يوسِفُ وَبيلّي علَيها، واحتَضَنَتْ بيلّي طَويلاً وَبِقُوَّةٍ. أَحَسَّتْ بيلّي بِقُوَّةِ ذراعَيها المُعتادَةِ وَرأَتْ في نَظرَتِها أنَّها لَمْ تَعُدْ مَريضَةً بالقَدْرِ ذاتِهِ. فَلَم تَكُنْ

مُتعَبَةً وحائرَةً كما كانتْ في الأيّامِ السّابقَةِ. تَكَلَّمَتْ وَضَحِكَتْ عندَما أخبرَها يوسفُ وبيلّي بما فَعلاهُ أثناءَ اليَوم.

ـ يقولُ الطَّبيبُ أنَّ بإمكاني الذَّهابَ إلى البَيتِ في عُطْلَةِ نهايَةِ الأسبوعِ، قالَتْ الأُمُّ وَمَسَحَتْ على وَجنَةِ بيلّي. جَيِّدٌ، أليسَ كذلِكَ؟

ـ مممم، قالَت بيلّي.

في عُطلَةِ نِهايَةِ الأُسبوعِ. قبلَ ذلكَ لا بُدَّ لَها ولعلاءِ الدّينِ وسيمونا من أنْ يَصِلوا إلى الكَيفيَّةِ التي سَتُبْعِدُ بيلّي وأُمَّها عَن البَيتِ. بِطَريقَةٍ ما.

ـ سيكونُ رائعاً أن أنامَ في سَريري، قالَتْ أُمُّها. أنْ أعودَ إلى بَيْتِنا الصَّغيرِ.

ابتَسَمَتْ بحرارَةٍ لِبيلّي التي أُجبِرَتْ على الرَّدِّ بابتِسامَةٍ. قَريباً سَيَتَوَجَّبُ عَلَيْها أن تَتَكَلَّمَ مَعَ أُمِّها بشَأْنِ البَيتِ، إنَّما ليسَ الآنَ وَهُنا.

في السّيّارَةِ في طَريقِ العَودَةِ إلى أوهوس فَكَّرَتْ بيلّي بالأطفالِ الزُّجاجِيّينَ طوالَ الوَقتِ.

ـ واو! قالَ علاءُ الدّينِ عبرَ الهاتِفِ عندَما أكمَلَتْ بيلّي كلامَها. إذَن فالأشباحُ في بَيتِكِ أطفالٌ وليسوا بالِغينَ.

ـ هذا ما يَبدو، قالَتْ بيلّي.

ولكنَّها لَم تَقْوَ على ألّا تَشُكَّ. هَل الأشباحُ موجودَةٌ حَقّاً؟ أَلَمْ يَتَكَلَّموا في هذا الأمرِ وَيَتَوَصَّلوا إلى أنَّها غيرُ موجودَةٍ؟ ولكنْ، إذا لَمْ تَكُنْ موجودَةً فَكَيفَ إذَنْ وَصَلَ طَبْعُ يَدِ طِفلٍ إلى الغُبارِ على الطّاوِلَةِ في غُرفَةِ الضُّيوفِ؟

وافَقَها علاءُ الدّينِ. حالِيّاً، ليسَ لَدَيْهِم تَفسيرٌ أفضَلُ لِكُلِّ ما حَدَثَ سوى أنَّ هناكَ أشباحاً.

ـ رُبَّما نَستَطيعُ أن نُحاولَ الحَديثَ مَعَ الأشباحِ، هذا إنْ وُجِدوا طَبعاً؟ قالَتْ بيلّي على مَهَلٍ. أن نَسألَهُمْ عَمّا يُريدُونَ وما إلى ذلكَ.

ضَحِكَ علاءُ الدّينِ.

ـ يعني، أُمّي تُؤمِنُ بهذهِ الأُمورِ، ولكنَّني أعتَقِدُ أنَّها تُرَّهاتٌ. ماذا يعني أن نتَكَلَّمَ مَعَ الأشباحِ؟ إذا ما كانَ الخَطَأُ خَطَأَ الأشباحِ في أنَّ كُلَّ مَنْ يَنتَقِلُ إلى البَيتِ يُصابُ بِسوءٍ، فلا مَعنى للكلامِ مَعَهُمْ. لأنَّهُمْ والحالُ هذهِ لئيمون لا غَيرَ.

مِن ناحِيَةٍ وافَقَتْهُ بيلّي على ما قالَ، ومن ناحِيَةٍ أُخرى لا. رُبَّما لَمْ يَفْعَلْ الأشباحُ أكثرَ من أفعالِ الأشباحِ المَعروفةِ – الطَّرقِ على النَّوافِذِ،

وطَبْعِ اليَدِ في الغُبارِ وكُلِّ ما إلى ذلكَ - وبقيَّةُ الحوادِثِ كُلُّها لَيسَتْ سوى حوادِث.

ـ هل يُوجَدُ آخرونَ يمكنُنا الحَديثُ مَعَهُم؟ قالَتْ بيلّي. ألا يُفتَرَضُ بِنا أن نُحاوِلَ الوُصولَ إلى الأبِ وابْنِهِ اللَّذَيْنِ نجوا مِن حَريقِ البَيْتِ؟ يبدو أنَّهُمْ كانوا أَوَّلَ مَن انتَقَلَ إلى البَيتِ بَعْدَ إغلاقِ دارِ الأيتام.

ـ ولكِنْ، ما الذي يمكن أن يحكياه؟ قالَ علاءُ الدِّينِ مُشَكِّكاً. رُبَّما ليسا على قَيْدِ الحَياةِ حَتّى.

ـ واضِحٌ أنَّكَ ضَعيفٌ في الحِسابِ. فقَدْ يَكونُ الأبُ مَيْتاً، أو كَبيراً جِدّاً في السِّنِ، ولكِنَّ الصَّبِيَّ يَنبَغي أن يكونَ في السَّبْعِينَ أو الثَّمانينَ مِنْ عُمْرِهِ الآنَ. سبعونَ عاماً ليسَتْ بالكَثيرِ. ليسَ إذا ما كانَ المَرءُ صحيحَ البَدَنِ وقَوِيّاً مثلَ جَدِّها أو جَدَّتِها على سبيلِ المِثالِ. أحياناً فَكَّرَتْ بيلّي في أنَّ هذينِ الاثنينِ يُمكِنُ أن يعيشا أطولَ عُمرٍ مُمكِنٍ.

ـ حَسَناً، ولكِنْ كيفَ سَنَعثُرُ عَلَيْهِ؟ قالَ علاءُ الدِّينِ. حتّى أنّنا لا نَعرِفُ اسمَهُ. نَعرِفُ فَقَطْ أنَّ اسمَ والِدِهِ مانّة لوند.

ـ أستَطيعُ أنْ أَطلُبَ المُساعَدَةَ مِنْ يوسِف، قالَتْ بيلّي.

أَخرَجَتْ نُسَخَ المَقالاتِ التي جاءَتْ بِها مِنَ المَكتَبَةِ. مانّة لوند. إنَّهُ

حَتْماً اسمٌ غيرُ عاديّ.

ـ وكَيفَ يُمكِنُ لِيوسفَ أنْ يُساعِدَنا؟

ـ إنَّهُ يَعمَلُ في الشُّرطَةِ كما تَعلَمُ، وبإمكانِهِمْ عادَةً العُثورُ عَلى مُختَلَفِ الأشخاصِ، قالَتْ بيلّي.

زَحَفَتْ إلى رأسِ سَريرِها وَضَغَطَت الهاتفَ إلى أُذُنِها. انْهَمَكَ يُوسف بِشَيءٍ ما في المَطْبَخِ وَسَمِعَتْهُ يَفتَحُ أبوابَ الخِزاناتِ ويغلقها. لَمْ يَكُنْ أبو بيلّي يَرى أنَّه مِنَ المُمتعِ أن يَطْبُخَ الطَّعامَ أو أنْ يَخبِزَ، ولكِنَّ يوسفَ كانَ مُختَلِفاً. بَدا أشبَهَ بِوالِدِ علاءِ الدّينِ – لا يَكتَفي مِنَ التّواجُدِ في المَطبَخِ أَبَداً. إنْ لَمْ يَعُدْ يوسفُ يَرغَبُ في أن يكونَ شُرطِياً، فَلَرُبَّما يُمكِنُهُ هو أيضاً أن يَفتَتِحَ مَطْعَماً.

ثُمَّ تَنَبَّهَتْ بيلّي إلى أنَّ عَلَيْها أنْ تَتَكَلَّمَ مَعَ شَخصٍ إضافيّ. شخْصٍ لا بُدَّ من أنَّهُ يَعرِفُ قَدْراً لا بَأسَ بِهِ. وعدا ذلكَ فَلَدَيْهِ الكَثيرُ مِمّا يَجِبُ تَوضيحُهُ.

ـ هناكَ شخصٌ آخَرُ، قالَتْ.

ـ مَنْ يا تُرى؟ قالَ علاءُ الدّينِ.

ـ مارتِن.

ـ وَمَنْ هو؟ سألَ علاءُ الدّينِ مُتَعَجّباً.

ـ هو مَنْ أرانا البَيتَ عندما اشترياهُ. ذاكَ الذي كَذَبَ كثيراً.

تَذَكَّرَتْ بيلّي تماماً كَيفَ كانَ يبدو في ذلكَ اليومِ عندَما قابلَهُما أمامَ البَيتِ، وكيفَ صَعَدَ السُّلَّمَ أمامَهُما ودارَ بِهما يريهما المنزلَ. وكَيفَ تَجَنَّبَ الإجابَةَ عَنْ أسئلَةٍ مُعَيَّنَةٍ وَجَّهَتاها لَهُ وكيفَ ناقَضَ نَفسَهُ في كلامِه. هذه المَرَّةَ لَنْ يَتَمَلَّصَ بالسُّهولَةِ نَفسها.

ـ رُبَّما عَلينا أن نَبدَأَ بالحَديثِ مَعَهُ غَداً بَعدَ المَدرَسَةِ، اقتَرَحَ علاءُ الدّينِ. وكذلكَ سنرى إذا كانَ يوسِفُ يستطيعُ مَعرِفَةَ شيءٍ عَن ذلكَ الرَّجُلِ مانَّة أو وَلَدِه.

بَدَت فِكرَةً حَسَنَةً. بَعدَ أن أتَمَّتْ بيلّي الحَديثَ مَعَ علاءِ الدّينِ اتَّصَلَتْ بسيمونا ثُمَّ نَزَلَتْ كي تَتَحَدَّثَ مَعَ يوسِف. وعلى عَكسِ أُمِّها فَلَمْ يَسألْ يوسِف أسئلَةً كثيرَةً ولذلكَ خَجِلَتْ بيلّي عندَما قالَتْ إنَّ علَيها أن تَصِلَ إلى مانّة لوند مِن أجلِ المَدرَسَةِ. كان ذلكَ الشيءَ نَفسَهُ الذي قالَتْهُ في المَكتَبَةِ والمُتحَفِ ولا أحَدَ على ما يَبدو رأى غَرابَةً في الأمر. ولا حَتّى يوسِف، الذي لَمْ يَقُلْ سوى:

ـ دَوّني ما تَعرِفينَ وسوفَ أبْحَثُ عَنْهُ غَداً.

لَمْ يَبْقَ عنْدَئذ غيرُ البَحثِ عَنْ عنوانِ مارتِن. ولَمْ يَكُنْ ذلكَ صَعباً. فَقَدْ حَصَلَتْ أُمُّها على رَقمِهِ وَعُنوانِهِ عندَما انتَقَلَتا وكانت المَعلوماتُ مكتوبَةً على وُرَيقَةٍ مُثَبَّتَةٍ على نَشْرَةِ الحائطِ في المَمَرّ. وفيما جَلَسَ يوسِفُ أمامَ التِّلفازِ تَسَلَّلَتْ بيلّي إلى المَمَرّ وأَخَذَت الوُرَيقَةَ. فَكَّرَتْ ثانِيَةً بأنَّ وقتاً طويلاً قَدْ مَضى مُنذُ آخرِ مَرَّةٍ سَمِعَتْ أو رأَتْ فِيها شَيْئاً غَريباً في البَيتِ. مُنذُ أنْ مَرِضَتْ أُمُّها سادَ الهُدوءُ، وَكأَنَّما رأى الذي أو الّذينَ أخافوا بيلّي أَنَّها تَكْفيها إصابَةُ أُمِّها بِذاتِ السَّحايا.

سَعَتْ نَظرَةُ بيلّي إلى بابِ غُرْفَةِ الضُّيوفِ. كانَ مُغلَقاً. هناكَ في الدّاخِلِ حَدَثَتْ أفظَعُ الأمورِ. وها قَدْ مَضَتْ أيّامٌ كثيرَةٌ على آخرِ مَرَّةٍ دَخَلَتْ فيها بيلّي إلى هناكَ.

مُتَرَدِّدَةً سارَتْ نَحوَ البابِ المُغلَقِ ووَضَعَتْ يَدَها على مِقبَضِ البابِ. لا حاجَةَ بِها إلى الخَوفِ والوقتُ لَمْ يَكُنْ ليلاً ويوسِفُ في الغُرفَةِ المُجاوِرَةِ. مَعَ ذلكَ ارتَعَشَتْ وَهيَ تَفتَحُ البابَ. بِحَذَرٍ دَخَلَت الغُرفَةَ. رائحَةُ الأماكِنِ المُغلَقَةِ ملأَت الغُرفَةَ.

أطلَقَتْ نَفسَها المحبوسَ عندَما أشعَلَتْ الضوءَ ورأَتْ كُلَّ شيءٍ على ما يُرامُ. حتّى الطّاوِلَةُ الصَّغيرَةُ التي أعجَبَتْها كثيراً في البَدْءِ، بَدَتْ كما

يَجبُ. لا رسائلَ ولا طَبْعَ أَيْدٍ.

ثُمَّ نَظَرَتْ إلى النّافذَةِ وَتَجَمَدتْ تَماماً حَيثُ وَقَفَتْ. أكثَرَ مِن مَرَّةٍ أَجْبَرَتْ نَفسَها على أن تُغمِضَ عينَيها وَتَفتَحَهُما ثانيَةً. صارَتْ تَلهَثُ خَوفاً وتَعَجُّباً.

لَوحُ إطارِ النّافذَةِ لَمْ يَكُنْ خاوِياً. فَهُناكَ كانَ ما لا يُفتَرَضُ وُجودُهُ هناكَ.

لَقَدْ وَضَعَ أَحَدُهُمْ الطِّفلَينِ الزُّجاجِيَّينِ عِنْدَ النّافذَةِ.

٢٦

هَبَّت الرِّيحُ عَنيفَةً بينَما جَلَبَتْ بيلّي دَرّاجَتَها وانطَلَقَتْ إلى بَيْتِ علاءِ الدّينِ بَعدَ المَدرسَةِ في اليومِ التّالي. انتَظَرَها عندَ الرَّصيفِ أمامَ البَيتِ والخارِطَةُ في يَدِهِ.

ـ إنَّهُ قريبٌ، قالَ. يستَغرِقُ الأمرُ بِضعَ دقائقَ بالدّرّاجَةِ إلى هناكَ.

راقَ سَماعُ ذلِكَ لِبيلّي فقَدْ بَدَت السَّماءُ رَماديَّةً مُنذِرَةً بِجَوٍّ مُريعٍ والمَطَرُ كانَ على وشَكِ الهُطولِ في أيَّةِ لَحظَةٍ.

ـ هَلْ تَكَلَّمْتِ مَعَ يوسِف؟ قالَ علاءُ الدّينِ. هَلْ وَجَدَ مانَّة لوند وَوَلَدَهُ؟

ـ لا أَعرِفُ، قالَتْ بيلّي. أنوي الحَديثَ مَعَهُ عندَما يَعودُ إلى البَيْتِ مِن عَمَلِه.

على أَنَّها لَمْ تُرِدْ أن تَذكُرَ الطِّفْلَيْنِ الزُّجاجِيَّيْنِ. لَمْ تُخبِرْ أحداً بِشأنِهِما سوى علاءِ الدّينِ وسيمونا، فاحتِمالُ عَدَمِ تَصديقِها كانَ كبيراً.

شَعَرَتْ بيلّي بتأنيبِ الضَّميرِ لأنَّها استَقَلَّت الباصَ إلى أوهوس مُباشَرةً بَعدَ المَدْرَسَةِ بَدَلَ أنْ تَذْهَبَ أوَّلاً لِتَزورَ أُمَّها كعادَتِها. ولكنَّ البَيْتَ خَطيرٌ، كانَ الأمرُ بِهذهِ البَساطَةِ. ولذلكَ فَلا بُدَّ لِبيلّي من أن تَعرِفَ كُلَّ ما بالإمكانِ مِعرِفَتُهُ حتّى تستَطيعَ إقناعَ أُمِّها بِوُجوبِ انتقالِهما.

سَكنَ مارتِن بَيتاً خَشَبيّاً أبيَضَ ذا عُقَدٍ حَمراءَ. وما إنْ دَخَلَتْ مَعَ علاءِ الدّينِ إلى فِناءِ البَيتِ، حتّى سَقَطَتْ أولى قَطَراتِ المَطَرِ. عَجَّلا بِرُكْنِ دَرّاجَتَيْهِما وَرَكَضا نَحوَ الشُرفَةِ أمامَ البَيتِ ودَقّا الجَرَسَ.

دَقّا مَرَّةً واثنَتَينِ. هَطَلَ المَطَرُ بِغَزارَةٍ على السَّقفِ وبَدَأَتْ بيلّي تَرتَعِدُ بَرداً تحتَ سُترَتِها الصَّيفيَّةِ.

ـ ماذا لو أنَّهُ لَم يَكُنْ في البَيتِ، قالَ علاءُ الدينِ.

ـ لا بُدَّ من أَنْ يكونَ هُنا، قالَت بيلّي وَطَرَقَت البابَ بِقُوَّةٍ.

عندَئذٍ سَمِعا وَقْعَ خُطىً في الجانِبِ الثاني. انْتَظَرا بأعصابٍ مشدودةٍ بينَما كانَ أحَدُهُم يَعبَثُ بالقُفلِ. فُتِحَ البابُ على مَهَلٍ فَظَهَرَ مارتِن.

رغمَ أنَّ بيلّي لَمْ تَرَهُ مُنذُ ذلكَ اليَومِ الذي أطلَعَها وأمَّها فيهِ على البَيتِ، فَقَدْ تَعَرَّفَتْ عَلَيهِ فوراً. ولكنَّهُ بَدا مُتْعَباً جِدّاً. ثُمَّ هل كانَ حَقّاً كبيراً في السِّنِّ هكذا عندما رأتْه آخرَ مَرَّةٍ؟ لا بُدَّ من أنَّهُ كانَ كذلكَ

طَبْعاً، ولكِنَّ بيلّي رأَتْ أنَّهُ يَبدو أكبَرَ عُمْراً الآنَ.

نَظَرَ مارتِن إلَيْها بعَينَين خاوِيَتَين وأومَأَ ببُطءٍ.

ـ أنتِ أعرفُكِ، قالَ. كيفَ الحالُ في البَيت؟

ـ بخَير، شُكراً، قالَت بيلّي. هذا صَديقي علاءُ الدّين. نَرجو أنْ يكونَ لَدَيكَ بعضُ الوقتِ للحَديثِ مَعَنا قليلاً.

ألقى علاءُ الدّين التَّحيَّةَ بأَدَبٍ وصافَحَهُ وَتراجَعَ مارتِن خُطْوَةً.

ـ بَلى، أَظُنُّ أنَّ لَدَيَّ وَقتاً، دائماً، قالَ. ادْخُلا.

كانَ بَيتُ مارتِنْ يُذَكِّرُ بِبَيتِ بيلّي وأُمِّها. غُرَفٌ صغيرةٌ مُوَزَّعَةٌ على طابِقَيْن. لكِنَّ لَدى مارتِنْ ورَقَ جُدرانٍ جَميلاً وأثاثاً أَحْدَثَ.

ـ كيفَ سارتْ أمورُكُمْ؟ قالَ مارتِن. هل بِعتُمْ بَيتَكُمْ في المَدينَةِ؟

ابتَلَعَتْ بيلّي رِيقَها.

ـ ليسَ بَعدُ. فَقَدْ كانَ الوقت صَيفاً، وتَعْرِفُ.. ولكنَّ السِّمسارَ يعتَقِدُ أنَّ الأمورَ سَتَتَحَسَّنُ قريباً.

لَمْ تَرغَبْ، حقيقَةً، في قولِ شيءٍ آخرَ عَدا أنَّهُما لا تُريدانِ بَيعَ بَيتِ المَدينَةِ لأنَّهُما سَتَتْرُكانِ أوهوس ولَنْ تَعيشا فيها مَرَّةً أُخرى أبَداً. ولكِنَّها

عِوَضاً عَنْ ذلِكَ تَبِعَتْ مارْتِن إلى غُرفَةِ الجُلوسِ حَيثُ جَلَسوا حولَ طاوِلَةِ طَعامٍ كبيرَةٍ. لَمْ تَرَ بيلّي صوَراً فوتوغرافيَّةً لِزَوجَةٍ أو أطفالٍ فأحزَنَها ذلكَ. بَدا مارتِن في عُمْرِ جَدِّها وَجَدَّتِها لأبيها اللذَينِ كانا سيَشعُرانِ بوِحدَةٍ فَظيعَةٍ لَوْ لَم يكونا مَعاً.

ـ ما الذي أرَدْتُما أن تَسألا عَنهُ؟ قالَ مارتِن.

نَظَرَ علاءُ الدّينِ إلى بيلّي.

ـ لَدَينا بِضعَةُ أسئلَةٍ عن البَيتِ الذي نَسكُنُ فيهِ أنا وماما، قالَتْ بيلّي بِصوتٍ رَقيقٍ.

ـ حَسَناً؟ قالَ مارتِنْ وَبَدا غاضباً فَجأَةً.

مالَ بِجلسَتِهِ إلى الوراءِ وعَقَدَ ذِراعَيْهِ على صَدرِهِ، وَهوَ ما رأَتْ بيلّي العَديدَ مِنَ البالِغينَ يفعلونَهُ حينَ يكونونَ مُنْزَعِجينَ.

ـ وما الذي تتساءلونَ عَنْهُ؟ قالَ.

فَجْأَةً سَادَ إحساسٌ بأنَّ كُلَّ شيءٍ كانَ خَطَأً. ما الذي يَفعلانِهِ هُناكَ؟

ـ بَلى، قالَت بيلّي بصوتٍ أخفض. نحنُ نَتساءلُ لماذا لَمْ تَرغَبْ عوائلُ كثيرةٌ في البقاءِ في البَيتِ؟

تَعَجَّبَتْ هيَ نَفسُها عندَما سَمِعَتْ صوتَها وَهيَ تُوجّهُ سؤالاً شُجاعاً كهذا. في صُلبِ المَوضوعِ، كما كانَ والدُها لِيَقولَ.

نَظَرَ مارتِن طَويلاً إلَيها قَبلَ أن يُجيبَ.

ـ ماذا تَعنينَ؟ قالَ.

عَرِقَ كَفّا بيلّي فَمَسَحَتْهُما بِالبِنطالِ الجينزِ الذي كانت تَرتَديهِ. لِماذا يُعَقّدُ الأمْرَ هكذا؟

ثُمَّ استَجْمَعَتْ شَجاعَتَها مِن جَديدٍ.

ـ العائلَةُ السّابقَةُ سَكَنَت البَيتَ ما يُقارِبُ عاماً واحِداً وقَدْ عَرَفْنا أنَّ عوائلَ أُخرى كثيرَةً فَعَلَتِ الشيءَ نَفسَهُ. أعني أنَّها انتَقَلَتْ من البَيتِ بَعدَ أن سَكَنَتْهُ فَترَةً قصيرَةً.

ـ وقَدْ سَمِعنا أيضاً أنَّ العَوائلَ انتَقَلَتْ لأنَّها تَعَرَّضَتْ للأذى في البَيتِ، قالَ علاء الدّينِ بِنَبرَةٍ مُشاكِسَةٍ.

تَنَهَّدَ مارتِن.

ـ حَقّاً، أهذا ما سَمِعتُماهُ؟

لَوَّحَ بِيَدَيْهِ وتَنَهَّدَ ثانِيَةً، وكأنَّهُ رأى ما قالاهُ سَخيفاً إلى أبْعَدِ حَدٍّ.

ـ لَقَدْ سَمِعْتُ أنا أيضاً إشاعاتٍ كثيرَةً عنْ بَيتِ سبارّيسفَيْغَن، ولكنّني

بِصَراحَةٍ لَمْ أُصَدِّقْها. فالناسُ يَنتَقِلونَ لِمُختَلَفِ الأسباب. ولا يبدو الاعتقادُ بأنَّ في البَيتِ خَطَأً ما سوى نوعٍ منَ العَبَث.

لكِنَّ بيلّي لَمْ تَنوِ الاستِسلامَ. فهي تَعرِفُ أنَّ مارتِن كَذبَ بِشأنِ الكثيرِ من الأمورِ.

ـ كَمْ كانَ قَدْ مضى على خُلُوِّ البَيتِ مِنَ السُّكّانِ عندَما انتَقَلنا أنا وأمّي إلَيْهِ؟ قالَت.

ـ عامٌ واحدٌ، تَماماً كما قُلْتُ آخرَ مَرَّةٍ سَأَلْتِني، قالَ مارتِنْ بِهُدوءٍ.

ـ ولكِنَّ ذلكَ غيرُ صَحيحٍ، قالَتْ بيلّي وَلَمْ تَستَطِعْ مَنْعَ نَفسِها مِنَ الغَضَبِ. لَقَدْ تَكَلَّمنا معَ آخرينَ سواكَ ونعرِفُ أنَّهم انتَقَلوا قبلَ عامَين.

لَمْ يَقُلْ مارتِنْ حَرفاً واحِداً، جلَسَ عندَ الطّاوِلَةِ مُحَدِّقاً فيهما فَقَطْ.

ـ نَعرِفُ أنَّكَ كَذَبتَ بِشأنِ الأثاثِ أيضاً، قالَ علاءُ الدّين. قُلتَ إنَّهُ أثاثُ المالِكينَ السّابقينَ ولكِنَّهُ ليسَ كذلكَ إطلاقاً. ذلكَ الأثاثُ قَديمٌ جِدّاً.

انتَظَرَتْ بيلّي أنْ يَستَسلِمَ مارتِنْ ويَعتَرِفَ بأنَّهُ لَمْ يَقُلْ الحَقيقَةَ لَهُمْ. وفي أفضلِ الأحوالِ فسوفَ يُخبِرُهُما أيضاً عَنْ سَبَبِ كَذِبِه. ولكِنَّهُ لَمْ يَقُلْ شَيئاً، بَلْ بَدا الغَضَبُ عليهِ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ. رأَتْ بيلّي أنَّهُ أطْبَقَ قَبضَتَيهِ

بشِدَّةٍ حتّى ابيَضَّت مفاصلُهما. ثُمَّ زَمجَرَ:

ـ اغْرُبا عَنْ بَيْتي مع هذه التَّخَيُّلاتِ. ورَغمَ أنَّهُ لَم يَصْرُخْ فَقَدْ عَرَفَت بيلّي أنَّ عليهما أن يُعَجِّلا إن أرادا ألّا يَنْفَجِرَ في وَجْهَيهِما.

نَهَضَتْ هيَ وعلاءُ الدّينِ مَعاً وهَرْوَلا نَحوَ البابِ. مِنْ خلفِهِما سَمِعا صوتَ مارتن صارِخاً:

ـ اغْرُبا! اغْرُبا كَيْ أنالَ راحةَ البالِ!

لَم يحدُثْ أبداً أن قادا درّاجَتَيْهِما بهذهِ السُّرعَةِ سابقاً. لَمْ يَتَوَقَّفا قبلَ بُلوغِهِما بَيتَ بيلّي. هَطَلَ المَطَرُ بِغَزارَةٍ ولكِنَّهُما لَم يأبَها بذلكَ.

ـ يا إلهي، قالَ علاءُ الدّينِ عندَما تَوَسَّدا الأريكَةَ في غُرفَةِ الجُلوسِ كُلّاً تَحتَ بَطّانِيَّةٍ. أكانَ هذا مَن اشتَرَيتُما مِنْهُ البيتَ؟ يَبدو أنَّهُ بلا عَقْلٍ!

كَلّا، بإمكانِ بيلّي أن تَتَّفِقَ مَعَهُ تَماماً على ذلكَ. كَمْ خافَتْ عندَما بَدَأَ بالصُّراخِ. لِماذا فَعَلَ ذلكَ؟ لِماذا لَمْ يَتَكَلَّمْ بِبَساطَةٍ مَعَهُما، فيخبِرُهُما بِما يَعرِفُ؟ لأنَّهُ يَعرِفُ شيئاً حَتماً، وبيلّي مُتَأَكِّدَةٌ مِنْ ذلكَ.

ـ لا أَعرِفُ لماذا وَثِقَتْ ماما بِهِ، غَمْغَمَتْ تَحتَ بَطّانِيَّتِها. لَمْ أُحِبَّهُ.

عَدَّلَ علاءُ الدّين جلسَته بالصُّعودِ وإرخاءِ رأسِه على مِسنَدِ الظَّهرِ.

ـ أتمنّى أن يكونَ الأمرُ أفضَلَ عندَما نَتَحَدَّثُ مَعَ مانّة لوند، قالَ.

ـ لا أعتَقِدُ أنَّ ذَلِك سيكونُ أتعَسَ على أيَّةِ حالٍ، قالَت بيلّي وبَدَأَتْ تَضحَكُ.

تَحَوَّلَتْ الضِّحكَةُ إلى قَهقَهَةٍ فأصابَتْ علاءَ الدّينِ بعَدْواها. ضَحكا حَتّى اللُّهاثِ حينَ تَذَكّرا كيفَ أنَّهُما ذَهبا إلى بَيتِ رَجُلٍ لا يَعرِفانِه وحاوَلا جَعلَهُ يبوحُ بأسرارِهِ لَهُما.

وَقَدْ ضَحِكا بِصَوتٍ عالٍ حَتّى أنَّهُما لَمْ يَسمَعا يوسِفَ حينَ أَدْخَلَ المِفتاحَ في القُفلِ وَدَخَلَ البَيتَ.

ـ مَرْحباً، قالَ وابتَسَمَ حينَ رآهُما على الأريكَة.

شَعَرَ علاءُ الدّينِ وَبيلّي بالمُفاجَأَةِ حَتّى أَنَّهُما تَوَقَّفا عَن الضَّحِكِ.

خَرَجَ يوسِفُ إلى المَطْبَخِ حاملاً كيسَ طَعامٍ.

ـ هَلْ سَتبقى لِتَناوُلِ العشاءِ مَعنا اللَيلَةَ؟ قالَ لِعلاءِ الدّينِ.

ـ بِكُلِّ سُرورٍ، قالَ علاءُ الدّينِ.

لقَدْ قَرَّرا مُسبَقاً أنَّهُ في حالِ كَونِ يوسف قدْ حَصَلَ على رَقمِ هاتِفِ مانَّة لوند أو وَلَدِهِ فسَيَتَّصِلانِ بِهِ في الليلَةِ نفسِها.

تَعَثَّرَتْ بيلّي حينَ اندَفَعَت إلى يوسف في المَطبَخِ والبَطّانِيَّةُ تَلُفُّ جَسَدَها.

ـ هلْ وَجَدْتَهُ؟ سَأَلَتْ. أعني مانّة لوند. هَل هوَ حَيّ؟

وضَعَ يوسف عَلبَةَ حليب في الثَّلّاجَة.

ـ أعتقِدُ ذلكَ، قالَ. لَمْ يَكُنْ هناكَ كثيرونَ بهذا الاسم وهذه السِّنّ. جلَبْتُ مَعي رَقمَ الهاتف والعُنوانَ. أمّا إذا كانَ لَهُ أبناءٌ وما هي أسماؤهم، في تلكَ الحال، فهذا أمرٌ لَمْ أستَطِع الوصولَ إلَيْهِ مَعَ الأسَف.

جَهِدَتْ بيلّي ألا تَبدو في غايَةِ الفَرَح وهو يُخرِجُ وُرَيقَةً مِنْ جَيبِ بِنطالِه.

ـ رائع، شُكراً! قالَت.

وَمانّةُ هذا، الذي عَثَرَ عَلَيْهِ يوسف، ساكِنٌ في مالمو وعُمرُهُ يناهِزُ المائةَ عام.

ـ ضَعي في الحُسبانِ أنَّه قَد لا يكونُ الشَّخصَ الصَّحيحَ عِندَما تَتَّصِلينَ بِهِ، حَذَّرَها يُوسِف. فَمِنَ المُحتَمَلِ جِدّاً أن يَكونَ مانَّة الذي تَبحثينَ عنْهُ مَيتاً.

أدركَتْ بِيلّي ذلكَ، ولكِنَّ شُعوراً قَوِيّاً غالَبَها بأَنَّهُمْ عَثَروا على

ضالَّتِهم. لَقَدْ سَكَنَ مانَّة لوند بيتَها، ولا بُدَّ مِنْ أَنَّهُ يَعرِفُ الكثيرَ. أَملَتْ فقَطْ أَلّا يكونُ مُعَمّراً إلى الحَدِّ الذي يَجعَلُهُ خَرِفاً أو مُربَكاً. فَعندَئذٍ لَنْ يكونَ لَدَيه الكثيرُ لِيَحكِيَهُ.

ـ سنأكُلُ خلالَ نِصفِ ساعَةٍ، قالَ يوسِف. استَعيني بِعلاءِ الدّينِ وهيّئا المائدَةَ.

فَعَلَتْ بيلّي ما طُلِبَ مِنها. الطَّعامُ أولاً ثُمَّ الاتّصالُ بِمانَّة. أَملَتْ بِيلّي أَنَّهُم بَعدَئذٍ سَيَعرِفونَ ما يحتاجونَهُ لإقناعِ أُمِّها بضَرورَةِ انتقالِهما. فالوَقتُ يوشِكُ أنْ يُداهِمَهُم.

بَعدَ زيارَتِها لِبَيْتِ مارتِن كانَتْ بيلّي مُتَأَكِّدَةً من الأمرِ: في البَيتِ شيءٌ خَطيرٌ ولا بُدَّ مِنْ وُجودِ أَحَدٍ يَعرِفُ السِّرَّ وراءَ كُلِّ ما يَجْري.

٢٧

ـ الأطفالُ الزُّجاجيُّونَ، قالَ علاءُ الدّينِ.

كانا قَدْ التَهَما طَعامَهُما وصَعِدا ركضاً إلى غُرفَةِ بيلّي حيثُ جَلَسا يَتَحَدَّثانِ بِصَوتٍ خَفيضٍ.

ـ أتَعتَقِدُ أنَّ كُلَّ ما يَجري سَبَبُهُ الطِّفلانِ الزُّجاجيّانِ اللَذانِ ماتا؟ قالَتْ بيلّي.

ـ نَعَم، وتِلكَ التي شَنَقَتْ نَفسَها في غُرفَةِ الجُلُوسِ، مايكَن، قالَ علاءُ الدّينِ.

ـ ولكِنْ ماذا يُريدونَ؟

ـ مَن؟

ـ الأشباحُ.

عَبَثَتْ أصابِعُ علاءِ الدّينِ بِكتابٍ مَوضوعٍ على الطاوِلَةِ المُحاذِيَةِ للسَّريرِ.

ـ ماذا لو لَمْ تَكُنْ هناكَ أشباحٌ، قالَ علاءُ الدّينِ على مَهَلٍ.

فاحتارَتْ بيلّي.

ـ ظَنَنتُ أنَّكَ تَعتَقِدُ أيضاً أنَّ الأشباحَ هيَ التي تُسَبِّبُ المشاكِلَ كُلَّها. لَقَدْ قُلتَ ذلكَ منذُ ثانِيَتَينِ تَقريباً.

فَهَزَّ علاءُ الدّينِ رَأسَهُ وَقالَ:

ـ أعتَقِدُ أنَّ كُلَّ ما يَحدُثُ مُتَعَلِّقٌ بالطِّفلَينِ الزُّجاجِيَّيْنِ ومايْكَن. أمّا مسألَةُ الأشباحِ هذهِ فأشُكُّ. أعني، لَقَدْ فَكَّرتُ كثيراً بها منذُ أخبَرتِني عَنِ التِّمثالَينِ الزُجاجِيَّينِ اللذَينِ وُضِعا عِندَ النّافِذَةِ. أهذا حقّاً مِمّا تَفعَلُهُ الأشباحُ؟

ـ ولكِنْ مَن تُراهُ يَكونُ إذَن؟ قالَتْ بيلّي بنَبرَةٍ أعلى مِمّا قَصَدَتْ. مَنْ الذي يستَطيعُ الدُّخولَ هنا دُونَ أن نُلاحِظَ ذلكَ ويفعَلُ أشياءَ غريبةً كَإخراجِ المَجَلّاتِ، وتَرْكِ الرّسائِلِ وَوَضْعِ تماثيلِ الزُّجاجِ؟

ـ شَخصٌ لَدَيْهِ مفتاحٌ. كما فَكَّرنا مُنذُ البِدايَةِ حينَ لَمْ يَعْتَقِدْ أحَدٌ منّا بالأشباحِ.

ـ ومَنْ يَكونُ يا تُرى؟

ـ فَكّري جَيِّداً. إنَّهُ بَيتٌ قَديمٌ سَكَنَهُ كَثيرٌ مِنَ النّاسِ. هَل غَيَّرتُما القُفلَ عندَما انتَقَلْتُما؟

هَزَّتْ بيلّي رأسَها. كلّا، لَمْ تَفعَلا ذلكَ.

ـ إذَنْ أنتَ تَعني أنَّ أحَدَ المالِكينَ السّابقينَ قَد احتَفَظَ بِمفتاحٍ ويَتَسَلَّلُ إلى هنا ليلاً ونهاراً كي يُخيفَني؟ قالَتْ بيلّي مُشَكِّكَةً.

صارَ علاءُ الدّينِ جادّاً.

ـ هل إنَّ وُجودَ شَبَحٍ أقربُ للتّصديقِ؟ قولي بِصراحَةٍ، يا بيلّي. أتُصَدِّقينَ هذا الكلامَ؟

أشاحَتْ بيلّي بِنَظْرَتِها. لَمْ تَعُدْ تَعرِفُ ما الذي تُصَدِّقُهُ.

بَدا مِنْ صوتِ مانَّة أنَّهُ مُسِنٌّ فِعلاً. اضطُرَّتْ بيلّي أحياناً إلى ضَغْطِ السَّمّاعَةِ بِشِدَّةٍ على أُذُنِها كي تَسمَعَ ما يَقولُ. ولكِنَّهُ لَمْ يُعطِ انطِباعاً بالارتِباكِ إطلاقاً، بلْ بَدا مِن نَبرَتِهِ أنَّهُ سَعيدٌ لأنَّ أحَداً ما اتَّصلَ بِهِ.

ـ يا لهذا البَيتِ الذي لا يَزالُ مَجلَبَةً لِتَعاسَةِ النّاس، قالَ مُتَنَهِّداً عندَما أخبَرَتْهُ بيلّي بِسَبَبِ اتِّصالِها.

نَظَرَتْ بيلّي إلى علاءِ الدّينِ الذي جَلَسَ قُربَها على السَّريرِ مُحاوِلاً أنْ يَسْمَعَ ما يقولُهُ مانّة. كانا قَدْ أغلَقا بابَ غُرفَتِها كيْلا يُزعِجَهُما أحَدٌ.

ـ قَرأتُ في صَحيفَةٍ قَديمَةٍ أنَّ حريقاً انْدَلَعَ في البَيتِ مَرَّةً، بَدَأَتْ بيلّي بِحَذَرٍ.

لَمْ تَعرِفْ كيفَ سيكونُ رَدُّ فِعْلِ الرَّجُلِ العَجوزِ. رُبَّما حَزِنَ حُزناً شَديداً حينَ ذُكِّرَ بالحَريقِ.

ـ هذا صحيحٌ، قالَ. ماتَتْ زَوجَتي عندَئذٍ. ولكِنَّنا، أنا ووَلَدي، نَجَونا.

لَمْ يَبْدُ مِنْ نَبرَتِهِ أَنَّهُ مُضطَرِبٌ، فجَرُؤَتْ بيلّي على توجيهِ أسئلَةٍ أكثَرَ. رُبَّما مَضى زَمَنٌ طويلٌ جِدّاً على ما حَدَثَ بِحَيثُ لَمْ يَعُدْ الحَديثُ عَنهُ مؤلِماً.

ـ ماذا حَدَثَ لِلبَيتِ بَعدَ احتراقِهِ؟ سألَتْهُ.

تَنَهَّدَ مانَّة. كانَ حزيناً قليلاً رَغمَ كُلِّ شيءٍ.

ـ انتَقَلنا أنا والصَّبِيُّ إلى مالمو. لَمْ أستَطِعْ تَحَمُّلَ نَفَقاتِ بَيتِنا في أوهوس لذلكَ بَقيَ على حالِهِ. اشتَكى الجيرانُ كثيراً طَبْعاً. لَمْ يَرْغَبوا في وُجودِ بَيتٍ مَحروقٍ في الجِوارِ، ولكِنَّني لَمْ آبَهْ بِذلِكَ.

ـ إذَنْ فَقَدْ بعتَ البَيتَ؟ قالَتْ بيلّي.

ـ كَلّا، لَمْ أَفعَل. تَركتُهُ على حالِهِ أكثرَ منْ خمسةَ عَشَرَ عاماً بَعْدَها انتَقَلَ وَلَدي إلى أوهوس كي يُصبِحَ صيّادَ أسماكٍ. وقَدْ حَصَلَ على البَيتِ مُقابلَ إصلاحِهِ وَتَرْميمِ أَجزائِهِ التي تَضَرَّرَتْ بِفِعْلِ الحَريقِ.

إذَنْ فَقَد احتَرَقَ البَيتُ وبَقيَ بَعدَئذٍ على حالِه خَمسَةَ عَشَرَ عاماً حتّى تَعَفَّنَ قبلَ أنْ يأتي أَحَدٌ لِيَهتَمَّ بِهِ. لَو أنَّ بيلّي كانتْ شَبَحاً لأغضَبَها ذلكَ هيَ الأُخرى.

ـ هلْ سَكَنَ ابنُكَ البَيتَ أم باعَهُ؟ سَأَلَتْهُ.

لِأَوَّلِ مَرَّةٍ سَمِعَتْ بيلّي كَيفَ تَرَدَّدَ مانَّة عندَما أرادَ الإجابَةَ. أخيراً قال:

ـ باعَهُ. لكِنْ... كما تَرَيْنَ، وَلَدي لَمْ يَعُدْ هُوَ نَفسُهُ بَعدَ الحَريقِ. فَرَغمَ أَنَّهُ كانَ صغيراً جِدّاً حينَ ماتَتْ أُمُّهُ، إلا أنَّهُ أُصيبَ بِشَيءٍ مِنَ الخَبَلِ تِلْكَ اللَيلَةَ على الأغلب. إنَّهُ يَظُنُّ حتّى الآنَ أنَّ البَيتَ مَسكونٌ، أقصِدُ أنَّ الأشباحَ تَسكُنُهُ.

فَكَّرَتْ بيلّي في أنَّهُ ليسَ الوَحيدَ الذي يُفَكِّرُ هكذا.

ـ هل تَحَدَّثَ عنْ أطفالٍ مَيِّتينَ أيضاً؟ سألَتْهُ.

ـ أنتِ تَعنينَ أولئكَ الّذينَ دعاهُم النّاسُ بالأطفالِ الزُّجاجيّينَ، تَحديداً الطِّفلَينِ اللَذَينِ غَرِقا؟ قالَ مانّة. بَلى، لَقَدْ تَحَدَّثَ عَنْهُما. ادَّعى أَنَّهُما لا يُريدانِ أن يَسكُنَ البَيتَ أَحَدٌ، وأَنَّهُما مَنْ أشْعَلَ النّارَ في البَيتَ. ولكنْ. هذا كلامٌ فارِغٌ. احتَرَقَ البَيتُ لأنَّني أَهمَلتُ النّارَ في

المَوقِد تلكَ اللَيلَةَ. أما الطِّفلانِ اللذانِ ماتا...

انتَظَرَتْ بيلّي حابِسَةً أَنفاسَها.

ـ حَسناً، ماذا سأقول عن ذلك؟ لَقَدْ كانَ مَوتُهُما حادثَةً رَهيبَةً، أمّا أن نَتَكَلَّمَ عنْ أَنَّهُما ما زالا هُنا في عالَمِنا، عندَنا نَحنُ الَّذينَ نَتَنَفَّسُ ونَعيشُ، كلّا، أنا لا أُؤمِنُ بِذلكَ.

هذا الكلامُ يَعْني أَنَّهُما صارا خَبيثَينِ بَعدَ مَوتِهِما وهذا بِبَساطَةٍ أمرٌ مِنَ الغَباءِ بِمكانٍ بِحَيثُ لا يُمكِنُ تَصْديقُهُ.

كَمْ بَدا ذلكَ الكلامُ حكيماً عِندَما قالَهُ مانَّة. كيفَ يُمْكِنُ لِطفلَينِ أن يُصبِحا لَئيمَينِ بَعدَ مَوتِهِما؟ لِماذا يَتَسَبَّبانِ في مَرَضِ النّاسِ وَتَعاسَتِهِم لِمُجَرَّدِ أَنَّهُما يُريدانِ البَيتَ لِنَفسَيْهِما. إنَّ ذلكَ، تَماماً كما قالَ مانَّة، تَفكيرٌ في مُنتَهى الغباءِ.

بَدَأتَ نَبْرَتُهُ توحي بالتَّعَبِ. أَدرَكَتْ بيلّي أنَّها ليسَ لَدَيْها الكثيرُ مِنَ الوَقتِ مَعَهُ. فَعَمّا قَليلٍ سَيرغَبُ في إنهاءِ الاتّصالِ.

ـ إذا لَمْ يَكُنْ لِلطِّفلَينِ شَبحانِ يسكنانِ البَيتَ، فَما السَّبَبُ في تَعَرُّضِ الكثيرينَ لِحَوادِثَ في هذا البَيتِ؟ سَألَتْهُ.

لا لأنَّ بِإمكانِ مانَّة أنْ يَعرِفَ ذلكَ، ولكِنَّ ما يُمكِنُ أن يَراهُ في هذا

الشأنِ أمرٌ مثيرٌ للاهتمام.

وَصَلَها سُعالُ مانّة عِبرَ السَّمّاعَةِ وَلِوَهلَةٍ ظَنَّتْ بيلّي أنَّهُ لَنْ يُجيبَ. أخيراً قال:

ـ يُقالُ إنَّ تلكَ المَرأَةَ الّتي شَنَقَتْ نَفسَها تَدُورُ هيَ الأخرى هُناكَ، وأنَّها كذلكَ تُجْبر النّاسَ على الرَّحيلِ. ولكِنَّني لا أُصَدِّقُ هذا الكلامَ كذلكَ. أعتَقِدُ أنَّها صُدَفٌ، أعني أنَّها أشياءٌ حَدَثَ أنَّها وَقَعَتْ فَقَطْ. وَلَدي العَزيزُ لا يَزالُ خائفاً مِن البَيتِ الذي تَسكنينَهُ، ولكِنَّ ذلكَ مُجَرَّدُ هُراءٍ. فلا يوجد هناك ما يُخيفُ. خُصوصاً لِمَنْ لا يَعتَقِدُ بالأشباحِ وأنا مِن هؤلاءِ.

تَحَمَّسَتْ بيلّي.

ـ إذَنْ فابنُكَ لَمْ يَزَلْ يَخافُ البَيتَ؟ قالَت. أيَعني هذا أنَّهُ انتَقَلَ مِنْ أوهوسْ أم أنَّهُ لَمْ يَزَلْ يَعيشُ فيها؟

ـ أوه، إنَّهُ لَنْ يَنتَقِلَ مِنها أَبَداً، قالَ مانَّة. إنَّهُ مُتَقاعِدٌ الآنَ، ولكِنَّهُ لا يُغادِرُ أوهوس. لَنْ يُثيرَ عَجَبي لو عَرَفتُ أنَّهُ لَمْ يَزَلْ يُراقِبُ البَيتَ مِن بَعيْدٍ، لِهَوَسِهِ المَعهودِ بِهِ.

ـ ماذا تَعني بِهذا؟ قالَتْ بيلّي.

سَمِعَتْ سُعالاً جَديداً على الهاتفِ وماءً يَجري في الخَلفيَّةِ. لا بُدَّ من أنَّ مانّة أرادَ أن يَشرَبَ قليلاً لِيتَخَلَّصَ مِنْ سُعالِه.

ـ كما قُلتُ لَكِ، فَقَدْ أصبَحَ غَريبَ الأطوارِ عندَما ماتَت أُمُّهُ.

عندَما عادَ إلى أوهوس وأعادَ بِناءَ البَيتِ ثانِيَةً، خَطَرَ لَهُ أنَّ البَيتَ يَجِبُ أن يَبدو تماماً على الهَيئةِ التي كانَ علَيها عندَما اشتَرَيناهُ. عندَئذٍ كانَ هناكَ تَحديداً كثيرٌ منَ الأثاثِ القَديمِ في البَيتِ وضَعتُهُ في المَخزَنِ عندَ انتِقالِنا إلَيْه. كانَ أثاثَ دارِ الأيتامِ وَقَدْ رأينا أنا وزَوجَتي أنَّهُ كانَ قَديماً ومُتَّسِخاً. وَعِندَما عادَ وَلَدي إلى أوهوس وَأَصلَحَ البَيتَ، أَخرَجَ تِلكَ الأنتيكاتِ ثانِيَةً وباعَ البَيتَ مُؤَثَّثاً. كانَتْ تِلكَ وَسيلَتَهُ لإبْقاءِ الطِّفلَينِ الزُّجاجِيَّينِ بعيداً، كما ادّعى. فإذا ما بدا البَيتُ تماماً كما كانَ سابِقاً، فإنَّهُما لَنْ يَكونا ساخِطَين.

سَمِعَتْ بيلّي مانّة يَضحَكُ ضِحكَةً مَكتومَةً.

ـ أيُمْكِنُكِ تَخَيُّلُ شيءٍ بِهذا الحُمْق؟ قالَ.

كان ذلكَ بإمكانِها. لأنَّها الآنَ فَهِمَتْ مِن أينَ جاءَ أثاثُ البَيتِ كُلُّهُ. تَشَكَّلَ في رأسِها خاطِرٌ جَديدٌ وعِندَما وَجَّهَتْ سؤالَها التالي إلى

مانّة، كانَ صوتُها هامِساً:

ـ ما اسمُ وَلَدِكَ؟

أجابَها مانَّة بنَبرَةٍ خَفيضَة مُماثِلَة.

وفي الحالِ بَدأَتْ بيلّي تُدرِكُ كيفَ ارتَبَطَت الأمورُ بعضُها ببعض.

حينَ وَضَعَتْ مِن يَدِها سَمّاعةَ الهاتِفِ التَفَتَتْ إلى علاءِ الدّينِ وَقالَتْ:

ـ الآنَ أعرِفُ مَن يلعبُ دَورَ الشَّبَحِ هنا في البَيتِ.

٢٨

في تلكَ الليلَةِ التي تَلَتْ اتّصالَ بيلّي بمانَّة لوند هَطَلَ المَطَرُ بغَزارَةٍ. رَقَدَتْ يَقِظَةً فَترَةً طويلَةً قبلَ أن تَغفو واستَمَعتْ إلى قَطراتِ المَطَرِ الثَّقيلَةِ التي كانتْ تَضرِبُ السَّقفَ، لكِنَّها رَغمَ ذلكَ لَمْ تَكُنْ مُتعَبَةً عندَما أفاقَتْ صَباحاً.

ـ سآخذُ الباصَ إلى المَدْرَسَةِ اليومَ، قالَت لِيوسِف. لَدَينا رُخصَةٌ لِنَومِ الصَّباحِ هذا اليومِ ولا حاجَةَ لأن أكونَ في المَدرسَةِ قبلَ الساعَةِ العاشِرَةِ.

بَدا يوسِف مُتَعَجّباً وَنَظَرَ إلى جَدوَلِ دُروسِها المُثبَّتِ على الثّلّاجَةِ.

ـ لا ليسَ لَديكِ، قالَ.

ـ بَلى، لَقَدْ أُلغيَ دَرسا الرّياضيّاتِ لأَنَّ مُعَلّمَنا سَيَذهَبُ إلى الطَّبيبِ. سَيَعودُ في السّاعَةِ العاشِرَةِ لِيُعطينا درْسَ اللُّغَةِ الإنجليزية.

لَمْ تَكُنْ بيلّي ماهِرَةً في الكَذِبِ ولكِنَّها صارَتْ تَكذِبُ وكأَنَّها لَمْ تَفعَلْ سوى ذلكَ طوالَ حياتِها. لَمْ يَزَلْ يوسِفُ يَبدُو مُتَرَدّداً.

ـ ألا يَأتيكُمْ مُعَلِّمٌ بَديلٌ عندَما يَغيبُ مُعَلِّمُكُم؟

ـ ليسَ مِنْ أَجْلِ دَرسَينِ فَقَط. إذا لَمْ تُصَدِّقْني فتستَطيعُ الاتِّصالَ بالمَدرَسَةِ وسؤالَهُم، قالَتْ مُحاوِلَةً أن تَدُلَّ نَبرَتُها على الغَضَبِ.

ـ طَبعاً أُصَدِّقُكِ! قالَ يوسف. هل أنتِ مُتَأَكِّدَةٌ من أَنَّهُ لا بأسَ في أن تَذهَبي بالباصِ؟ وإلاّ فسأصلُ مُتَأَخِّراً إلى العَمَلِ.

آهِ رجاءً، رجاءً، اذهَبْ فَقَط، فَكَّرَتْ بيلّي مَعَ نَفسِها.

ـ غداً بَعدَ الظُّهرِ سَنأتي بماما أيضاً. هذا رائعٌ أليسَ كذلكَ؟ قالَ وابتَسَمَ.

أومَأَتْ بيلّي مُوافِقَةً. سيَكونُ كُلُّ شيءٍ رائعاً. كُلُّ شيءٍ.

حالَما رَجِعَ يوسفُ بسيّارَتِهِ في الفناءِ، خَرَجَتْ بيلّي أيضاً مِنَ البَيتِ. كانتْ تَرتَدي سُترَتَها وَحَقيبَةَ الظَّهرِ، تماماً كما لو أنَّها في طَريقِها إلى المَدرَسَةِ. ارتَعَشَتْ يَدُها وَهيَ تُديرُ المفتاحَ في القُفْلِ وَبِدَعْساتٍ قَوِيَّةٍ سارَتْ بِدَرّاجَتِها نَحوَ مَحَطَّةِ الباصِ. إذا رآها أَحَدٌ، فَسَيبدو الأَمرُ تَماماً وَكَأَنَّها في طَريقِها إلى الباصِ كَيْ تَذْهَبَ إلى المَدْرَسَةِ.

ولكِنَّها لَمْ تَكُن ذاهِبَةً إلى هُناكَ. انتَظَرَها علاءُ الدِّينِ في الأَجَمَةِ خَلفَ مَحَطَّةِ الباصِ.

ـ هل رآكِ أَحَد؟ قالَ.

ـ لا، لا أَظُنُّ ذلكَ، قالَتْ بيلّي.

بَعدَ فَتْرَةٍ قَصيرَةٍ تَوقَّفَ الباصُ القادِمُ مِن كيشانستا على الجِهَةِ المُقابِلَةِ مِنَ الطَّريقِ وَنَزَلَتْ مِنهُ سيمونا. وحالَما عَبَرَتْ إلى جِهَتِهِما، بَدأوا يسيرونَ عائِدينَ نَحوَ بَيتِ بيلّي. كانتْ تِلكَ فُرصَتُهُم الوحيدَةُ لِكَشفِ الشَّبَحِ. أرادوا القَبضَ عَلَيْهِ مُتَلَبِّساً.

كانتْ الخِطَّةُ خِطَّةَ بيلّي وكانتْ بَسيطَةً. سَيُخْضِعونَ البَيتَ للمُراقَبَةِ طوالَ النَّهار وَيَنتَظِرونَ مِمَّنْ قامَ بأفعالِ الأشباحِ أن يُحاوِلَ دُخولَ البَيتِ دُونَ أن يُلاحِظَهُ أَحَدٌ. طِبْقاً لِخِطَّةِ بيلّي فَسَوفَ يُحاوِلُونَ انتِزاعَ الحَقيقَةِ، وإذا لَمْ يُفلِحوا فَسَيَتَّصِلونَ بيوسف ويطلُبونَ منهُ المُساعَدَةَ.

كانَتْ بيلّي مُرتَبِكَةً إلى حَدِّ أنَّ بَطنَها صارَتْ تُؤلِمُها. لِحُسْنِ الحَظِّ أَنَّهُمْ كانوا ثَلاثَةً.

ـ ما أدرانا بأنَّ الشَّبَحَ سَيُعاوِدُ الكَرَّةَ اليومَ بالذّاتِ؟ قالَتْ سيمونا.

ـ نحن لا نَدري، قالَ علاءُ الدّينِ. إنَّما بِقَليلٍ مِنَ الحَظِّ فَسَوفَ يَحدُثُ ذلكَ أثناءَ النَّهارِ. وإلّا فَسَنَرى ما يُمكِننا فِعلُهُ.

لَقَدْ تَمَكَّنَ الثَّلاثَةُ بِأساليبَ مُختَلِفَةٍ مِنْ تَجَنُّبِ الذَّهابِ إلى المَدرَسَةِ صَباحاً، وهوَ ما رَأَوهُ مُثيراً وفَظيعاً في الوَقتِ ذاتِه. قبلَ أنْ تأخُذَ دَرّاجَتَها خارِجَةً مِنَ البَيتِ، اتَّصَلَتْ بيلّي بالمَدرَسَةِ وقالَتْ إنَّها لَن تذهَبَ إلى المَدْرَسَةِ لأنَّ عَلَيها أن تَذْهَبَ إلى المُستَشفى كَيْ تَزورَ أُمَّها. كانَ مُعَلِّمُها يَعلَمُ بِمَرَضِ أُمِّها فأصابَهُ القَلَقُ فوراً. هل ساءَتْ حالَةُ أُمِّها؟ انتابَ بيلّي شُعورٌ سَيِّءٌ وَهيَ تَرُدُّ بأنْ نَعَمْ، ساءَت حالَتُها ولِذلِكَ تُريدُ أن تَكونَ معها.

ـ تَخَيَّلي أن يكونَ بإمكانِكُما أنتِ وأُمُّكِ أنْ تَبْقَيا هُنا في أوهوس عندَما نَكشِفُ الشَّبَحَ، كانَ علاءُ الدّينِ قَدْ قالَ لَها في اللَيلَةِ السّابِقَةِ وهما جالسانِ في سريرِها يُخَطِّطانِ لِما سَيفعلونَهُ.

لَم تَعرِفْ بيلّي ماذا تَقولُ. لَمْ يَكن الشَّبَحُ وحدَهُ سَبَبَ رَغبَتِها في الانتِقالِ والعَودَةِ إلى كيشانستا ثانيَةً. فَهناكَ أشياءٌ أخرى كثيرةٌ، فيما يخصُّ أصدِقاءَها وما إلى ذلكَ. أمْ هَلْ ظَنَّتْ أنَّ بإمكانِها أنْ تَجِدَ راحَةَ بالِها في أوهوس؟ أيُمكِنُ أن تَكونَ سَعيدَةً بالعَيشِ هُناكَ؟

كانَ هذا السؤالُ كبيراً جِدّاً ويَجِبُ إرجاؤهُ حَتّى يَكشِفوا الشَّبَحَ. عندَئذٍ فَقَطْ سَتَعرِفُ ما تُريدُ.

اقتَرَبوا مِن بَيتِ بيلّي عِبرَ أجَمَةِ الصُّنوبَرِ على الجِهَةِ المُقابِلَةِ مِنَ الطَّريقِ. انتَصَبَت الأشجارُ بِكَثافَةٍ تَكفي لِكَي يَختَبِئَ المَرءُ هناكَ. كانَتْ بيلّي قَدْ تَرَكَتْ دَرّاجَتَها عِندَ مَحَطَّةِ الباصِ وفَتَحَتْ حَقيبَتَها وأَخرَجَتْ مِنظارَ أبيها القَديمَ. جَلَسوا على مَسافَةٍ بَعيدَةٍ مِنَ البَيتِ، ولكِنَّ مِنظارَ بيلّي مَكَّنَ مِن رُؤيَةِ البَيتِ جَيِّداً رَغمَ ذلكَ.

كانَتْ سيمونا قَد جَلَبَتْ هِيَ الأُخرى مَعَها مِنظاراً خاصّاً يَنْظُرُ المَرءُ خلالَهُ بِعَينٍ واحِدَةٍ.

ـ مِنظارٌ راقٍ، قالَ علاءُ الدّينِ بِصَوتٍ مِلؤُهُ الإعجابُ.

ابْتَسَمَتْ سيمونا.

جَلَسوا على الأرضِ مُفتَرِشينَ حصائرَ جَلَبوها مَعَهُم. كما جَلَبَ الثلاثَةُ مَعَهُمْ زُوّاداتٍ مليئةً بالطَّعامِ. أسعَدَ بيلّي أنَّ الجَوَّ لَمْ يَكُنْ مُمطِراً، ولكِنَّها تَمَنَّتْ لو لَمْ يَكُن هُبوبُ الرِّيحِ بتلكَ القُوَّةِ وكذلكَ لو أنَّ السَّماءَ لَمْ تَكُنْ رَماديَّةً. سَيَشْعُرونَ بالبَردِ مِن الجُلوسِ والاختباءِ في الغابَةِ طوالَ النَّهارِ إنْ لَمْ تَطلَعِ الشَّمسُ.

لَمْ يَمُرَّ مِنَ الوَقتِ أكثَرُ مِن ساعَةٍ عِندَما رأَتْ بيلّي أنَّ الجُلوسَ على الأرضِ لَمْ يَعُدْ مُريحاً فَنَهَضَت. بَدَأَتْ تَمُدُّ عضلاتِها وأَخَذَ علاءُ الدّينِ

منظارَها. الأصواتُ الوحيدَةُ التي أمكَنَ سَماعُها في الغابَةِ كانَتْ أصواتَ الطُّيورِ التي طارَتْ مِن شَجَرَةٍ إلى أُخرى.

ماذا لو لَمْ يأتِ الشَّبَحُ؟ ليس بِمَقدُورِهِمْ الجُلوسُ في الغابَةِ أيّاماً عديدةً. وغَداً سَتَعودُ أُمُّها. عندَئذٍ ليس بيدِ بيلّي سوى نسيان أيّةِ مُحاوَلَةٍ لِعَدَمِ الذَّهابِ إلى المَدْرَسَةِ. ومِن جِهَةٍ أُخرى فستَكونُ أُمُّها في إجازَةٍ مَرَضِيَّةٍ لِعِدَّةِ أسابيع وستَمكُثُ في البَيتِ. وعندَئذٍ سيَبقى الشَّبَحُ مُبتَعِداً.

ارتَعَشَتْ بيلّي وحَرَّكَتْ قَدَمَيها كي تَتَدَفَّأ. لماذا كُلُّ هذا البَرد؟ لقَدْ كانَت الدُّنيا صيفاً مُنذُ قَليلٍ.

ـ انظُرا! زَعَقَ علاءُ الدّينِ بِحَماسٍ فَجَلَسَتْ بيلّي فَوراً.

ـ ماذا يحدُثُ؟ هَمَسَتْ سيمونا ونَظَرَتْ في مِنظارِها.

مَدَّتْ بيلّي يَدَها كي تأخُذَ مِنظارَها ولكِنَّ علاءَ الدّينِ رَفَضَ إفلاتَهُ.

ـ لا أرى شيئاً غَريباً، هَمَسَتْ سيمونا.

بَدَأَ علاءُ الدّينِ يَضحَكُ ومَدَّ يَدَهُ بالمِنظارِ لِبيلّي.

ـ ولا أنا، أرَدتُ فَقَطْ أن أرى إن كُنتُما يَقِظَتَين، قالَ.

بَدَأَتْ سيمونا أيضاً تَضحَكُ وَضَرَبَتْ بيلّي ذراعَ علاءِ الدّينِ مازِحَةً.

ـ كُفَّ عَنْ ذلك، قالَتْ مُحاوِلَةً ألّا تَضحَكَ.

بَعدَئذٍ جَلَسوا صامِتينَ بينَ الأشجارِ وواصَلوا انتِظارَهُم.

بَدَأتْ تُمطِرُ فَأَخرَجوا سُتَرَهُم المَطَرِيَّةَ. بَعدَ قليلٍ كَفَّتْ، ولكِنَّ السَّماءَ تَحَوَّلَتْ منَ رماديَّةٍ إلى سوداءَ فَخَشيَتْ بيلّي أن تُرعِدَ. ففي تلكَ الحالِ رُبَّما يَتَوَجَّبُ علَيهِم الاستسلامُ والذهابُ إلى البَيتِ والجلوسُ فيهِ عِوَضاً عَن ذلكَ مراقبته.

أمْطَرَتْ مِنْ جَديدٍ وكَفَّتْ مَرَّةً أُخرى. قالَ علاءُ الدِّينِ إنَّهُ جائعٌ فأكَلَ كُلٌّ مِنهم شَطيرَتَهُ. ثُمَّ عادوا لانتِظارِهِم. تبادَلوا المِنظارَينِ فيما بَينَهُم. أكَلَتْ بيلّي تُفّاحَةً بِمَثابَةِ الحَلوى بَعدَ الطَّعامِ وقَفَزَ أرنَبٌ عابِراً بِمخبأهم. بَدَأَتْ بيلّي تَشْعُرُ بالتَّعَبِ، وكذلكَ شَعرَتْ سيمونا وعلاءُ الدِّينِ.

لَن يَكونَ هُناكَ صيدُ أشباحِ هذا اليَومَ، فَكَّرَتْ بيلّي. لَقَدْ كانَتْ فِكرَةً سَخيفَةً مُنذُ البِدايَةِ. كيفَ صَدَّقنا أنَّها يُمكِنُ أن تَنجَحَ؟

عندَئذٍ سَمِعَتْ علاءَ الدِّينِ يَهمِسُ:

ـ الآنَ، انظُري الآنَ!

عَرَفَتْ مِنْ صَوتِهِ أنَّهُ كانَ جادّاً. أحَسَّتْ بِعُقدَةٍ في بَطنِها وصَعُبَ التَّنَفُّسُ عَلَيها عندَما نَظَرَتْ باتِّجاهِ البَيتِ. كانَ أحَدُهُمْ في طَريقِهِ لارتِقاءِ السُّلَّمِ.

ـ هَلْ لي بالمِنظار! هَمَسَت.

رَغماً لا طَوعاً أفلَتَ علاءُ الدّينِ المِنظارَ مِنْ يَدِه.

وبالفِعلِ حَقّاً. وَقَفَ أحَدُهُمْ عندَ الشُرفَةِ مُنهَمِكاً بِفِعْلٍ ما مَعَ القُفلِ. ثُمَّ انفَتَحَ البابُ ودَخَلَ ذلِكَ الذي كانَ الشّبَحَ. رَغمَ المَطَرِ رأَتْ بيلّي عبر المِنظارِ وأدركت أنَّها كانَتْ على حَقٍّ.

لَقَدْ كانَ مارتِن، الَّذي أراها وأُمَّها البَيتَ، الشّبَحَ.

٢٩

حالَما أَغلَقَ مارتِن البابَ خَلفَهُ بَدَأوا يَركُضونَ. نَهَضُوا مُندَفِعَينَ وأسرَعوا نَحوَ البَيتِ. لَمْ تَركُضْ بيلّي في حياتِها بهذهِ السُّرعَةِ أَبَداً ولَم تَكنْ أبداً بهذا القَدْرِ مِنَ الغَضَبِ. كيفَ جَرُؤَ مارتِن على إفسادِ حَياةِ غَيرِهِ؟ بَلَغَ الغَيظُ مِنها مَبلَغاً اختَفى مَعَهُ الخَوفُ الذي سَبَّبَ لَها أَلَماً في بَطنِها قبلَ قَليلٍ.

هذا الجُزءُ مِنَ الخِطَّةِ تَحديداً لَمْ يَتَدارَسوهُ مَليّاً. بدا ذلكَ بِوضوحٍ مُباشَرَةً. الشيءُ الوحيدُ الذي قالوهُ كانَ أَنَّهُمْ سَيَدخُلونَ البَيتَ ويَقبِضونَ على الشَّبَحِ مُتَلَبِّساً. لكِنَّ بيلّي، وبَينَما هُمْ يَهجُمونَ صاعِدينَ السُّلَّمَ إلى شُرفَةِ البَيتِ، تَساءَلَتْ إن كانَ ذلكَ كافِياً. لِماذا سَيَخافُ مارتِن مِنْ ثلاثَةِ أطفالٍ؟

لكِنَّهُ خافَ فِعلاً. بَدا ذلكَ جَلِيّاً. كانَتْ سيمونا هِيَ مَن دَفَعَ البابَ فَدَخَلَتْ البَيتَ أَوَّلاً وتَبِعَها علاءُ الدِّينِ وبيلّي ولَمْ يُراعِ أيٌّ مِنهُم أن يَكونَ هادئاً أو حَذِراً.

ـ قِفْ مَكانَك! صَرَخَتْ سيمونا عندَما وَجَدوا مارتِن في غُرفَةِ الضُّيوفِ مُحتَضِناً صُندوقاً كارتونيّاً.

بَدا مَرعوباً. أفلَتَ الصُّندوقَ مِن يَدِه فَوَقَعَ مُحدِثاً جلَبَةً. ثُمَّ وَقَفَ هناكَ مُحَدِّقاً فيهِمْ فَقَطْ. لكِنَّهُ لَمْ يَبْدُ خائفاً أو غاضِباً، بَلْ حَزيناً فَقَط. عندَما نَظَرَتْ بيلّي في عَينَيه، رَأَتْ مِنَ الحُزنِ ما كادَ يُبكيها.

وَمَرَّةً أخرى وُضِعَ على الطّاوِلَةِ المُوَشّاةِ بالأحجارِ أَحَدُ تِلْكَ الرُّسومِ التي جَمَعَتْها بيلّي في اليومِ الأولِ لانتِقالِهما، هي وأُمِّها. سارَتْ بيلّي نَحوَ الطّاوِلَةِ وَقَرأَتْ ما كُتِبَ على الرَّسم:

"تَحذيرٌ أخيرٌ. إذا لَمْ تَكُفّي عَنِ البَحثِ الآنَ فَسَيَنتَهي كُلُّ شَيءٍ."

ـ هل أنتَ مَنْ كَتَبَ هذا؟ قالَتْ بِغَضَبٍ مُشيرَةً إلى الرَّسم.

بَدا وَكَأَنَّ طِفلاً كَتَبَ الحُروفَ ولكِنَّ بيلّي لَمْ تُصَدِّقْ ذلكَ.

ـ نَعَم، قالَ مارتِنْ بِصَوتٍ خَفيضٍ.

اختَلَطَ الغَيظُ بالحُزْنِ. ما الذي يَفعَلُهُ مارتِن؟ ولِماذا؟

ـ هل أنتَ مَن تَسلَّلَ إلى هُنا وسَبَّبَ المَشاكِلَ؟ قالَت. هل أنتَ مَن طَرَقَ نَوافِذَنا ليلاً؟

أَومَأَ مارتِن بالإيجابِ كَمَنْ أصيبَ بالخَرَسِ وسالَتْ دَمعَةٌ وَحيدَةٌ على

خَدِّه. بَلَعَتْ بيلّي رِيقَها بِشِدَّةٍ حتّى لا تَبدَأَ بالبُكاء هي الأُخرى.

ـ يَجبُ أن تَفهَمي...، بَدَأَ مارتِن. أَرَدتُ... تَمَنَّيتُ... أنا...

اختَفَى صوتُهُ في حَسرةٍ غَلَبَتْهُ.

ـ ماذا؟ قالَ علاءُ الدِّينِ داخِلاً الغُرفَةَ. ما الذي على بيلّي أن تَفْهَمَهُ؟

سَحَبَ مارتِنْ نَفَساً ثقيلاً.

ـ أَرَدْتُ فَقَطْ ألا يُصيبَكُمْ مَكروهٌ.

كما حَصلَ لي في يَومٍ مِنَ الأيّامِ.

هَزَّتْ بيلّي رأْسَها.

ـ أَرَدتَ ألا يُصيبَنا مَكروهٌ؟ كيفَ؟ لَقَدْ فَعَلْتَ كُلَّ شَيءٍ حتّى أكرَهَ هذا البَيتَ. وكُلُّ مَنْ سَكنوهُ قبلَنا إضافَةً إلى ماما قَد أُصيبوا بِمكروهٍ. كُلُّهُم. حتى أنَّ حَريقاً شَبَّ في طَبّاخِ أَحَدِهِم. لَقَدْ كُنتَ أنتَ وراءَ حُدُوثِ ذلكَ كُلِّه، أليسَ كذلكَ؟

ـ لا، قالَ مارتِن. لا، لَم أؤذِ أحداً في حياتي أَبَداً. ليسَ بِهذِهِ الطَّريقَةِ. بالنِّسبَةِ لِمَسألَةِ الطَّبّاخِ فلا بُدَّ من أنَّها حادِثٌ عَرَضِيٌّ. أَرَدْتُ فَقَطْ أن

يَظَلَّ البَيتُ خاوِياً. لأنَّ ذلكَ ما يُريدانِه. الطِّفلانِ الزُّجاجيّانِ. لا أحَدَ يُفْلِتُ مِنهُما. آجِلاً أو عاجِلاً ينتَهي الأمرُ نِهايَةً سَيِّئَةً؛ بالجَميعِ.

كانَتْ سيمونا مَن اقتَرَح أن يَترُكوا غُرفَةَ الضُّيوفِ ويَذهَبوا إلى غُرفَةِ الجُلوسِ. غَرِقَ مارتِنْ في ما كانَ سابِقاً كُرْسيَّ والِدِ بيلّي الوَثيرَ وأحَدَ قِطَعِ الأثاثِ القليلَةِ التي انتَقَلَتْ مَع بيلّي وأُمِّها مِن بَيتِ المَدينَةِ.

ـ لا أعرِفُ كَمْ تَعرِفونَ عَن الأمرِ، قالَ مارتِن. ولكِنَّني سَكَنتُ هذا البَيتَ مَرَّةً. مَعَ أبي وأُمّي.

ـ نَعرِفُ كُلَّ شيءٍ عَن ذلكَ، قاطَعَهُ علاءُ الدِّينِ. لَقَدْ تَكلَّمنا معَ والِدِكَ.

فَغَرَ مارتِن فَمَهُ مُتَعَجِّباً.

ـ أتَكَلَّمْتُمْ معَ مانّة؟ قالَ مُندَهِشاً.

أومَأَت بيلّي فَخورَةً بالإيجابِ. وحينَ تأَمَّلَت الأمرَ فَقَدْ تكَلَّموا في الواقِعِ مَعَ كثيرينَ.

ـ الآنَ أفهَمُ أنَّكُمْ تَعرِفونَ قَدْراً لا بأْسَ بِهِ، قالَ مارتِنْ بِصَوتٍ خَفيضٍ.

مَسَّدَ ساقَ بِنطالِهِ بإحدى يَدَيهِ، وكَأنَّهُ رأى تَجعيداً لا بُدَّ مِنْ تَعديلِهِ.

ثُمَّ بَدَأَ حكايَتَهُ:

ـ كُنتُ في الخامِسَةِ مِن عُمري عندما احتَرَقَ البَيتُ وماتَت أُمّي. قالَت الشُّرطَةُ أنَّهُ كانَ حادِثاً، ولكِنَّني عِندَما كَبَرتُ عَرَفتُ قِصَّةَ البَيتِ. أنَّهُ كانَ دارَ أيتامٍ وأنَّ بَعضَ أطفالِ تلكَ الدّارِ ماتَ وأنَّ مُرَبِّيَةَ أطفالٍ شَنَقَتْ نفسَها عدا ذلكَ في صالَةِ الجُلوسِ.

سَكَتَ مارتِن وَرَفَعَ رأسَهُ نَحوَ الثُّرَيّا التي عَلَّقَتْها بيلّي وأُمُّها.

ـ ثُرَيّانا كانتْ تَتَمايلُ جيئةً إلى الأمامِ والخَلفِ، قالَ بِصَوتٍ مُرتَعِشٍ. رَغمَ أنَّ الأبوابَ والنَّوافِذَ كانَتْ مُغلَقَةً. حَدَثَ ذلكَ مَرّاتٍ عَديدَةً. لا أذكُرُ أكثَرَ، ولكِنَّ ذلكَ كافٍ. البَيتُ مَسكونٌ مِنْ قِبَلِ مَوتى لَمْ تَهدَأْ أَرواحُهُم. لا يُريدونَ أن يَسكُنَ أحَدٌ غَيرُهُم هُنا. يُعاقِبونَ مَنْ يَبقى. لِذلِكَ أَحرَقوا بَيتَنا.

سَكَتَ مُجَدَّداً وَنَظَرَ إلى بيلّي.

ـ لِهذا آتي إلى هُنا وأفعَلُ ما تفعَلُ الأشباحِ. كي لا يَرْغَبَ أَحَدٌ في السَّكَنِ هنا مُدَّةً طَويلَةً إلى أنْ يَحدُثَ مَكروهٌ. أو أن يَموتَ أَحَدٌ.

ـ تَكذِبُ، قالَت بيلّي. أنتَ نَفسُكَ مَنْ جَعَلَ الثُّرَيّا تَتَمايَلُ. لا

توجَدُ أشباحٌ أخرى سواكَ في هذا البَيت.

ـ عَدا ذلكَ حَدَثَتْ أشياء خَطيرَةٌ هُنا، قالَ علاءُ الدّينِ الذي بَدا مُنفَعِلاً. خُذْ العائلَةَ التي سَكَنَتْ هنا قبلَ بيلّي على سبيلِ المِثالِ. لَقَدْ كادَتْ ابنَتُهُم تَغرَقُ.أصابَ بيلّي شَكٌّ فَظيعٌ.

ـ أَكُنتَ أنتَ مَنْ حاولَ إغراقَها؟ قالَتْ دونَ رَغبَةٍ في النَّظَرِ إلى مارتِن.

بَدا مارتِن وَكأنَّهُ على وَشكِ البُكاءِ ثانيَةً.

ـ لَقَدْ مَكَثوا هُنا فَترَةً طويلَةً للغايَةِ، هَمَس. وأخْرَجوا الأثاثَ كُلَّهُ. كانَت الطِّفلَةُ وَحدَها مَنْ صَدَّقَ بِوجودِ أشباحٍ هنا وَلَمْ يَكْفِ ذلكَ. كانَ لِزاماً أنْ يَحدُثَ أمرٌ فَظيعٌ للغايَةِ كيْ يَقتَنِعوا. سَبحتُ تَحتَ الماءِ عندَما كانَتْ تَلْعَبُ وَحدَها وأمسَكتُ بِها. لَمْ أَكُنْ أَبَداً لأقتُلَها. أبَداً. وهيَ لَمْ تُصَبْ بِأذىً بِسَبَبِ ما حَدَثَ، وإنَّما خافَتْ فَقَط.

سَحَبَتْ سيمونا ساقَيها وَضمَّتْهُما تَحتَها وقالَت:

ـ أنتَ مَخبولٌ. لَقَدْ آذيتَ النّاسَ كَي يَنتَقِلوا مِن هُنا. هذا لا يجوزُ.

ـ ولكِنَّني نَجَحتُ، قالَ مارتِن بِصَوتٍ مُرتَفِعٍ وبدا غاضِباً فَجأةً. لَمْ يَمُتْ أَحَدٌ بَعدَ أن احتَرَقَتْ أُمّي داخِلَ هذا البَيتِ. أبَداً!

سادَ الصَّمتُ الغرفةَ. لَمْ تَعرِفْ بيلّي ما تَقول. لَمْ تَجِدْ كلماتٍ تُلائمُ ما ظَنَّتْ أنّ مارتِنْ بحاجَةٍ لِسَماعِه.

ـ أتَظُنُّ أنَّ البَيتَ مَليءٌ بالأشباحِ الخَطِرَةِ؟ فِعلاً؟ قالَ علاءُ الدّينِ أخيراً.

ـ أنا لا أَظُنُّ شيئاً. أنا أعرفُ.

ـ ولكِنَّ الحَريقَ الذي قَتَلَ والِدَتَكَ كانَ حادِثاً عَرَضِيّاً.

ـ لَمْ يَكُنْ كذلكَ إطلاقاً!

ـ ولِذلكَ لاحَقْتَ جَميعَ مَنْ سَكَنوا هنا؟

ـ نَعَم.

ـ ولكِنْ لِماذا أصلَحْتَ البَيتَ أصلاً إذَنْ؟ قالَتْ بيلّي. إذا كنتَ عَلِمْتَ وَقتَها أنَّ هناكَ خَطَأً في البَيتِ، فَلِماذا رمّتَه مَرَّةً أُخرى؟

ـ لأنَّني كُنتُ مُضطَرّاً، قالَ مارتِن. ألا تَفهَمينَ؟ لو لَمْ يَستَرْجِعِ الطِّفلانِ الزُّجاجيّانِ مَلجأَهُما لَما كانا لِيَتركاني في سلام. عندَما اشترى أبي البَيتَ كانَ في غُرَفِهِ الكثيرُ مِنْ أثاثِ دارِ الأيتام. رَتَّبَ أبي البَيتَ وأبعَدَ الأثاثَ القَديمَ وطَلى البَيتَ مِنَ الداخِلِ والخارِج.

أعتَقِدُ أنّ ذلكَ كانَ أكبَرَ أخطائِه. أنَّهُ حاوَلَ التَّخَلُّصَ مِن كُلِّ ما

هو قَديمٌ. قبلَ أنْ نَنتَقِلَ إلى البَيتِ، كانَت الأشباحُ تَنعَمُ بالطُّمأنِينَةِ. حينَ أعَدتُ بناءَ البَيتِ، اعتَنَيتُ بإعادَةِ كُلِّ شيءٍ إلى سابِقِ عَهْدِهِ. لا لِشَيءٍ إلا لأُهَدِّئَ مِن رَوْعِ الطِّفلَينِ.

جَعَلَتْ حكايَةُ مارتِن العَجيبَةُ الأفكارَ تُحَلِّقُ بِحُرِّيَّةٍ في رأسِ بيلّي. ما عادَتْ تَعتَقِدُ أنَّ هنالِكَ جَدوى مِنَ الحَديثِ مَعَهُ. فالأمرُ كما قالَ أبوهُ. لَقَدْ أصابَهُ ما حَدَثَ في صِغَرِهِ إصابَةً بالِغَةً. أمرٌ مُحزِنٌ لكِنَّهُ حقيقيٌّ. لكِنَّها مَعَ ذلكَ أرادَتْ إجابَةً على سؤالٍ آخَر.

ـ إذا كُنتَ تَعتَقِدُ أنَّ البَيتَ بِهذِهِ الخُطورَةِ، لِماذا إذَنْ لَمْ تَترُكْهُ فارِغاً؟ لِماذا بِعتَهُ؟

أومَأَ علاءُ الدِّينِ وسيمونا مُصادِقَينِ على سؤالِها. فَقَدْ خَطَرَ لَهُما التَّساؤلُ ذاتُهُ.

ـ لأنَّني احتَجتُ المالَ، تَنَهَّدَ مارتِنْ قانِطاً. لَمْ يَكُنْ لَدَيَّ خِيارٌ. لاحَقَني البَنكُ. لَمْ أُفلِحْ في صيدِ السَّمَكِ. كانَ أمامي خياران إمّا أنْ أبيعَ البَيتَ أو أنْ أتَشَرَّدَ. لَمْ أسْكُنْ هُنا بِنَفسي بلْ سَكَنتُ بَيتاً آخَرَ. والانتِقالُ لِلعَيْشِ هُنا كانَ أمراً مُستَحيلاً. ولكِنَّني، كما أسلَفتُ، تَحَمَّلتُ مَسؤولِيَّتي. عندَما كانَت العوائلُ المُختَلِفَةُ تَنتَقِلُ مِنَ البَيتِ كُنتُ آتي إلى

هُنا لأُعيدَ تَرتِيبَ المكانِ قبلَ انتِقالِ عائلَةٍ جَديدَةٍ إلَيهِ. لَقَدْ حاوَلتُ دائماً أن أكونَ عَوناً لِمَنْ سَكَنَ هنا وَحَرَصتُ على إبعادِهِمْ في الوَقتِ المُناسِبِ. قبلَ أنْ يُؤذِيَهُمُ الطِّفلانِ الزُّجاجِيّانِ.

أرخى جِلسَتَهُ مُسنِداً ظَهرهُ.

ـ لَكُمْ أن تَقولوا ما شئتُمْ، ولكِنَّني أعلَمُ أنني فَعَلتُ الشّيءَ الوَحيدَ الصَّحيحَ. الشَّيءَ الوَحيدَ الدّالَّ على تَحَمُّلِ المسؤولِيَّةِ.

فَكَّرَتْ بيلّي في أنَّ مانَّه كانَ على حَقٍّ في أنَّ مارتِن أُصيبَ بِالخَبَلِ في تِلكَ اللّيلَةِ الّتي ماتَتْ فيها أُمُّهُ. لأنَّ ما قالَهُ كانَ شَديدَ الغَرابَةِ. تَخَيَّلْ أنَّهُ سَخَّرَ حياتَهُ بِأكمَلِها لِمُطارَدَةِ أشباحٍ غيرِ موجودَةٍ.

ـ أَخبِرنا كيفَ جَعَلتَ الثُّرَيّا تَتَمايلُ، قالَت.

هَزَّ مارتِن رأسَهُ.

ـ ولكِنَّني أخبَرتُكُم بالفِعلِ، قالَ. إنَّها تَتَمايلُ بِنَفسِها. أُقسِمُ على ذلكَ!

نَظَرَتْ بيلّي إلى علاءِ الدّينِ وسيمونا اللَّذَينِ هَزّا رأسَيهِما. كَذَبَ مارتِن. كانَ جَلِيّاً أنَّهُ هُوَ مَن جَعَلَ الثُّرَيّا تَتَمايلُ في كَلّابِها. بِطَريقَةٍ ما.

ـ وطَبْعُ اليَدِ في الغُبارِ؟ قالَتْ بيلّي. أَلَمْ تَفعَلْ ذلكَ أيضاً؟

ـ بلى، أنا مَن فَعَلَ ذلكَ، قالَ مارتِن. تَسَلَّلتُ إلى داخِلِ البَيتِ حينَ مَضَيتُما أنتِ وأُمُّكِ على درّاجَتَيكُما، وطَبَعتُ طَبْعَ يَدٍ صَغيراً بِواسِطَةِ يَدِ دُمْيَةٍ. وعِندَما طَرَقتُ النَّوافِذَ استَخْدَمتُ دَرَجاً.

يَدُ دُمْيَةٍ. وبيلّي اعتَقَدَتْ طوالَ الوَقتِ أنَّهُ طَبعُ يَدِ طِفلٍ.

ـ ما الذي سَنَفعَلُهُ الآنَ؟ قالَ علاءُ الدّينِ.

نَهَضَتْ بيلّي.

ـ الآنَ سَأَتَّصِلُ بِيوسِف. قالَت.

التَفَتَتْ إلى مارتِن وقالَت:

ـ وأنتَ سَتَنتَظِرُ هُنا.

ـ طَبعاً سَأَفعَلُ، هَمَسَ مارتِن. إلى أينَ يمكن أنْ أذْهَبَ؟

٣٠

بَدَتْ الأوراقُ الرّاقِدَةُ على الأرضِ وَكَأنَّها تَلتَهِبُ. رأَتْ بيلّي أنَّ تِلكَ الأوراقَ كانتْ جَميلَةً وسارَتْ بِتؤُدَةٍ علَيها وهي تَحملُ آخرَ صُندُوقِ أغراضٍ إلى مَقطورَةِ الشَّحْنِ التي استَعارَها يوسِفُ مِن أحَدِ أصدِقائِه.

ـ لا نَنتَظِرُ سوى ماما، قالَ يوسِف وَهُما يَصُفّانِ الصُّندوقَ جنبَ بَقيَّةِ الصَّناديقِ.

تَنَشَّقَتْ بيلّي هواءَ الخَريفِ البارِدَ ونَظَرَتْ بِعَينَينِ شِبْهِ مُطبَقَتَينِ إلى الشَّمسِ الّتي تَجَلَّتْ في السَّماءِ على غَيرِ عادَتِها.

ـ هلْ تَشعُرينَ بِأنَّ كُلَّ شَيءٍ على ما يُرامُ الآنَ؟ قالَ يوسِف.

تفكّرتْ بيلّي قبلَ الإجابَةِ. بَلى، إنَّها تَشعُرُ بِذلكَ.

ـ جَميلٌ، قالَ يوسِف. ولكِنَّكِ ما زِلتِ تُريدينَ الذهابَ إلى المَدرَسَةِ هُنا في المَدينَةِ؟

ـ أصدقائي كُلُّهُمْ هنا، قالَتْ بيلّي.

ـ وعلاءُ الدّين؟

ـ سألتَقي بِهِ قَدْرَ ما نُريدُ رَغمَ ذلكَ.

عندَئذٍ خَرَجَتْ أُمُّها مِنَ البَيتِ.

ـ الأَمرُ يبعَثُ على الأسى قليلاً، قالَتْ عندَما استَقَلُّوا السَّيّارَةَ.

أَلْقَتْ بيلّي نَظْرَةً أَخيرَةً على البَيتِ. لَقَدْ مَضَتْ عِدَّةُ أسابيع مُنذُ كَشَفَتْ هي وعلاءُ الدّينِ وسيمونا أنَّ مارتِن هو شَبَحُ البَيتِ. تَعافَتْ أُمُّها وَبِمُساعَدَةِ يوسف حَكَتْ بيلّي لَها كُلَّ ما جَرى. لَمْ تَستَطِعْ أُمُّها التَّوَقُّفَ عنْ طَلَبِ العَفْوِ لِعَدَمِ تَصديقِها قِصَصَ بيلّي عَنْ كُلِّ ما حَدَثَ في البَيتِ لَيلاً.

ـ لا بُدَّ من أنَّكِ كُنتِ خائفَةً جِدّاً، قالَتْ مراراً وهيَ تَحتَضِنُ بيلّي بأَشَدَّ ما تَستَطيعُ.

تَرَكَتْ بيلّي نَفسَها تُحتَضَنُ. لأنَّها بالطَّبْعِ خافَتْ. طوالَ الوَقتِ تَقريباً.

جاءَ يوسفُ في غُضونِ عِشرينَ دقيقَةً بَعدَ اتّصالِ بيلّي بِهِ في ذلكَ اليَوم. لَمْ يأْتِ وَحدَهُ بلْ كانَ بِصُحبَةِ شُرطِيّ آخر. وقَدْ استَمَعا إلى بيلّي وصَديقَيها وهُم يَحكونَ ما فَعَلوا وما تَوَصَّلوا إلَيْهِ. ثُمَّ أَخَذا مارتِنْ مَعَهُما

إلى مَرْكَزِ الشُّرطَةِ في المَدينَةِ. فيما بَعدُ بَيَّنَ يوسفُ أنَّ مارتِن روى قِصَّتَهُ بِنَفسِهِ وأنَّ كثيراً مِنْ أفعالِهِ مُخالِفٌ لِلقانونِ وأنَّهُ تَبَعاً لِذلِكَ على الأغلَبِ سوفَ ينالُ نَوعاً مِنَ العُقوبَةِ.

لَمْ يَكنْ شيئاً جَديداً بالطَّبْعِ أنَّ مارتِنْ فَعَلَ ما لا يجوزُ فِعلُهُ، ولكِنَّ بيلّي لَمْ تَستَطِعْ مَنعَ نَفسِها مِنَ الإشفاقِ عَلَيهِ.

ـ أظُنُّ في الواقِعِ أنَّهُ كانَ يَعتَقِدُ بِأنَّهُ يفعَلُ الخَيرَ، قالَتْ لِيوسف.

ـ وأنا أظُنُّ ذلِكَ أيضاً، قالَ يوسف. ولكنَّ ذلِكَ لا يُقَلِّلُ مِن كونِ فِعلِهِ خَطأً ومُخالِفاً لِلقانونِ. تَخَيَّلي لَو أنَّ تِلكَ الصَّغيرَةَ غَرِقَتْ مَثَلاً. ذلِكَ أمرٌ رَهيب.

عِندَما انتَهى كُلُّ شيءٍ وعادَتْ أُمُّها إلى البَيتِ ثانِيَةً، ذَهَبَتْ بيلّي مَعَ علاءِ الدّينِ إلى بَيتِ إيلّا وأَخبَرَتْها بِما حَدَثَ. وقَدْ جَلسَتْ إيلّا تَستَمِعُ صامِتَةً.

ـ وأنا التي كُنتُ مُتَأَكِّدَةً مِنْ وُجودِ الأشباحِ في ذلِكَ البَيتِ، قالَت.

ـ ولكِنَّها غيرُ موجودَةٍ، قالَتْ بيلّي بِحَزْمٍ. لَمْ يَكُنْ سوى مارتِن الذي قامَ بِكثيرٍ من الأفعالِ الغريبَةِ.

عندَما تَعافَت الأُمُّ تَحَدَّثَتْ مَعَ بيلّي طويلاً عَمّا سَتَفعلانِهِ بالبَيتَينِ.

وقدْ قالَتْ أُمُّها أنَّها تَوَدُّ فعلاً العَيشَ في أوهوس.

ـ أعلَمُ أنَّ الأمرَ كانَ صعباً عَلَيْكِ. ولكِنَّني رَغمَ ذلكَ أعتَقِدُ أنَّه مِنَ الأفضَلِ لنا ألا نستَمرَّ في العيشِ في بَيتِ المَدينةِ. هناكَ العَديدُ مِنَ الذِّكرَياتِ الأليمَةِ في ذلكَ البَيتِ. والعَديدُ مِنَ الذِّكرياتِ الجَميلَةِ أيضاً، وتلكَ سَنأخُذُها مَعنا. أما الباقي فأُفَضِّلُ حقّاً تَركَهُ. ما قَولُكِ؟

فَكّرَتْ بيلّي طويلاً ومَلِيّاً ثُمَّ قالَتْ إنَّها مُوافِقَةٌ على الانتِقالِ، على شَرطَينِ:

ـ لِكِ كُلُّ ما تُريدينَ، قالَت أُمُّها مبتَسِمَةً ابتِسامَةً عَريضَةً.

أرادَتْ بيلّي أوّلاً أن تَستَمرَّ بالذَهابِ إلى المَدرَسَةِ في المَدينَةِ. وثانياً أرادَت التَّخَلُّصَ مِن أثاثِ دارِ الأيتامِ القَديمِ وجَلْبِ أثاثِهِم مِن بَيتِ المَدينَةِ. فَوافَقَتْ أُمُّها فوراً على الشَّرطَينِ.

وها هُمْ يَستَقِلّونَ السَّيّارَةَ المُعَبَّأَةَ في طَريقِهِمْ إلى أوهوس؛ موطِنِهِما الجَديد.

كانَتْ قَدْ سَأَلَتْ أُمَّها عَنْ يوسف. عَمّا إذا كانتْ سَتَرتَبِطُ بِهِ وفيما إذا كانَ سيَنتَقِلُ هوَ الآخَرُ مُستَقبَلاً للعَيْشِ مَعَهُما.

ـ أنا ويوسِفُ صديقانِ فَقَط. سنرى ما يكونُ في المستَقبلِ. رُبَّما

يُصبِحُ أكثرَ مِنْ صديقٍ، وَرُبَّما لا.

جلَسَ علاءُ الدّينِ مُنتَظِراً على السُّلَّم عندَما دَخَلوا بالسَّيّارَةِ إلى فناءِ البَيت. لَوَّحَ لَهُمْ وابتِسامَتُهُ مُمتَدَّةٌ مِنَ الأُذُنِ إلى الأُذُنِ وركَضَ إلى السَّيّارَةِ.

ـ طَعامٌ مِنْ أُمّي وأبي، قالَ لِأُمّ بيلّي وَهوَ يُناوِلُها كِيساً بلاستيكيّاً مَليئاً.

ـ آه، شُكراً لِهذا اللُّطْفِ، قالَتْ ضاحِكَةً.

تَعاوَنَ علاءُ الدّينِ وبيلّي على حَمْلِ الصَّناديقِ التي سَتَصْعَدُ إلى غُرفَةِ بيلّي. وَحَمَلَتْ أُمُّ بيلّي ويوسِفُ بَقيَّةَ الصّناديقِ.

كَأنَّ البَيتَ تَحوَّلَ إلى بَيتٍ آخَرَ بَعدَ أنْ رَمَوا الأثاثَ القَديمَ كُلَّهُ وأعادُوا طِلاءَ الجُدرانِ والسُّقوفِ.لقد أصبح أكثرَ إشراقاً وَحميميَّةً. مِنَ الخارِجِ لَمْ يَزَلِ البَيتُ مُبَقَّعاً ولكِنَّ الطِّلاءَ كَفَّ عَنِ التَّساقُطِ. وقَدْ حَضَرَ صَبّاغٌ واطَّلَعَ عَلَيهِ.

ـ أُخَمِّنُ أنّ الطِّلاءَ تَساقَطَ لأنَّ البَيتَ لَمْ يَكُنْ نَظيفاً عندَما أعادُوا طِلاءَهُ. إذا تَمَّ الطِّلاءُ فوقَ الطَّبَقَةِ القَديمَةِ مُباشَرَةً، فَهناكَ احتِمالٌ كبيرٌ دَوماً ألّا تَتَماسَكَ الطَّبَقَةُ الجَديدَةُ.

هذا ما كانَ مِن أمرِ الطِّلاءِ. قَرَّرَتْ أُمُّ بيلّي أنْ يُرَمِّموا واجِهَةَ البَيتِ في الرَّبيعِ التّالي.

فَرَّغَتْ بيلّي الصّناديقَ بينَما جَلَسَ علاءُ الدّينِ على السّريرِ يَتَصَفَّحُ مَجَلَّةً.

ـ كَمْ كانَ أبوكِ أنيقاً، قالَ علاءُ الدّينِ وهوَ يَنْظُرُ إلى صورةٍ وَضَعَتْها بيلّي على طاولَةِ السَّريرِ.

ضَحِكَتْ بيلّي. يا لَعادَةِ علاءِ الدّينِ في استِخدامِ كلماتٍ مِثلِ "أنيق".

عندَئذٍ نادَتْ أُمُّها.

ـ بيلّي، أيُمكِنُ أن تأتي إلى هنا لَحظَةً؟ أريدُ أنْ أعرِفَ إن كانَت اللوحاتُ التي حصَلنا علَيها مِن جَدِّكِ وجَدَّتِكِ مُلائمَةً لِغُرفَةِ الضُّيوفِ.

ـ قادِمَة! قالَت بيلّي ونَزلَت السُّلَّمَ.

سَمِعَتْ يوسِف وأُمَّها يَتَحَدَّثانِ في غُرفَةِ الضُّيوفِ فَوَجَّهت الخُطى إلى هناكَ.

وعندَئذٍ حَدَثَ ما حَدَث.

عندَما مَرَّتْ بصالَةِ الجُلوسِ تَيَبَّسَتْ. هل رأَتْ حَقّاً ما اعتَقَدَتْ أنَّها رأَتْهُ أمْ أنَّها تَوَهَّمَتْ ذلكَ فَقَطْ؟ وهل تُريدُ حَقّاً أنْ تَعرِفَ؟

ولكِنَّ الأوانَ كانَ قَدْ فاتَ.

استَدارَتْ بِبُطْءٍ ونَظَرَتْ إلى الصّالَةِ التي جَلَسَتْ فيها مَعَ سيمونا وعلاءِ الدّينِ ومارتِن. لَمْ تَكُنْ واهِمَةً.

تَمايلَت الثُّرَيّا المُعَلَّقَةُ في السَّقفِ إلى الأمامِ والخَلْفِ.

كَأنَّ أحدَهُمْ يَتَعَلَّقُ بِها.

وقفتُ بيلّي ساكِنَةً تماماً وأَصْغَتُ. استَمَرَّ الصوتُ ولكِنَّهُ أتى مِنْ مكانٍ آخر.

ثُمَّ رأتْ ما أنساها الصوتَ لِلحظةٍ.

الثريّا في صالَةِ الجُلوس.

لَقَدْ تَحرَّكَتْ. تمايلَتْ ببُطءٍ إلى الأمامِ والخَلفِ، كالبِنْدولِ في ساعَةٍ قديمةٍ.

أُمورٌ غامِضَةٌ تَحدُثُ في بيتِ بيلّي الجَديدِ الذي انتَقَلَتْ إليهِ مَعَ أُمِّها.

أمورٌ غامِضَةٌ ومُخيفَةٌ لا تَفهَمُها بيلّي.

كأنَّ البيتَ لا يُريدُهُما هناكَ.

وكأنَّهُ يَفعَلُ كُلَّ ما في وسْعِهِ كي يُرعِبَهُما ويُبعِدَهُما.

تَبدأُ بيلّي مَعَ صديقِها علاءِ الدّينِ بَحثاً في تاريخِ البيتِ المُظلِمِ.

وكُلَّما زادَ ما تَوَصَّلَت إليهِ تأكَّدَ لَها أنَّ علَيهِما، هي وأُمُّها، أنْ تُغادِراهُ، وبأسرَعِ ما يُمكِنُ.

قبلَ أن يحدُثَ شيءٌ فَظيعٌ. قبلَ فواتِ الأوانِ...

ISBN 978-91-87333-31-6

دار المنى